تنزيه نبي الله داود عليه السلام

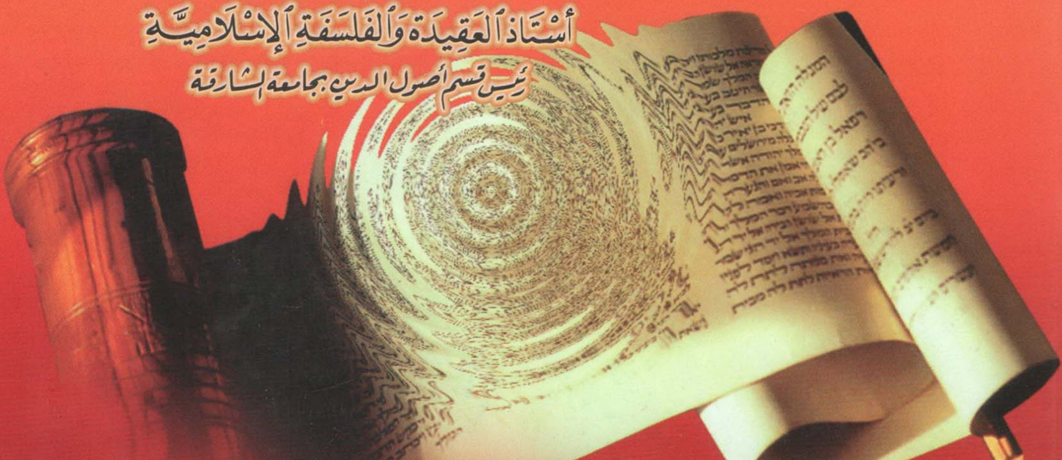
عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات

تأليف

الدكتور فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية

رئيس قسم أصول الدين بجامعة الشارقة



دار البشائر الإسلامية

تنزيه نبي الله داود عليه السلام

عن مطاعن وأكاذيب اليهود

في العهد القديم والإسرائيليات

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

تنزيه نبي الله داود عليه السلام

عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات

تأليف

الدكتور فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية

رئيس قسم أصول الدين بجامعة الشارقة

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى روح أستاذي العلامة

فضيلة الأستاذ الدكتور (رؤوف شلبي)

أول عميد لكلية أصول الدين بالمنصورة

ووكيل الجامع الأزهر الشريف سابقاً

فقد تلقيت العلم على يديه في المرحلة الجامعية، وانتفعت بمحاضراته ومناقشاته ومؤلفاته، ففتح لي ولزملائي آفاق البحث والدرس والمناظرة، وكان أول من علمنا كيف نقرأ ونبحث ونكتب في علم مقارنة الأديان.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجعل ما قدمه للمكتبة الإسلامية من علم نافع في ميزان حسناته، وصحائف أعماله، فقد كان من الدعاة إلى الله عزّ وجلّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن المدافعين عن الإسلام بإبراز حقائقه، والجدال مع مخالفيه بالتي هي أحسن.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية التي أقدمها للقارىء الكريم بعد أن نفدت الطبعة الأولى منذ عدة سنوات.

وإذا كانت الطبعة الأولى قد صدرت، وأنا في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، حيث كنت مدرّساً بجامعة الأزهر الشريف، وأستاذاً مساعداً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فإن هذه الطبعة تصدر الآن وأنا في إمارة الشارقة المشرقة بدولة الإمارات العربية المتحدة حيث أعمل أستاذاً بجامعة الأزهر منذ أول يناير عام ١٩٩٧م وأستاذاً ورئيس قسم أصول الدين بجامعة الشارقة.

وبين الطبعتين سنوات مضت، وأحداث وقعت، وكتب أُلِّفت، وبحوث نُشرت.

وقد كان هذا الكتاب واحداً من أبرز الكتب والأبحاث التي شكلت الإنتاج العلمي الذي نلت به رتبة أستاذ مساعد «أستاذ مشارك» في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر عام ١٩٩١م، وحظي بتقدير أساتذتي الأجلّاء أعضاء لجنة الترقية، ونال إعجابهم وثناءهم.

وقد كان صدور الطبعة الثانية مطلباً ملحًّا من الكثيرين، ولكن كثرة الشواغل والهموم حالت دون تحقيق ذلك المطلب، وبخاصة أن الطبعة الأولى قد احتوت على كثير من الأخطاء المطبعية، والتي لم أتمكَّن من تصحيحها، حيث طبع الكتاب بعيداً عن مراجعتي، ولذلك فإنني بذلت ما بوسعي في هذه الطبعة حتى تخرج للناس ـ بحمد الله وتوفيقه ـ مصححة ومنقحة، وخالية إلى حد كبير من هذه الأخطاء.

ولا يسعني إلا أن أتقدَّم بالشكر الجزيل لدار البشائر الإسلامية ببيروت، وللزميل الفاضل الدكتور قاسم علي سعد؛ الأستاذ المشارِك بقسم أصول الدين على ما قاموا به من جهود في سبيل إخراج هذه الطبعة الجديدة.

وأسأل الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد والرشاد في القول والعمل.

المؤلف

الشارقة في رجب ١٤٣٠ هـ

يوليو ٢٠٠٩م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم النبيين، سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على الكثيرين ـ وبخاصة ممن يعنون بدراسة أو قراءة الأديان المختلفة، والاطلاع على الملل والنحل ـ ما زعمه اليهود (لعنهم الله) في حق نبي الله ورسوله سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، وما رموه به زوراً وبهتاناً، حيث يذكرون ـ وبئسما يفترون ـ أن هذا النبي الأوَّاب (الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، والذي له عند ربه زلفى وحسن مآب) قد ارتكب الفاحشة ـ وحاشاه (عليه السَّلام) ـ مع امرأة أوريا الحِثِّي، واحتال في قتل زوجها.

لكن الذي يخفى على هؤلاء الكثيرين أن الأمر لم يبدأ ـ أو لم ينته ـ بقصة امرأة أوريا المزعومة، ولم يقتصر على اتهام سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في دينه والطعن في خلقه، وإنما تعداه إلى الطعن في أصوله وفروعه. حيث طعنوا في نسبه الشريف ونالوا من ذريته المباركة.

فالاتهام ضارب بجذوره في الأعماق، ثم امتد وتفرع حتى شمل أولاد سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ومنهم سيِّدنا سليمان (عليه السَّلام).

فإذا كان اليهود قد نالوا من أنبيائهم، وطعنوا في رسلهم، واتهموهم بأفظع الاتهامات، وافتروا عليهم بأفحش المفتريات وشوهوا صورتهم، ولطخوا شرفهم، ودنسوا كرامتهم، فنسبوا إليهم أعمالاً قبيحة لا تليق بمكانتهم، وتتنافى مع عصمتهم، ووصموهم بأحط المنكرات وأقذرها، وهم الذين اصطفاهم الله

من خلقه واجتباهم من عباده، ورباهم بتربيته وأدبهم بأدبه، وصنعهم على عينه، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ . . .

إذا كانوا ـ اليهود ـ قد فعلوا ذلك بأنبيائهم؛ **فإن سيِّدنا داود (عليه السَّلام)** كان له النصيب الأكبر من هذه الاتهامات وتلك المفتريات، حيث رموه بكثير من المطاعن، وأهالوا عليه ركاماً من المنكرات، وألصقوا به جملة من الأكاذيب.

فقد طعنوا في نسبه الشريف، حيث رموه بأنه ـ وهو النبي المصطفى من الله العليم الخبير، والرسول المجتبى من العزيز الحكيم ـ من سلالة الزنى!! وحاشاه (عليه السَّلام)، بل حاش لله سبحانه؛ حيث يختار الله رسله وأنبياءه من أفضل الناس وأطهرهم وأكرم الخلق وأنقاهم.

وفي سبيل غرضهم هذا الدنيء لطخوا نبياً آخر له منزلته عند الله وفضله، وقد بعثه الله رسولاً إلى قومه لينقذهم مما هم فيه من الفسوق وما كانوا عليه من المنكرات؛ **إنه سيِّدنا لوط (عليه السَّلام)**.

فقد زعم اليهود (لعنهم الله) أنه قد زنى بابنتيه! (وحاشاه عليه السَّلام)!! بعد أن سقتاه خمراً ليضطجع معهما حتى يحييا منه نسلاً فيما يزعمون، ثم حملتا منه وولدتا له ابنين، أحدهما كان اسمه فيما يزعم اليهود «موآب».

وربطوا بين «موآب» هذا ـ ولد الزنا ـ وبين سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، حينما جعلوا إحدى جداته امرأة «موآبية» كان اسمها «راعوث»! وألف اليهود لها من أجل ذلك سفراً كاملاً باسمها ضمن أسفار العهد القديم، ووصفوها بأنها كانت امرأة عاشقة وَلْهَى، وأنها تزوجت رجلاً أنجب منها جدًّا لداود، وقد تم الزواج بطريقة مخلة، وكان زواجها من أنواع الزواج الممقوتة، ومن الأنكحة التي حرمها الإسلام كما سنرى في ثنايا الكتاب.

ثم إذا باليهود مرة أخرى يضعون في نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أنه ابن «فارص» وفارص هذا ـ فيما يذكرون في أسفارهم ـ ابن زنى أيضاً حيث يزعمون أنه ابن يهوذا بن يعقوب (عليه السَّلام) من ثامار كنّته، فقد زنى (يهوذا)

بأرملة ابنه وأنجب هذا الولد الذي جعلوه الجد الأكبر لداود والذي يربط بينه وبين يعقوب ابن إسحاق (عليهم جميعاً السَّلام) عن طريق يهوذا ابن يعقوب.

وبجانب ذلك فإن اليهود (لعنهم الله) يضعون في سلسلة نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) امرأة أخرى تسمَّى «راحاب الزانية»!! هكذا وصفتها أسفارهم، حيث تحدثت عنها وعن زناها!.

وتكتمل المأساة، وتبلغ المؤامرة ذروتها بأم سليمان (عليه السَّلام) حيث يزعمون (لعنهم الله) أنها «بتشبع» وأنها كانت امرأة أوريا الحثي، ثم زنى بها داود، واحتال حتى قتل زوجها ثم ضمها إلى نسائه بعد أن حملت منه، ومات ولد الزنا بعد أن ولد بقليل، ثم بعد ذلك أنجب منها سيِّدنا سليمان (عليه السَّلام)!!.

فالطعن هنا مزدوج حيث طعنوا في دين وخلق سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من جهة، ومن جهة أخرى طعنوا في سيِّدنا سليمان (عليه السَّلام) حينما يزعمون أن أمه كانت بهذه الصورة المزرية.

وإذا كان سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد تسلسل نسبه ـ فيما يزعمون وبئسما يفترون ـ من ابن لوط المزعوم «مؤاب» ولد الزنا، ومن «فارص» ابن يهوذا من الزنا أيضًا، ومن «ثامار» الزانية، وراحاب «العاهرة» و«راعوث» الفاسقة، ثم يطعنون في دينه وخلقه حينما يرمونه بالزنا!! وطعنوا في بيته وأسرته فوصفوها بأحط الأوصاف ووصموا أولاده بأقذر الأفعال ونسبوا إليهم ـ زوراً وبهتاناً ـ أعمالاً قبيحة لا يليق فعلها بالسفهاء من الناس؛ حيث زعموا أن «أمنون» ابنه قد زنى بأخته لأبيه «ثامار» بنت داود، وأن شقيقها «أبشالوم» بن داود قد انتقم لها منه بقتله والقضاء عليه، ثم تمرد على أبيه وثار على حكمه وزنى بسراري أبيه علانية أمام جميع بني إسرائيل.

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لسيِّدنا داود (عليه السَّلام)، فإن سيِّدنا سليمان (عليه السَّلام) قد مر نسبه ـ فيما يزعمون ـ بأربعة من النساء: ثامار الزانية، وراحاب الزانية، وراعوث الفاسقة، وبتشبع الزانية.

والعجيب أن النصارى يجعلون المسيح عيسى بن مريم (عليه السَّلام) من هذه السلسلة المباركة!! بل إنهم يتيهون فخراً بذلك النسب المشرف كما سنرى!!.

وقد ورد في إنجيل متى: أن يهوذا بن يعقوب قد ولد «فارص» من «ثامار» وأن فارص قد ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من «راحاب» وبوعز ولد عوبيد من «راعوث» وعوبيد ولد «يسي»، ويسي ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا، وسليمان ولد رحبعام... ... إلى أن زعموا أن النسب يصل إلى يوسف النجار رجل مريم «المزعوم» التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح[1]!!!.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «أن داود كان حلقة على غاية ما يكون من الأهمية في سلسلة أنساب من هو ابن داود وهو يسوع المسيح، وأن تاريخ أسلافه رائع وبديع ومجيد وباعث على الإلهام، إلَّا أنه لم يخل من بعض لوثات الخطيئة في بعض الأحيان»[2]!!!.

وسوف يكشف[3] لنا أحد أحبار اليهود وحاخاماتهم السابقين ـ شموئيل ابن يهوذا، والذي هداه الله للإسلام وسمي بالإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠هـ) ـ [سيكشف] النقاب عن الباعث الذي حمل اليهود على تلطيخ شرف سيِّدنا داود والطعن فيه والنيل منه، وقد ذكر الإمام البقاعي: أن قصة داود وأوريا الحِثِّي وأمثالها في الإسرائيليات من كذب اليهود، ثم يقول: «وأخبرني

---

(١) إنجيل متى ١: ٣ ـ ١٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: ص٣٦١ و٣٦٦، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، بإشراف الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين. من منشورات مكتبة المشعل في بيروت، وإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة، ١٩٨١م.

(٣) في المبحث الأول من الفصل الأول.

بعض من أسلم منهم أنهم يعتمدون ذلك في حق داود (عليه السَّلام) لأن عيسى (عليه السَّلام) من ذريته ليجدوا السبيل إلى الطعن فيه[1].

ومن المعروف أن اليهود قد نالوا من سيِّدنا عيسى (عليه السَّلام)، ومن أمه السيدة مريم (عليها السَّلام)، واتهموها ـ كذباً وزوراً ـ بالزنا وهي التي أحصنت فرجها وتطهرت روحاً وجسداً؛ يقول تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[2].

يذكر الطبري أن الله (جلَّ ثناؤه) يعني بقولهم على مريم بهتاناً عظيماً: فريتهم عليها ورميهم إياها بالزنا وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها ـ بغير ثبت ولا برهان ـ بريئة؛ فبهتوها بالباطل من القول»[3].

ولعل افتراء اليهود على كل من سيِّدنا داود وسيِّدنا عيسى (عليهما السَّلام) كان نوعاً من التشكيك في ما أعلنه الله سبحانه على لسان داود وعيسى ابن مريم من لعنه لليهود وغضبه عليهم؛ يقول تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[4].

يذكر الطبري: أن الله سبحانه لعن اليهود على لسان أنبيائهم ورسله: داود وعيسى ابن مريم، وكان لعْن الله إياهم على ألسنتهم، ونقل عن ابن عباس قوله: «لعن اليهود بكل لسان: لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد ﷺ في القرآن»[5].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ٦/ ٣٧٦. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٦.

(٣) راجع: جامع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٩. نشر دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) سورة المائدة، الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٥) تفسير الطبري ٦/ ٢٠٥.

ثم كانت الطامة الكبرى حين انتقلت هذه الأكاذيب إلى بعض مصادر الفكر الإسلامي؛ حيث وردت تلك المفتريات في كثير من كتب التفسير، ونقلت على أنها روايات بعضها مرفوع إلى النبي ﷺ، وبعضها الآخر موقوف على الصحابة والتابعين؛ فكان لا بد من معالجة هذا الأمر الخطير، ونقد هذه الروايات المرفوعة والموقوفة عن طريق كتب الجرح والتعديل وتبين ـ كما سيرى القارىء ـ أنها تسربت إلى هذه المصادر عن طريق الإسرائيليات فبيَّنا خطورة الإسرائيليات على الفكر الإسلامي، وضرورة مواجهتها وتنقية التراث من فسادها.

وجاءت هذه الروايات في تفسير فتنة داود المذكورة في القرآن الكريم حينما قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿. . . وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1].

وسوف يتبن للقارىء أن هناك نفراً من العلماء قد تصدوا لهذه المفتريات وبينوا فسادها وكشفوا عوارها وأطلقتُ عليهم: «المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السلام)»، بعد أن عرضت لآراء المفترين الذين نسبوا إلى داود ارتكاب الكبيرة ولآراء الملطفين الذين نسبوا إليه ارتكاب الصغيرة.

ولذلك فإنني قسمت هذا الكتاب إلى فصلين:

الفصل الأول: يدور حول مطاعن اليهود في نبي الله داود من أسفار العهد القديم. ويشتمل على أربعة مباحث: بينت فيها مطاعن اليهود: في نسبه، وفي دينه وخلقه، وفي بيته وأسرته. ثم قمت بدفع هذه المطاعن وإبطالها وبيان علة اتهام اليهود لأنبيائهم بالزنا ورميهم بالفواحش.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن «فتنة داود في القرآن بين أكاذيب الإسرائيليات وتنزيه الأنبياء». ويشتمل على ستة مباحث: تحدثت فيها عن: نبوة سيِّدنا داود، وصورته الوضيئة في القرآن الكريم، وذكرت الاتجاهات المختلفة في تفسير فتنة داود:

---

(١) سورة ص: الآيات ٢١ ـ ٢٥.

ـ أصحاب الاتجاه الأول: **وهم القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) للكبيرة.** من خلال اعتمادهم على الروايات المرفوعة والموقوفة! وقمت بنقد هذه الروايات من ناحية السند، وبينت أنها من مناكير الإسرائيليات وأكاذيبها، وقمت بنقد هذه الروايات أيضاً من ناحية المتن. وبيَّنت أنها تتنافى مع عصمة الأنبياء واقتضى ذلك أن نتحدث بشكل موجز عن «عصمة الأنبياء».

ـ ثم عرضت لأصحاب الاتجاه الثاني: **وهم القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) للصغيرة.** وذكرت آراءهم المختلفة وتنوع الوجوه التي اعتمدوا عليها في تلطيف الذنب وتخفيفه من الكبيرة إلى الصغيرة.

ـ وأخيراً عرضت لأصحاب الاتجاه الثالث: **وهم المنزِّهون لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن الكبيرة والصغيرة معاً**، وذكرت اختلافهم في وجوه التنزيه وعرضت لآراء كل فريق منهم ثم رجحت الرأي الذي ارتضيته وبينت أسباب ترجيحه.

* وأسأل الله سبحانه أن يتقبل مني هذه الدراسة التي ـ تزعم أنها ـ بيَّنَت تنزيه نبي الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات من خلال نقد النصوص المذكورة في أسفارهم وانطلاقاً من هيمنة القرآن الكريم والرجوع إليه وتحكيمه؛ يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾(١).

ومما ينبغي ذكره أن أشير إلى أن هذا الكتاب له قصة طريفة؛ فقد جمعت جزءاً من مادته العلمية في مصر، ثم سافرت إلى الرياض معاراً إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى اشتعلت حرب الخليج وبدأت معركة «عاصفة الصحراء»، وكنت قد شرعت في استكمال

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨ .**وهذا الكتاب هو جزء من سلسلة أزمعتُ على إصدارها وقمت بالإعداد لها؛ وأسأل الله أن يوفقني فيها ويعينني على القيام بها وهي تحت عنوان:**
«أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم»

مادته العلمية من مكتبات الجامعة بالرياض، فتنقلت بأوراق الكتاب من الرياض العاصمة إلى مكة المكرّمة عدة مرات ـ قضيت فيها أياماً مباركة بجوار بيت الله الحرام وفي رحاب الكعبة المشرفة ـ، وانتفعت بمكتبة الحرم المكي الشريف، حتى اكتملت مادته العلمية، وكتبت بعض مباحثه، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وعدنا إلى الرياض بسلام استأنفت كتابته مرة أخرى حتى انتهيت منه بعون الله وتوفيقه، فلله الحمد في الأولى والآخرة، وأسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

الرياض في ذي الحجة

١٤١١هـ/

يونية ١٩٩١م

الدكتور فتحي محمّد الزّغبي

الفصل الأول

دفع مطاعن اليهود في النبي داود من العهد القديم

ويشتمل على أربعة مباحث:

* المبحث الأول: طعن اليهود في نسب سيِّدنا داود.
* المبحث الثاني: طعن اليهود في دين وخلق النبي داود.
* المبحث الثالث: طعن اليهود في بيت وأسرة النبي داود.
* المبحث الرابع: دفع هذه المطاعن وبيان علة اتهام اليهود لأنبيائهم ورميهم بالفواحش.

المبحث الأول

طعن اليهود في نسب سيِّدنا داود

طعن اليهود في نسب النبي داود:

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن «داود» اسم عبري معناه «محبوب» وهو ابن «يسي» وثاني ملوك إسرائيل[1].

وقد ورد في القاموس تقسيم لحياته إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة حداثته وشبابه.

المرحلة الثانية: علاقته بشاول (أول ملوك بني إسرائيل).

المرحلة الثالثة: تنصيبه ملكاً على سبط «يهوذا» فقط.

المرحلة الرابعة: تنصيبه ملكاً على كل بني إسرائيل[2].

وفي هذا الفصل الأول سوف نبين أن مدوني أسفار العهد القديم[3]

---

(١) ص٣٦١.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في المصدر السابق: ص٣٦١ ـ ٣٦٦، وفي رسالتنا للدكتوراه «تأثر اليهودية بالأديان القديمة» كلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ في الفصل الخاص بتاريخ اليهود من ص١٢٨ إلى: ص١٣٤.

(٣) لمعرفة المراد بالعهد القديم وأسفاره وتقسيماته: راجع رسالتي للدكتوراه: ص١٢ ـ ٢٨، والتي نشرت بعنوان: «تأثُّر اليهودية بالأديان الوثنية»، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر ـ طنطا ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. وكتابي: «القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود»: ص١٤٥ ـ ١٥٤، طنطا ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، والطبعة الثانية، دار الآفاق العربية ـ القاهرة ٢٠٠٩م.

قد تآمروا على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وكادوا له وطعنوا فيه من عدة نواحٍ؛ حيث طعنوا في نسبه القريب والبعيد، ورموه هو وآباؤه وأجداده من ناحيةٍ، ورموا أبناءه وبناته وأزواجه ـ من ناحية أخرى ـ بأفحش المفتريات وتطاولوا عليه بأن شوَّهوا حياته الدينية والخلقية والاجتماعية تشويهاً شديداً واتهموه اتهامات باطلة؛ مما يؤكد لنا أن هناك مؤامرة خسيسة نسجوا خيوطها، وأن ثمة مكيدة خبيثة حاكوها ضده.

يذكر الحاخام اليهودي السابق الحبر شموئيل بن يهوذا ـ والذي هداه الله إلى الإسلام، فسمي بالإمام المهتدي السموأل يحيى المغربي ـ: أن أكثر العجب من اليهود أنهم جعلوا داود النبي (عليه السَّلام) «ممزير»[(1)]؛ وذلك أنهم لا يشكون في أن داود بن بشاي بن عابد وأبو هذا عابد ـ يقال له (بوعز) من سبط يهوذا، وأمه يقال لها (روث المؤابية) من بني مؤاب، ومؤاب هذا منسوب عندهم في نص التوراة، **في هذه القصة**:

وهي أنه لما أهلك الله (تعالى) أمة لوط لفسادها، ونجا بابنتيه فقط، خالتا أن الأرض قد خلت ممن تستبقيان منه نسلاً، فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا لشيخ، وإنسان لم يبق في الأرض ليأتينا كسبيل البشر، فهلمِّي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه، لنستبقي من أبينا نسلاً!!!.

ففعلتا ذلك، بزعمهم (لعنهم الله)، وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر، ولم يعرف ابنتيه، ثم وطئهما فأحبلهما، وهو لا يعرفهما، فولدت إحداهما ولداً أسمته «مؤاب» تعني أنه من الأب، والثانية سمت ولدها «بن عمي» تعني أنه من قبيلتها! وذلك الولدان عند اليهود «ممزريم» ضرورةً لأنهما من الأب وابنتيه!!!

---

(١) ممزير: اسم لولد الزنا عند اليهود، وهو مفرد، وجمعه «ممزريم». راجع «إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ»: ص١٤٦، للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠هـ) ـ الحبر اليهودي السابق، وكان اسمه «الحبر شموائيل بن يهوذا بن أبواف ـ تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، الرياض ـ السعودية ١٤٠٧هـ.

فإن أنكروا ذلك، لأن التوراة لم تكن نزلت، لزمهم ذلك، لأن عندهم أن إبراهيم الخليل (عليه السَّلام) لما خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته، أخفى نكاحها وقال: هي أختي(١). علماً منه بأنه إذ قال ذلك، لم يبق للظنون إليها سبيل.

وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت، كان في ذلك الزمان مشروعاً، فما ظنك بنكاح البنت(٢)!! الذي لم يجز، ولا في زمن آدم (عليه السَّلام)(٣).

وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي، في التوراة الموجودة بأيدي اليهود، فلن يقدرو على جحدها فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط: ممزريم، إذ توليدهما على خلاف المشروع.

وإذا كانت (روث) من ولد مؤاب، وهي جدة داود (عليه السَّلام) وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهما جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه(٤).

---

(١) سوف نخصِّص إن شاء الله بحثاً مستقلًّا عن رحلة سيدنا إبراهيم إلى مصر هو وزوجه ساره وما وقع لهما من حاكم مصر آنذاك، وندرس الحكاية كما وردت عند اليهود، ونقارن بينها وبين ما ورد في السُنَّة النبوية الصحيحة وحتى يتبين لنا الفرق بينهما، وفي هذا الصدد سوف يكون لنا وقفة مع الذين يردِّدون هذه الحكاية التوراتية وينسفون الحادث التاريخي كله وينسون أو يتناسون ويجهلون أو يتجاهلون الرواية النبوية الصحيحة في هذا الشأن. قلت هذا في الطبعة الأولى، وقد تحقق كلّ ما قلته بعون الله في بحث منشور بحولية كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر، فرع طنطا ـ العدد العاشر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، بعنوان: «شبهات حول عصمة الخليل إبراهيم (عليه السَّلام) والردّ عليها» الشبهة الثالثة.

(٢) كان زردشت صاحب الزردشتية، وهي من مذاهب المجوسية، يدعو إلى نكاح البنات ومعها نكاح الأخوات والأمهات، وسار على مذهبه هذا غلاة الشيعة، راجع في ذلك كتابي «غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام»، الباب الخاص بالتأثير المجوسي. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، والطبعة الثانية، دار الآفاق العربية ـ القاهرة ٢٠٠٩م.

(٣) إفحام اليهود: ص١٤٧ ـ ١٤٨.

(٤) المصدر السابق: ص١٤٨ ـ ١٤٩، وسوف نتكلم في المبحث القادم إن شاء الله عن «روث» أو «راعوث» المؤآبية.

وقد أورد الإمام القرافي هذه الحكاية وزادها توضيحاً وعلق عليها بقوله: داود (عليه السَّلام) من هذه الذرية فهو ولد زنا عندهم (لعنهم الله) فما أجرأهم على أعراض الأنبياء (عليهم السَّلام) بل على دمائهم.

ومثل هذه الحكاية كثير في التوراة يسمونها «النجاسات» وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات، وكيف يليق نسبته إلى الله (تعالى)، فيقطع العاقل أن شرب لوط (عليه السَّلام) الخمر وزناءه بابنتيه كذب، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء (عليهم السَّلام) وأن الله (تعالى) شرفهم نسباً وخلقًا وسيرة وسريرة بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سبباً للطعن عليه، وهو مقتضى الحكمة، وإلا لما صلح جعله رسولاً عن الله (تعالى) ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك لا يعتمد مثل هذا، فكيف برب الأرباب[(١)].

وإن المرء منا حينما تقع عيناه على هذا الهراء ليصاب بدهشة شديدة ويقع في حيرة بالغة من وجود كل هذا التآمر البذيء على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) والذي ينبيء عن حقد أسود في قلوب اليهود وعداء شديد في نفوسهم تجاه هذا النبي الأواب.

لكن الدهشة تزول، والحيرة تذهب حينما يكشف لنا الحبر اليهودي السابق والإمام المهتدي السموأل سر هذا التآمر فيذكر أن موسى (عليه السَّلام) جعل الإمامة في الهارونيين أي في نسل هارون (عليه السَّلام) وهذا مذكور عندهم في التوراة[(٢)]؛ فلمَّا وُلِّي طالوت[(٣)] وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة

---

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للملَّة الكافرة: ص١١٢ ـ ١١٣، طُبع على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف العلَّامة عبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده، نشر دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي، بدون تاريخ.

(٢) راجع سفر الخروج ٤٠: ١٢ ـ ١٥.

(٣) طالوت هو الملك الذي ولَّاه الله على بني إسرائيل وزاده بسطة في العِلم والجسم، وورد ذكره في القرآن الكريم، ويرجَّح أنه هو «شاول» أول ملوك بني إسرائيل، ولكنهم =

عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عزرا ـ كاتب التوراة ـ خادماً لملك الفرس، حظيا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم[١].

فلما كان هارونيًّا، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاغيين في نسب داود!

أحدهما: قصة (بنات لوط).

والآخر: قصة (ثامار)[٢].

وسنعرض هنا في هذا المبحث لهاتين القصتين.

أولاً: قصة بنات لوط المزعومة

وقد وردت هذه القصة في سفر التكوين هكذا:

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر[٣] فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر، واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً

= كالعهد بهم، شوَّهوا صورته وشنَّعوا عليه. راجع تفصيل الحديث عن ذلك في رسالتي للدكتوراه «تأثر اليهودية بالأديان القديمة»، الفصل الخاص بتاريخ اليهود.

(١) إفحام اليهود: ص١٥١.

(٢) المصدر السابق: ص١٥١ ـ ١٥٢. راجع أيضاً: الأجوبة الفاخرة: ص١١٤، وابن القيم في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»: ص٣٨ ـ ٤١، مطبوع على هامش الفارق أيضاً.

(٣) صوغر: إحدى مدن دائرة الأردن التي كانت ترى من جبل نبو حتى صوغر، ولعلها كانت إلى الضفة الشرقية من البحر الميت. (راجع التفاصيل في القاموس: ص٥٦٢).

الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه «موآب»، هو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه «بن عمي»، وهو أبو بني عمون إلى اليوم[١].

وفي هذه النصوص كما يقول العلَّامة ابن حزم[٢] فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله (تعالى) العارفين بحقوق الأنبياء (عليهم السَّلام)، فأولها ما ذكر عن ابنتي لوط (عليه السَّلام) من قولهما: ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء، تعالي نسقِ أبانا خمراً ونضاجعه ونستبقِ منه نسلاً. فهذا كلام أحمق في غاية الكذب والبرد، أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما؟! إن هذا لعجب، فكيف والموضع المعروف إلى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط (عليه السَّلام) مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم (عليه السَّلام) إلا فرسخ واحد لا يزيد وهو ثلاثة أميال فقط[٣]!! فهذه سوأة.

والثانية: إطلاق الكذاب ـ الواضع لهذه الخرافة (لعنه الله) ـ هذه الطومة على الله (عَزَّ وجَلَّ) من أنه أطلق نبيه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى[٤].

---

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨، وجاء في السنن القويم في تفسير أسفار العصر القديم أن كلا الاسمين: مؤاب وبن عمي، يدل على الأصل الحرام، ولكن دلالة الثاني أقلّ من دلالة الأول على ذلك، لأن معناه «ابن شعبي» أي ولدها من واحد من أقربائها: ص١٤٦. وهذا التفسير مبني على آراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ بيروت ١٩٧٣م.

(٢) في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، الجزء الأول، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٣) راجع: سفر التكوين ١٣ : ١٠ ـ ١٣.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

وفي هذا يقول الشيخ علي الباجي:

كيف يحسن أن يقال: «وقالت الكبرى للصغرى... فإن هذا لا يظن بلوط (عليه السَّلام) أن يسكر بحيث يغيب عقله إلى هذا الحد، ولا أن يزني بابنتيه ويحبلهما بولدي زنا! بل لو وقع هذا لبعض آحاد الناس، لما وسعته الأرض بعد ذلك حزناً وهماً، بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك أصلاً، فضلاً عن أن يقيم عذره بعدم علمه[1].

فإن قالوا: لا ملامة عليه في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران وهو لا يعلم من هما[2]. يجيب عليهم ابن حزم بقوله: فكيف عمل إذ رآهما حاملتين وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة!! وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا؟!! وينتهي إلى أن هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله (تعالى) وبرسله (عليهم السَّلام)[3].

والثالثة: إطلاقهم على الله (تعالى) أنه نسب أولاد ذينك الزنيمين فرخي الزنا إلى ولادة لوط (عليه السَّلام) حتى ورثهما بلدين كما ورث بني إسرائيل

---

(١) على التوراة: ص٧٣ ـ ٧٤، نشر دار الأنصار، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) يصف الشيخ رحمت الله الهندي ما نسبه اليهود إلى سيدنا لوط زوراً بأنها حركة شنيعة لم يسمع مثلها في الأراذل الذين يكونون مخمورين أكثر الأوقات، لأنهم يميزون في حالة الخُمار بناتهم عن الأجنبيات، وإذا سقط الامتياز بين البنات وغيرها لشدة الخُمار لا يبقى السكران في هذا الوقت قابلاً للجماع كما شهد به المولعون بشرب الخمر وما سمعنا إلى الآن في الهند أن رذيلاً من الأراذل فعل هذا الأمر في الخُمار ببنته أو أمه، ولو كان الخُمار موصلاً إلى هذه الرتبة فواأسفي على حال أهل أوروبا من المسيحيين! كيف يرجى نجاة أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم من أيدي الأبناء والآباء والإخوة؟ لأنهم في أغلب الأوقات يكونون سكرانين رجالهم ونساؤهم سيما إذا قسنا الحال بالنسبة إلى أراذلهم. إظهار الحق ٤/ ١٢٢٣ ـ ١٢٢٤، تحقيق د/ محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٣٤.

وبني عيسو بني إسحاق سواء بسواء[١].

ويوضح الشيخ رحمت الله الهندي هذه السوأة، ويضيف إليها ويزيد عليها مبيناً بطلان هذه القصة قائلاً: «إن مؤاب وعمون هذين اللذين تولدا بالزنا ما قتلهما الله، وقتل الولد الذي تولد بزناء داود (عليه السَّلام) بامرأة أوريا!!»[٢].

لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات عندهم[٣]، بل هما كانا من المقبولين عند الله:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سوف نتحدث بعد ذلك بالتفصيل عن اتهام اليهود لسيدنا داود (عليه السَّلام) بأنه زنى بامرأة أوريا ـ وحاشاه ـ وأن ولد الزنا المزعوم قد مات، ولكني أودّ أن أنبِّه إلى أنَّ الشيخ رحمت الله الهندي يقول هذا القول من باب الحجاج والمناظرة للمبشرين الذين كانوا يناظرونه وقد أشار إلى ذلك بقوله: «وإني وإن كنت أستكره أن أنقل ذنوب الأنبياء والكفريات المفتريات عن كتبهم ولو إلزاماً، ولا أعتقد في حضرات الأنبياء اتصافهم بهذه الذنوب والكفريات حاشا وكلَّا، لكني لمَّا رأيت أن علماء البروتستانت أطالوا ألسنتهم إطالة فاحشة في حق محمد ﷺ في الأمور الخفيفة وجعلوا الخردلة جبلاً لتغليظ العوام غير الواقفين على كتبهم وكان مظنة وقوع السذج في الاشتباه بتمويهاتهم الباطلة نقلت بعضها إلزاماً، وأتبرأ عن اعتقادها بألف لسان، وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر، ونقل الكفر ليس بكفر، وقال في موضع آخر: «إن صدر عن قلمي في موضع من المواضع لفظ يوهم بسوء الأدب بالنسبة إلى كتاب من كتبهم المسلمة عندهم أو إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام، فلا يحمل الناظر على سوء اعتقادي بالنسبة إلى الكتب الإلهية والأنبياء عليهم السلام، لأن إساءة الأدب إلى كتاب من كتب الله أو إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام من أقبح المحذورات عندي ـ أعاذني الله وجميع أهل الإسلام منها. وانتهى إلى أن هذه الكتب ليست كتباً إلهية، وأن هذه القصص المفتراة على الأنبياء عليهم السلام وأمثالها يجب علينا أن ننكرها ونقول إنها غير صحيحة جزماً، ونعتقد اعتقاداً أن ساحة النبوة بريئة من أمثال هذه الأمور القبيحة. راجع إظهار الحق ١/ ١٢ ـ ١٤، ٣/ ١٢١٤.

(٣) يستدل الشيخ رحمت الله الهندي بذلك على بطلان القصتين معاً قصة لوط وداود عليهما السلام اللتين هما من افتراء اليهود.

أما مؤاب: فلأن عوبيد جد داود (عليه السَّلام) اسم أمه راعوث ــ كما هو مصرح في الباب الأول من إنجيل متى[1]ــ وراعوث هذه كانت مؤابية من أولاد مؤاب فهي من جدات داود (عليه السَّلام)، وعيسى (عليهم السَّلام)، وداود ابن الله البكر[2]، وسليمان أيضاً ابن الله[3]، وعيسى ابن الله الوحيد[4]، بل الله على زعم المسيحيين[5].

والآية التاسعة عشرة من الباب الثاني من سفر التثنية هكذا: «وتدنو إلى قرب بني عمون، احذر تقاتلهم ولا تتحرك إلى محاربتهم فإني لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمون، إني أعطيتها بني لوط ميراثاً».

فأي شرف لمؤاب وعمون وَلَدَي الزنا أزيد من هذا: أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله بل الله على زعمهم، وبعض بنات الثاني صارت جدة لابن الله الوحيد بل الله على زعمهم، وأن الله منع بني إسرائيل ــ الذين كانوا أبناء الله بنص التوراة ــ عن توريث أرض أولاده، لكنه بقيت خدشة وهي أنه إذا وصل نسب عيسى (عليه السَّلام) باعتبار هاتين الجدتين المعظمتين إلى مؤاب وعمون صار مؤابياً وعمونياً، وما كان للعمونيين والمؤابيين أن يدخلوا جماعة الرب إلى الأبد.

الآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب التثنية هكذا: «والعمونيون والمؤابيون بعد العشرة أحقاب أيضاً لا يدخلوا جماعة الرب إلى الأبد»[6].

---

(١) إنجيل متى ١: ٥ ــ ٦.

(٢) مزمور ٢: ٧/ ٨٩: ٢٧.

(٣) صموئيل الثاني ٧/ ١٤.

(٤) إنجيل يوحنا ٣/ ١٦ ــ ١٨.

(٥) إظهار الحق ٤/ ١٢٢١.

(٦) تثنية: ص٢٣: ٣: «لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد». ومن الملاحظ أن الشيخ رحمة الله (رحمه الله) يرجع هنا إلى الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدَّس.

فكيف دخل عيسى (عليه السلام) جماعة الرب بل صار رئيسهم، بل ابن الله على زعمهم؟

وإن قيل: إن اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات فلا يكون عيسى (عليه السَّلام) عمونياً ولا مؤابياً.

يجيب على ذلك الشيخ رحمت الله الهندي بقوله: لو كان كذا يلزم أن لا يكون إسرائيلياً يهودياً داوديًّا سليمانياً أيضًا[١]، إذ حصول هذه الأوصاف له أيضاً من جانب الأم لا الأب، فلا يكون مسيحياً موعوداً به، واعتبار هذه الأوصاف باعتبار الأم، وعدم اعتبار كونه عمونياً ومؤابياً من جهة الجدات ترجيح بلا مرجح، وهذا وارد على داود وسليمان (عليهما السَّلام) أيضاً باعتبار راعوث[٢].

ويبين العلَّامة ابن حزم بطلان القصة حينما يذكر أن كاتب التوراة قد ذكر أن إبراهيم أخذ امرأته سارة وابن أخي لوط حينما أمره الله (تعالى) بالمسير من حران إلى أرض كنعان، وذكروا في بعض توراتهم أن لوطاً قد كلمته الملائكة وأن الله (تعالى) أرسلهم إليه، فصح بإقرارهم أنه نبي الله عزّ وجلّ وهم يقولون أنه بقي في تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لا شيء له يرجع إليه[٣].

فكيف يدخل في عقل من له أقل إيمان أن إبراهيم (عليه السَّلام) يترك ابن أخيه الذي تغرب معه وآمن به ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن في مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكاً وهو على ثلاثة أميال منه؟! وإبراهيم على ما ذكر في التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضة والعبيد والجمال والبقر والغنم والحمير، ويقولون في توراتهم: إنه ركب في ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر مقاتلاً لحرب الذين سبوا لوط وماله، حتى استنقذوه وماله، فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع؟! وينتهي ابن حزم إلى أن هذه ليست صفات الأنبياء ولا كرامة

---

(١) إظهار الحق ٤/ ١٢٢٢ ـ ١٢٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٣٤.

ولا صفات من فيه شيء من الخير، ولكن صفات الكلاب الذين وضعوا لليهود هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها، ونعوذ بالله من الخذلان[١].

فالتلفيق واضح إذن في القصة، والكذب مفضوح فيها، وذلك من تدبير الله سبحانه، وحفظه لأنبيائه، وصيانته لسيرتهم الطيبة أن يلم بها دنس، أو يعلق بها زور وبهتان!

فليس يقع في عقل عاقل أن إنساناً يسكر حتى يفقد الوعي فقداناً كاملاً، حتى يأتي هذا الفعل الذي يقال ـ زوراً ـ إنه فعله دون أن يحس أو يشعر أو يذكر شيئاً حتى بعد صحوه!! أذلك شيء يقع في عالم السكارى والمخمورين!

وإذا حدث مرة، فهل يتكرر؟ وفي الليلة التالية؟، وإذا حدث هذا أو ذاك، فهل من الحتم اللازم أن تحبل البنتان بعد المضاجعة؟، وهل كانتا معاً في حالة مهيأة للحمل؟ إن القصص الخيالية لا يقبل الخيال فيها أن تظل هذه الثغرات دون أن تعالج بحيلة ما، حتى تكون أقرب إلى القبول[٢].

وقد تنبَّه الإمام السموأل إلى هذه النقطة فقال في معرض حديثه عن نقد القصة وإبطالها:

وأيضاً فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة قد سقي الخمر حتى سكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه فضاجعته إحداهما واستنزلت منيه، وقامت عنه وهو لا يشعر!! قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

نطق كتابهم في قوله «ولو با داع بشنخباه ويقوماه» تفسيره: ولم يشعر باضطجاعهما وقيامهما. وهذا كما يقول العلّامة السموأل حديث من لا يعرف كيفية الحبل لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٢) راجع: عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: ص٥٨ ـ ٥٩، الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م.

حسه لفرط سكره، ومما يؤكد استحالة ذلك، أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية، فعلقت أيضاً، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم في ليلة ويعلق منه أيضاً في الليلة الثانية[١].

وفي ذلك يقول العلَّامة القرافي: «ثم تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح امرأتين ثم وطؤهما وتحبيلهما معاً في الليلة الواحدة، فهذه القصة غارقة في بحر البهتان، قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان[٢].

ويقول الشيخ رحمت الله الهندي «العجب أن هذا القديس كما ابتلي في الليلة الأولى ابتلي في الليلة الثانية، إلا أن يقال: إن هذا الأمر كان أمراً مقضياً ليتولد أبناء الله بل الله (سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً) من بعض بناته، ويدخل هو في سلسلة نسب ابن الله الوحيد، ومثل هذا لو وقع لبعض آحاد الناس ضاقت عليه الأرض بما رحب حزناً وهماً، فالعجب من لوط!!.

وينتهي الشيخ رحمة الله إلى الاستعاذة بالله من هذه الخرافات ويقول: إن هذه القصة من المفتريات[٣].

فهذا لوط (عليه السَّلام) من رسل الله الأكرمين، أوقعه الله في فاحشة فيما يزعمون كما أوقع الأرذلين، ثم خلد ذكرها في الآخرين، وهل هذا إلا عين الإهانة؟ وأي نسبة بين هذا وبين النبوة والكرامة[٤]؟!.

ويذكر الشيخ أبو عبيدة الخزرجي أن ما نسبه اليهود إلى سيِّدنا لوط (عليه السَّلام) هو من الأكاذيب والتحريف الشنيع والكفر البشيع والخرافات التي هي حديث العجائز والتي اشتملت عليها توراتهم. ويتساءل قائلاً: فهل يحسن

---

(١) إفحام اليهود: ص١٥١.

(٢) الأجوبة الفاخرة: ص١١٤.

(٣) إظهار الحق ٤/ ١٢٢٤.

(٤) انظر: القرطبي: الإعلام بما في دين النصرانية من الفساد والأوهام، الجزء الأول: ص١٩٦، تحقيق د/أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

أن يكون لوط نبياً من الأنبياء، ورسولاً من الله، ويوقعه الله في مثل هذه الفاحشة؟[1]!.

فهذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذو بصيرة، والتوراة التي أنزلها الله على سيِّدنا موسى بريئة من ذلك، فبالنسبة لهذه الفرية التي فيها عن سيِّدنا لوط (عليه السَّلام) يقول الإمام ابن القيم: «فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه آخر عمره ثم يذيعها عنه ويحكيها للأمم»[2]!!.

وحول ذلك يسأل صاحب «السيف الصقيل»[3]: «لو فرضنا صدق هذه الحكاية المحال وقوعها ـ وأنها صادرة عن علم موسى (عليه السَّلام) فما الحامل له على ذكرها؟! وما الغرض والفائدة من بثها؟! مع أنه لم يلحقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب؟!

وينتهي إلى أنه: «حاشا لجنابه الشريف أن يتعرض لهتك أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض.. وما هي إلا دسيسة دسها من لا يخشى الله في الكتب السماوية».

ويذكر الأستاذ عصام الدين حفني ناصف أنه: لا مجال في قصص الأنبياء لسياقة الخرافات والترهات، ولا لتفصيل الأوضاع الشاذة وتصوير الأحوال الموسومة بالجنوح والانحراف، ولكن قصة لوط (عليه السَّلام) في توراة اليهود ـ لم يقنع كاتبوها بأن تكون قصة كاملة ذات رأس ورجلين، وأصروا على أن يكون لها ذيل، ولو أبطل هذا الذيل قيمتها وأفقدها مغزاها، وجعلها إلى البهيمية أدنى، فأصبحت غير قمينة بأن يطالعها الأحداث وبخاصة لأن المؤرخ

---

(١) بين الإسلام والمسيحية: ص٢٩٣، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه د/محمد شامه، مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.

(٢) هداية الحيارى: ص٣٨.

(٣) الشيخ أبو بكر عمر التميمي الداري نقلاً عن عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص٥٨.

(المقدس) أسهب في تفصيل حوادثها الماجنة دون أن يعلق عليها بكلمة استنكار[١].

فهذه القصة تعلم قراءها من رجال ونساء الرذيلة وأعمال الفحش، وتثبت فيهم روح الدعارة وانحطاط الأخلاق، الأمر المضاد لما هو المقصود من الوحي السماوي، وليس من فائدة لقرّاء هذه القصة سوى فساد الأخلاق، فتبارك الله الكريم الذي يقول: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن»[٢].

وشتان ما بين نهاية قصة لوط وقومه في القرآن الكريم[٣] ونهاية قصة لوط وبناته في التوراة المحرفة، تنتهي القصة في القرآن الكريم بالموعظة والعبرة، وتنتهي القصة في التوراة المحرفة بدعوة إلى الفجور، وإلى شرب الخمور، وإلى اعتداء الإنسان على محارمه، تنتهي بصورة حقيرة بالغة الخسة تفوق خسة قوم لوط وشذوذهم، تنتهي بأن تزعم هذه التوراة المحرفة أن نبياً كريماً من أنبياء الله قارف الفاحشة مع ابنتيه بعد أن شرب الخمر، ويا لها من صورة تثير التقزز والاشمئزاز، ولكنها عقلية أحبار يهود الذين لوثوا الأنبياء جميعهم، ليسهل لهم اقتراف جرائمهم التي لا يدانيها جرائم أي قوم آخرين ولو كانوا قوم لوط.

وهكذا أراد كاتب سفر التكوين أن يختم لنا حياة ذلك النبي الكريم على الله بذلك الإثم الذي ادعاه ظلماً وعدواناً. وباليقين نبي الله أبعد ما يكون عن هذا الإثم وأطهر وأعظم من عقل وفكر كاتب أسفار العهد القديم الذي وقع ووقع الشعب الذي ينتمي إليه قبل السبي وبعده في الإثم والخطيئة والمعصية.

---

(١) راجع: الأسطورة والوعي: ص٦٢، دار العلم الجديد، ١٩٧٦م.

(٢) راجع: مؤتمر تفسير سورة يوسف (عليه السَّلام): ص١٤٨، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م الجزء الأول، مطابع دار الفكر بدمشق.

(٣) سوف نخصص ـ بعون الله ـ بحثاً مستقلًّا عن سيدنا لوط بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم وسيكون شاملاً للقصة بكاملها.

وحين كان التدوين والتسجيل راح الكتاب ليخلعوا على أنبياء الله ورسله تلك المآثم والموبقات وهم بحكم النبوة وعصمتها أطهر وأبرأ وأنظف من كل تلك المآثم التي خلعها كتاب العهد القديم على أنبياء الله ورسله، ولذلك فإن هذه الرواية المفتراة على سيِّدنا لوط (عليه السَّلام) بهذا الإثم الذي ألصقته به تعتبر من أبشع وأفحش الروايات والقصص التي تنسج تهماً ومفتريات وتخلعها على النماذج العظيمة من البشر(١).

جاء في كتاب «أساطير العالم القديم» أن قصة مضاجعة لوط لابنتيه كما وردت في سفر التكوين هي تضمينة أسطورية مهاجرة من أصل مصري. وترد في الميثولوجيا بـ«أفروديت» و«ينك» ومن ألقابها «سيدة القصر»... وتروي أساطير هذه الإلٰهة «نفتيس» أنها كانت تتمنى أن تنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس ولهذا الغرض أسكرته وضاجعته، وكان ثمرة هذا اللقاء الدنس إنجابها للإله أنوبيس(٢).

وليس هذا أمراً مستبعداً من كتبة التوراة، وبخاصة أنهم قد تأثروا في كثير مما دونوه في الأسفار بالديانة الوثنية عند قدماء المصريين(٣).

والعجيب أنه بعد بيان بطلان هذه القصة المفتراة نجد أن بعض شرّاح العهد القديم من المسيحيين يبرر تلك الفعلة ويقدم لابنتي لوط ـ اعتقاداً منه بصحة هذه الرواية المفتراة ـ كل المعاذير في إقدامهما على هذا العمل المنكر الذي يستبعد من بنات آحاد الناس فضلاً عن بنات الأنبياء، بل إن هناك من يرى أن هذا عمل نبيل تستحق الفتاتان عليه كل تكريم وتقدير!!!.

جاء في السنن القويم وصاحبه يفسر قول البنتين المزعوم «فنحيي من أبينا

---

(١) د/صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه: ص٤٨٠، دار الجيل ـ بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) أساطير العالم القديم: ص٨٠ ـ ٨١.

(٣) وقد بيَّنت هذا في رسالتي للدكتوراه «تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة» أغسطس ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ.

نسلاً»: أن محبة النساء للنسل كانت شديدة جدًّا في تلك الأيام، وأن هذا كان كل عذر تينك البنتين[1].

ويذكر حبيب سعيد أن بعض الشراح قد ذهبوا في قصة اضطجاع لوط مع ابنتيه إلى أن هدفها تكريم المرأة التي تقبل على نفسها أن تبقي على الحياة الإنسانية على الأرض ولو بطريقة التناسل غير المشروع»[2]!!.

ويقول في تبجح شديد: «ومثل هذا الصنيع الذي يبدو لنا اليوم زراية وشناعة كانت له قيمته في زمن اتجه اهتمام الناس فيه إلى القبيلة والعشيرة لا إلى الأفراد، وهنا يجب أن لا نغفل بأننا الآن في عهد البداوة الإنسانية الأولى، لم يكن التاريخ البشري قد قطع بعد مرحلة طويلة في الرقي والأخلاق»[3].

وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى تعليق، لكننا إن شاء الله سنبين في نهاية هذا القسم الأول من الكتاب علة جنوح الشراح من النصارى إلى الطعن في الأنبياء وسبب قولهم بعدم عصمة الأنبياء.

وإذا كان قد تبين لنا أن قصة ابنتي لوط المزعومة والمفتراة هي جزء من المؤامرة الكبرى التي دبرها كتبة التوراة وحاكوها ضد سيِّدنا داود (عليه السَّلام) فإنه بجانب ذلك قد ذكر العلماء سبباً آخر جعل هؤلاء الأفاكين لا يتورعون عن إلصاق هذه التهمة الشنيعة بهذا النبي الكريم:

يقول الإمام المهتدي السمؤال مبيناً سبب وضع تلفيق هذه القصة: «إلا أن العداوة التي ما زالت بين بني عمون ومؤاب وبين بني إسرائيل بعثت بواضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمون ومؤاب[4]!!.

---

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العصر القديم ١/١٤٦.

(٢) خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام: ص٦١ دار التأليف والنشر الأسقفية بالقاهرة، ١٩٥٩م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) إفحام اليهود: ص١٥١.

ويذكر الإمام القرافي أن سبب هذا الإفك هو العداوة التي ما زالت بين إسرائيل وبين بني عمون وبني مؤاب، وأن هذه العداوة قد بعثت الواضع تلفيق هذا المحال ليكون عاراً كبيراً في بني عمون ومؤاب (لعنه الله) فيما افترى لعناً كبيراً[١].

ويوضح الأستاذ عصام الدين حفني ناصف هذا الأمر فيذكر أن شعبي مؤاب وبني عمون عرفا بصلابة الرأس وصعوبة المراس وأنهما ما انفكا منذ القديم ينصبان الحرب لبني إسرائيل ويدحرانهم وينزلان بهم أكبر الخسائر.

ومن أجل ذلك وجب على كتبة التوراة أن يتلقحوا عليهما[٢]، ويمرجوا[٣] ألسنتهم في أعراضهما ويلصقوا بهما أقبح المثالب ولم يكن ثم مثلبة أقبح من النغولة[٤]، وإنها لموبقة تحرم من يتصف بها حقوقه بوصفه إنساناً وتذره يعيش عمره شريداً طريداً، فإذا ما رزق أولاداً أورثهم هذا الإصر الفادح «لا يدخل ابن زنى جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب»[٥].

لقد افتروا على هذين الشعبين ولم يزعهم وازع، في سبيل حبك فريتهم، عن الاستطالة في عرض نبيّ معصوم[٦].

---

(١) الأجوبة الفاخرة: ص١١٤.
(٢) تلقَّح فلان على فلان: تجنَّى عليه بما لم يفعل ولم يقل. المعجم الوسيط، ص٨٣٤، مجمع اللغة العربية بمصر، نسخة مصورة عن دار المعارف بمصر ١٩٨٠م، نشر دار الدعوة باسطنبول ١٩٨٩م.
(٣) مرج لسانه في أعراض الناس: أطلقه للاعتداء عليها. المصدر السابق: ص٨٦٠.
(٤) جاء في المصدر السابق: نغل المولود نغوله، أي ولد عن زنى: ص٩٣٧.
(٥) تثنية ٢٣: ٢ _ ٣.
(٦) راجع: محنة التوراة على أيدي اليهود: ص١٨، ١٩، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ثانياً: قصة يهوذا وثامار

أما القصة الثانية وهي قصة «يهوذا وثامار» وهي أعجب من قصة بنات لوط.

وتتلخص ـ كما يرويها السمؤال من توراة اليهود ـ في أن يهوذا بن يعقوب (عليهما السَّلام) زوَّج ولده الأكبر من امرأة يقال لها «ثامار» وكان يأتيها مستدبرًا، فغضب الله من فعله فأماته، فزوَّجها من ولده الآخر فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض علماً منه أنه إن أولدها، كان أول الأولاد مدعواً باسم أخيه، ومنسوباً إلى أخيه، فكره الله ذلك من فعله فأماته أيضاً، فأمرها يهوذا باللحاق بأهلها إلى أن يكبر «شيلا» ولده ويتم عقله، حذراً من أن يصيبه ما أصاب أخويه، فأقامت في بيت أبيها، فماتت ـ من بعد ـ زوجة يهوذا، وأصعد إلى منزل يقال له «ثمنات»[1] ليجز غنمه، فلما أخبرت «ثامار» بإصعاد حميها إلى «ثمنات» لبست زي الزواني وجلست في مستشرف على طريقه، لعلمها بشيمه! فلما مر بها، خالها زانية فراودها، فطالبته بالأجرة، فوعدها بجدي، ورهن عندها عصاه وخاتمه، ودخل بها فعلقت منه «بفارص وزارح» ومن نسل فارص هذا كان «بوعز» المتزوج بـ «روث» التي من نسل مؤاب، ومن ولدها كان داود النبي (عليه السَّلام)[2].

وفي هذه الحكاية نسبتهم الزنا والكفر إلى بيت النبوة ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النبي (عليه السَّلام)، وهذا كله عندهم في نص كتابهم، وهم يجعلون هذا نسباً لداود وسليمان[3].

وقد وردت هذه القصة في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين، وهذا هو نصها مصحوباً بشيء من تعليقات السنن القويم.

---

(١) ثمنات: وردت في سفر التكوين ثمنة، وهي مدينة في جبال يهوذا إلى جنوبي حبرون واسمها الحديث «تبنه» قاموس، ص٢٢٣.

(٢) إفحام اليهود: ص١٥٢ ـ ١٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٥٥.

وفي مقدمة لتفسير هذا الإصحاح يقول صاحب السنن القويم:

المقصود من تاريخ يهوذا وأسرته أمران عظيمان. وذكر أن أعظمهما وأهمهما ـ فيما يقول ـ كون يهوذا وارث الموعد فتاريخه تاريخ سلسلة المسيح[1].

يقول الإصحاح: «وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته، ومال إلى رجل عَدُلَّامي اسمه حِيَرة، ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابناً ودعا اسمه عيرا، ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعت اسمه أونان، ثم عادت فولدت أيضاً ابناً ودعت اسمه شيلة وكان في كزيب حين ولدته.

وأخذ يهوذا زوجة لعيرا بكره اسمها «ثامار»، وكان عيرا بكر يهوذا شريراً في عين الرب، فأماته الرب، فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوَّج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه، فقبح بعيني الرب ما فعله فأماته أيضاً»[2].

فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. لأنه قال: لعله يموت هو أيضاً كأخويه، فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها، ولمَّا طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا، ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنه هو وحيرة صاحبه العدلامي، فأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع، وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها، فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك، لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ؟

---

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ١/ ٢٣١، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.
(٢) تكوين ٣٨: ١ ـ ١٠.

فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهناً حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذي أعطيك فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه، ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه المدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة فلم يجدها، فسأل أهل مكانها قائلاً: أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق، فقالوا: لم تكن ههنا زانية. فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا تصير إهانة، وإني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها[١].

ولمَّا كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له: قد زنت ثامار كنتك، وها هي حبلى أيضاً من الزنا، فقال يهوذا أخرجوها فتحرق.

أمَّا هي فلما خرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلى. وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا وقال: هي أبرّ منِّي، لأني لم أعطها لشيلة ابني فلم يعد يعرفها أيضاً.

وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان، وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة، وربطت على يده قرمزاً قائلة: هذا خرج أولاً، ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج فقالت: لماذا اقتحمت، عليك اقتحام، فدعى اسمه فارص، وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز، فدعى اسمه «زارح»[٢].

وفي نقد هذه القصة عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: أن الرب قتل «عير» لكونه رديئاً، ورداءته لم تبين، أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير، حيث زنى بزوجة أبيه؟ ومن رداءة عميه الآخرين شمعون ولاوي حيث قتلا[٣] ذكور أهل البلدة ومن رداءة أبيه

---

(١) تكوين ٣٨، ١١ ـ ٢٣.

(٢) تكوين ٣٨: ٢٤ ـ ٣٠.

(٣) عمه الكبير هو «رأوبين» وقد ورد في سفر التكوين «أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل» وحدث هذا حيث كان أبوه يعقوب موجوداً وسمع بذلك =

وجميع أعمامه حيث نهبوا أموال تلك البلدة، وسبوا نساءها وأطفالها[١]؟ ومن رداءة أبيه حيث زنى بزوجته[٢] بعد موته؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل وكان «عير» قابلاً للقتل فقتله الرب؟![٣].

والثانية: العجب أن الرب قتل أونان على خطأ عزل المني وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات المذكورة! أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطيئة؟[٤].

والثالثة: أن يعقوب لم يجر الحد ولا التعزيز على هذا الولد العزيز، ولا هذه المرأة الفاجرة، بل ما يثبت من هذا الباب ولا من باب آخر أن تنغَّص لأجل هذا الأمر من يهوذا؛ والإصحاح التاسع والأربعون من سفر التكوين شاهد صادق على عدم تكدره، حيث ذم روبيل وشمعون ولاوي على ما صدر عنهم، وما ذم يهوذا على ما صدر عنه، بل سكت عما صدر عنه ومدحه مدحاً بليغاً، ودعا له دعاءً كاملاً، ورجحه على إخوته[٥].

= الأمر، ولكنه لم يعنفه ولم يقم عليه الحد، وكل ما فعله فيما تزعم الأسفار أنه خسر امتياز البكورية لأنه دنس فراش أبيه. (راجع تكوين ٣٥: ٢٢/ ٤٩: ٣، ٤ قاموس الكتاب المقدس: ص٣٩٣).

(١) ورد في الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين: أنه بينما كان يعقوب راجعاً من فدان أرام إلى أرض كنعان مر على بلدة في شكيم فخرجت ابنته دنية لترى بنات تلك البلاد فرآها شكيم بن حمور وكان أمير البلاد هناك فأغواها وأذلها ثم طلب أن يتزوجها، فأبى إخوتها إلا إذا اختتن هو وكل الذكور في شكيم، فقبل حمور وابنه شكيم هذا الشرط، واختتن جميع الذكور في تلك المدينة، ولما تحقق شمعون ولاوي من أن أهل شكيم يتوجعون بسبب اختتانهم وأنهم لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم هجما على المدينة وقتلا حمور وشكيم ونهبا المدينة وسبيا الأطفال والنساء... أما يعقوب فقد وبّخهما على عملهما هذا غير أنهما احتجا بغيظهما الشديد على شكيم لما ارتكب من إذلال أختهما. راجع: (٣٤: ١ ـ ٣١) قاموس الكتاب المقدس، وشكيم: هي نابلس الآن، ص٣٨٣.

(٢) يقصد: أباه يهوذا حينما زنا بزوجة «عير» وهي «ثامار».

(٣) إظهار الحق ٤/ ١٢٣٤.

(٤) إظهار الحق ٤/ ١٢٣٤.

(٥) المصدر السابق: ص١٢٣٤ ـ ١٢٣٥، راجع سفر التكوين ٤٩/ ٨ ـ ١٢، وجاء في =

وقد استدل الإمام القرافي بما ورد في هذه القصة عموماً ـ وما ورد في الملاحظة السابقة خصوصاً ـ على تحريف توراة اليهود وتبديلها بما يقطع بأنها ليست التوراة المنزلة على سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) فيقول: في التوراة أن يهوذا بن يعقوب (عليه السَّلام) زنا بكنته ناموز «ثامار» ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه وأنها حملت منه، وصار شهرة بني إسرائيل، مع أن في التوراة أنه كان حظياً عند أبيه ودعا له بتخليد الملك والنبوة في عقبه، فلا نبوة يهوذا صانوها عما تليق بأدنى السفلة من الفاحشة وسوء السمعة ولا دعاء يعقوب (عليه السَّلام) صانوه عن عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة! وذلك كله ينافيه ما للأنبياء (عليهم السَّلام) من العصمة، بل ما يوجب لهم من صون الله (تعالى) لهم في جميع أحوالهم عما يوجب وصمهم واحتقارهم في نفوس شيعهم وأممهم، وذلك دليل التبذيل والافتراء والكذب والبهتان على الله (تعالى) وعلى خاصته صلوات الله (تعالى) عليهم أجمعين[١].

والرابعة: أن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدة البر فسبحان الله! نعم البار، ونعمت البارة الفائقة في البر من البار المذكور، كيف لا تكون بارة شديدة حيث لم تكشف عورتها إلا لأب زوجها، وما زنت إلا بحميها وحصلت منه بهذا الزناء الواحد ابنين كاملين!![٢].

الملاحظة الخامسة: يقول الشيخ رحمت الله: إن الله ما قتل فارص وزارح مع كونهما ولدي الزنا، بل أبقاهما كابني لوط اللذين كانا ولدي الزناء، وما قتلهما كما قتل ولد داود (عليه السَّلام) الذي تولد بزنائه بامرأة أوريا حسب زعمهم، وبئسما يفترون وحاشاه (عليه السَّلام) لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بزوجة الابن[٣].

= القاموس أن يهوذا نال رضا والده وحبه، وحصل على بركته مع أنه أصغر من رأوبين، وشمعون ولاوي، وأنه كان شهماً حيث تجلى كرم أخلاقه مرتين في قصة يوسف: ص١٠٨٥.

(١) الأجوبة الفاخرة: ص١١٧.

(٢) إظهار الحق ٤/ ١٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه.

والسادسة: وإذا كانت ثامار قد شعرت بأن حماها يتلكأ في البر بوعده فتنكرت له في زي زانية ثم حملت منه وولدت له توأمين!!

وإذا كان هو الذي حكم عليها بالحرق بعد أن علم بحملها ثم رجع عن حكمه حينما علم أنه هو لا غيره صاحب حملها!!

إذا كان ذلك قد حدث فهنا يطرح هذا السؤال:ـ يهوذا الذي أخذ ثامار زوجة لولده ثم أخذها زوجة لولده الثاني... ثم سرحها على وعد تزويجها بابنه الثالث عندما يشب... هل خفيت عليه كنته... وإلى أي حد أتقنت ثامار تنكرها حتى عمي عنها... حموها، مع أنها تحدثت إليه... وطلبت أجراً... واحتفظت منه بعصاته وخاتمه وعصاه رهناً حتى يبعث إليها بأجرتها ـ وهي جدي معزى ـ، أَحَدَث هذا كله ولم يعرف يهوذا كنته من صوتها على الأقل إن لم يعرفها من علامة أخرى؟!!

يجيب الأستاذ محمود نعناعة على هذا التساؤل المطروح بقوله: «من العسير أن نصدق... أن يهوذا خفيت عليه كنته.. هذا إن كان للقصة أصل أصدق من خرافات ألف ليلة وليلة[١]».

والسابعة: يذكر الإمام ابن حزم أن العار الذي تحتوي عليه هذه القصة يتمثل في ما ذكر عن يهوذا، من طلبه الزنا بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جدياً، ثم جوره في الحكم عليها بالحرق، فلمَّا علم أنه صاحب الخطيئة أسقط الحكم عن نفسه وعنها[٢]!!.

ويقول الدكتور محمد علي البار: إن هذه صورة بشعة ووقحة وقذرة، تجمع أخلاق يهود من التظاهر بالدين، حيث طلب يهوذا المجرم الزاني أن تخرج ثامار وتحرق لأنها زانية، فلما تحقق أنها حبلى نتيجة زناه هو بها قال:

---

(١) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل (من ظهور أبرام حتى سقوط يهوذا)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م، ص١٢٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/١٤٦.

هي أبر مني والأصح أن يقول: أنا أفجر منها وأفسق!! فهو فاجر فاسق متظاهر بالدين حسب نصوص التوراة المحرفة[1].

الملاحظة الثامنة: أن داود وسليمان وعيسى (عليهم السَّلام) كلهم من أولاد فارص الذي حصل بالزنا كما هو مصرح في الباب الأول من إنجيل متى[2].

وقد عرض الإمام ابن القيم لهذه الملاحظة وعلق عليها بقوله: ومن هذا الولد كان داود النبي!! فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا! ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك إلى التوراة! وكما جعلوا ولدي لوط المزعومين ولدي زنا، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم إلى ذينك الولدين!![3].

وحول هذا يرى العلَّامة ابن حزم أن الفضيحة المكذوبة في هذه القصة والتي أشار إليها بأنها شنعة أخرى تتمثل في قول كاتب التوراة «إن أونان بن يهوذا لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التي تزوجها بعد موت أخيه جعل يعزل عنها».

وهذا عجب جدًّا أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه، لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا!! فلعل فيهم الآن ولادات وأنساب في كتبهم مثل هذه، فهذه والله أمور سمجة!!

ثم دع يهوذا فليس نبياً، ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا، إنما الشأن كله والعجب في أنهم مطبقون بأجمعهم قطعاً على أن داود وسليمان بن داود (عليهما السَّلام) يرجع نسبهما إلى فارص بن يهوذا من ثامار التي زنى بها فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة

---

(١) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: ص١٤٩، دار القلم ـ بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) إنجيل متى ١/ ٣ ـ ١٦؛ إظهار الحق ٤/ ١٢٣٥.

(٣) هداية الحيارى: ص٣٩، من ذيل كتاب الفارق بين المخلوق والخالق.

الزنا، ثم أقبح ما يكون من الزنا رجل مع امرأة ولده، حاش لله من هذا الإفك المفتري.

ولقد جادل أحد اليهود الإمام ابن حزم في ذلك بقوله: إن هذا كان مباحاً حينئذٍ. فقال له الإمام: فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك؟! وكيف يكون مباحاً وهي لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدي المسخوط والرهن الملعون؟! وإنما وطئها على أنها زانية. إذ اغتلم إليها لا على أنها امرأة الميت ولده، إلا أن قلتم إن الزنا جملة كان مباحاً حينئذٍ! فقد قرت عيونكم!! فسكت خزيان كالحاً[١].

والعجيب أن قاموس الكتاب المقدس حينما ترجم ليهوذا بن يعقوب المنسوب إليه تلك الفضيحة ـ يذكر أن «يهوذا» اسم عبري معناه «حمد»، وأنه أعطي هذا الاسم لسبب شكر أمه عند ولادته عنه، ولا يذكر العهد القديم كثيراً عنه، ولكنه يذكر بعض حقائق هامة تتعلق به، فقد نال رضى والده وحبه، وحصل على بركته مع أنه أصغر من رأوبين، وشمعون، ولاوي، وأنه كان شهماً، كريم الخلق.

وانتهى صاحب القاموس إلى أنه قد ولد له من ثامار أرملة ابنه ابنان آخران هما فارص وزارح، ويذكر بكل اعتزاز وفخر أن فارص أصبح أحد أسلاف داود والمسيح[٢].

وحين تكلم القاموس أيضاً عن «ثامار» ذكر أنها حين اتهمت بالزنا بررت نفسها مظهرة خطيئة يهوذا؛ فلم تقتل، وأن اسم «ثامار» وابنها «فارص» قد ذكر في سفر راعوث ٤:١٢، وفي نسل يسوع المسيح في متى ١:٣، بدون أية إشارة شائنة[٣].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٨٥.

(٣) المصدر السابق: ص٢٣٣.

ثالثاً: قصتا «راحاب» الزانية و«راعوث» العاشقة

تمهيد:

وإذا كان قد تبين لنا ـ من خلال عرض هاتين القصتين اللتين وضعهما كتاب التوراة طعناً في نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وتدنيساً لشرفه ـ أن المؤامرة قد نسجت خيوطها وحيكت أطرافها من قديم الزمن، إذا كان قد تبين ذلك فهناك قصتان أخريان مكملاتان للقصتين السابقتين وهما بمثابة امتداد لهما واستمرار لتلك المؤامرة إنهما قصتا «راحاب» الزانية و«راعوث» العاشقة؛ فلا بد من الوقوف عند هاتين المرأتين لنرى أي نوع من النساء ارتبط بنسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام).

فلنتحدث عن كل منهما بما يميط اللثام عنهما، ويكشف لنا إلى أي حد يضع كتبة التوراة نماذج النساء في سلسلة نسب كل من سيِّدنا داود وسيِّدنا سليمان وسيِّدنا عيسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

قصة راحاب:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: أن راحاب اسم عبري معناه «رحب» أو «متسع»(١)، وهي امرأة زانية من أريحا أضافت الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع ليتجسسا المدينة وخبأتهما لدى البحث عنهما، وأخيراً أنزلتهما بحبل من الكوة، إذ كان بيتها ملاصقاً لسور المدينة، وبهذه الطريقة أنقذتهما فعادا سالمين إلى محلة العبرانيين(٢)، وحينما أخذ يشوع أريحا نجت راحاب مع كل بيتها فسكنوا جميعاً في وسط بني إسرائيل(٣).

يذكر توماس هولد كروفت أن راحاب بهذا العمل الذي قامت به لإنقاذ

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص٣٨٩.
(٢) راجع المصدر السابق وراجع أيضاً الإصحاح الثاني من سفر يشوع.
(٣) راجع تفاصيل ذلك في الإصحاح السادس من سفر يشوع ١٢ ـ ٢٥ راجع أيضاً القاموس: ص٣٨٩.

الجاسوسين أظهرت الإيمان بالله وتسليم نفسها له رغم حقيقة أن الكتاب يصفها بأسلوب خاص بزانية[١].

وفي جهد للتوفيق بين هذه الأمور التي تبدو أنها متناقضة فقد اقترح العلماء منذ عهد يوسيفوس عام ٩٠م أن كلمة «زانية» لا تحمل أكثر من معنى صاحبة الحانة «حافظة الفندق»، واقترحوا أنه رغم أن راحاب قد فتحت بيتها للزائرين فليس بالضرورة أنها كانت تعيش حياة دنسة[٢].

ويعقب صاحب كتاب الأسفار التاريخية وهو في غاية الأسى والأسف بقوله:

«لسوء الحظ» فإن السجلات التاريخية للعصور القديمة لا تساند هذا التفسير المتلطف[٣] وينقل ما ورد في كتابهم: «بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك»[٤]. ومرة أخرى: «كذلك راحاب الزانية أيضاً أماً تبررت بالأعمال»[٥].

والذي يعنينا من أمر راحاب الزانية هذه في بحثنا هنا: أن نبيِّن أن هذه الزانية قد تزوجت سلمون من سبط يهوذا، وأنجبت منه بوعز[٦] الذي هو جد داود (عليه السَّلام) كما يذكرون، وبذلك فإن راحاب قد صارت ضمن سلسلة نسب الملك داود، وبالتالي صارت ضمن سلسلة نسب المسيح، أو كما يقول قاموس الكتاب المقدس نسب الرب يسوع[٧]!!!.

---

(١) الأسفار التاريخية: ص١٥، تعريب أديبة شكري يعقوب، دار الجيل للطباعة ـ القاهرة، ١٩٨٥م.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٣١.
(٥) رسالة يعقوب ٢: ٥.
(٦) جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى: أن سلمون ولد بوعز من راحاب. متى: ١: ٥.
(٧) القاموس: ص٣٨٩.

قصة راعوث:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: أن «راعوث» اسم موآبي، ربما كان معناه «جميلة»[(١)].

وهي فتاة موآبية تتلخص قصتها في أنها: تزوجت أولاً بمحلون ابن اليمالك من سبط يهوذا، ولمَّا مات زوجها لصقت بحماتها «نعمى» ورافقتها إلى بيت لحم اليهودية تاركة شعبها وبيت أبيها في موآب، وكانت راعوث وحماتها حينما وصلا إلى بيت لحم في أشد حالات الفقر، فخرجت راعوث إلى الحقول لتلتقط ما يتبقى وراء الحصادين، وحدث أن ذهبت تلتقط في حقل بوعز وهو نسيب غني لحميها اليمالك، وأخيراً اقترن بها ورزق منها بعوبيد أبي يسي أبي داود[(٢)].

ويهمنا من هذه القصة: زواج راعوث من بوعز، وكيف أنجبت منه عوبيد جد سيِّدنا داود (عليه السَّلام) فيما يذكرون! فلنذهب إلى نصوص سفر «راعوث» لنرى كيف حدث هذا:

في الإصحاح الأول من السفر، تقول نُعْمِي الأرملة لكنَّتيها، أي أرملة ابنيها: «لماذا تذهبان معي، هل في أحشائي بنون بعد حتى يكونوا لكما رجالاً؟! ارجعا يا ابنَتَيَّ واذهبا؛ لأني قد شخت عن أن أكون لرجل.

وإن قلتُ لي رجاءٌ أيضاً بأني أصير هذه الليلة لرجل وألد بنين أيضاً، هل تصبران لهم حتى يكبروا، وهل تنحجزان من أجلهم عن أن تكونا لرجل»[(٣)].

ولعلَّ هذا الكلام يذكرنا بما وقع من يهوذا بن يعقوب وسبق أن أوردناه حيث جاء في سفر التكوين: «وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار، وكان

---

(١) القاموس: ص٣٩٠.

(٢) راجع المصدر السابق: ص٣٩٠ ـ ٣٩١؛ د/توماس كروفت: الأسفار التاريخية: ص٨٨ ـ ٩٤؛ د/فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية: ص١٥٢ ـ ١٥٤، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٣) راعوث ١: ١١ ـ ١٣.

عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب؛ فأماته الرب، فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوَّج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له؛ فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه؛ فقبح في عيني الرب ما فعله، فأماته أيضاً، فقال يهوذا لثامار كنّته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني، لأنه قال: لعله يموت هو أيضاً كأخويه. فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها(١).

ويسمَّى هذا النظام «الليفيرا» أي: الزواج بأرملة الأخ، وهو نظام يتحتم أو يَحسُن أو يَجُوز بمقتضاه للأخ الأصغر أو الأكبر أو كليهما (حسب اختلاف الأمم التي تسير عليه) أن يتزوج أرملة أخيه المتوفى(٢).

وقد عرف هذا النظام عند اليهود بزواج «يبوم»، وتشتق كلمة «يبوم» العبرية من «يبم» وهو أخو الزوج و«يبمه» وهي زوجة الأخ، والمقصود: نظام زواج الأخ الحي بأرملة أخيه المتوفى دون أولاد فيرث الأخ التركة والزوجة معاً، وينسب الأولاد الجدد إلى الأخ المتوفى(٣).

وكان «اليبوم» عند اليهود في عهد الرعي إجبارياً، فيهوذا هذا كما سبق أن نقلنا عن سفر التكوين حينما مات ابنه البكر «عير» أمر ابنه الآخر «أونان» أن يتزوج «ثامار» أرملة أخيه، فلما رفض أونان أصابه العقاب الإلهي ومات(٤).

وإذا لم يكن للمتوفى إخوة بالغون، انتقلت الأرملة إلى بيت أبيها، واحتبست حتى يكبر الإخوة الصغار، وهي تعتبر في تلك الأثناء موقوفة على

---

(١) تكوين ٣٨: ٦ ـ ١١.

(٢) د/علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع: ص٨٥ ـ ٨٦، الطبعة السادسة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار نهضة مصر. راجع أيضاً: معجم العلوم الاجتماعية: ص٣٠٥ ـ ٣٠٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

(٣) راجع: د/ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية ـ بنو إسرائيل: ص١٦٢، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٤) تكوين ٣٨: ٩ ـ ١٠.

ذمتهم ويمتنع عليها الاتصال بالرجال، فإن فعلت عدت زانية وعوقبت بالحرق[١].

وإن لم يكن للمتوفى إخوة على الإطلاق كما في حالة «راعوث» التي نتحدث عنها الآن، ذهبت الأرملة إلى أقرب قريب.

فحينما مات زوج راعوث دون أولاد ولم يكن له إخوة كما سبق أن ذكرنا لازمت «راعوث» حماتها «نعمي» ولم ترغب في فراقها؛ فقالت «نُعْمِي» إنها أرملة وليس لها أولاد يصلحون أزواجاً لراعوث، وأنه قد تقدم بها السن، وحتى لو حدث أن تحمل وتلد فلا يجدر براعوث أن تنتظر حتى يكبر الأولاد وتحبس نفسها سنين طويلة دون رجال.

ثم ذهبت راعوث إلى رجل يدعى «بوعز» قريب لزوج الراحل، ودخلت سراً إلى مضجعه ليلاً وكشفت عن قدميه ونامت حتى الصباح، ثم طلبت منه أن يطرح ذيل ثوبه عليها، فتزوجها الرجل وأخذ التركة معها[٢].

جاء في سفر راعوث: «وقالت لها نعمى حماتها يا بنتي: ألا ألتمس لك راحة ليكون لك خير، فالآن أليس بوعز ذا قرابة لنا الذي كنت مع فتيانه، ها هو يذري بيدر[٣] الشعير الليلة، فاغتسلي وتدهني والبسي ثيابك وانزلي إلى البيدر، ولكن لا تُعرفي عند الرجل حتى يفرغ من الأكل والشرب، ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي وهو يخبرك بما تعملين، فقالت لها: كل ما قلت أصنع[٤].

فنزلت إلى البيدر وعملت حسب كل ما أمرتها به حماتها، فأكل بوعز وشرب وطاب قلبه، ودخل ليضطجع في طرف العرمة، فدخلت سراً وكشفت

---

(١) ثروت الأسيوطي: نظام الأسرة: ص١٦٤.
(٢) المصدر السابق: ص١٦٤ ـ ١٦٥، راجع أيضاً سفر راعوث الإصحاح الثالث.
(٣) البيدر هو المكان المخصص للنورج البدائي الذي كان يتم به فصل الحبوب عن القش في الشعير أو القمح. راجع قاموس الكتاب المقدس: ص٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٤) راعوث ٣: ١ ـ ٥.

ناحية رجليه واضطجعت، وكان عند انتصاف الليل أن الرجل اضطرب والتفت وإذا بامرأة مضطجعة عند رجليه، فقال من أنت، فقالت: أنا راعوث أمتك فابسط ذيل ثوبك على أمتك لأنك ولي، فقال: إنك مباركة من الرب يا بنتي لأنك قد أحسنت معروفك في الأخير أكثر من الأول، إذ لم تسعي وراء الشبان فقراء كانوا أو أغنياء، والآن يا بنتي لا تخافي، كل ما تقولين أفعل لك، لأن جميع أبواب شعبي تعلم أنك امرأة فاضلة[1]!!.

والآن صحيح أني ولي، ولكن يوجد ولي أقرب مني، بِيتي الليلة، ويكون في الصباح أنه إن قضى لك حق الولي فحسناً ليقض، وإن لم يشأ أن يقضي لك حق الولي فأنا أقضي لك، حي هو الرب، اضطجعي إلى الصباح!!.

فاضطجعت عند رجليه إلى الصباح ثم قامت قبل أن يقدر الواحد على معرفة صاحبه، وقال: لا يعلم أن المرأة جاءت إلى البيدر»[2].

وجاء في الإصحاح الرابع من سفر راعوث أيضاً: «فصعد بوعز إلى الباب وجلس هناك، وإذا بالولي الذي تكلم عنه بوعز عابر فقال: مل واجلس هنا أنت يا فلان الفلاني. فمال وجلس ثم أخذ عشرة رجال من شيوخ المدينة وقال لهم: ٱجلِسوا هنا، فجلسوا، ثم قال للولي: إن نعمى التي رجعت من بلاد موآب تبيع قطعة الحقل التي لأخينا أليمالك، فقلت: إني أخبرك قائلاً اشتر قدام الجالسين وقدام شيوخ شعبي، فإن كنت تفك ففك، فقال بوعز: يوم تشتري الحقل من يد نعمى تشتري أيضاً من يد راعوث الموآبية امرأة الميت لتقيم اسم الميت على ميراثه»[3].

ثم حدث أنا الرجل «فلان الفلاني» هذا كما يقول السفر حينما رفض تنفيذ ما عرض عليه بوعز قام بخلع نعاله وأعطاه لصاحبه وهذه هي العادة في إسرائيل كما جاء في سفر راعوث وسمي «مخلوع النعل».

---

(١) راعوث ٣: ٦ ـ ١١.
(٢) راعوث ٣: ١٢ ـ ١٤.
(٣) راعوث ٤: ١ ـ ٥.

وتم هذا بناءً على ما ورد في سفر التثنية بهذا الخصوص: «إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصِر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه المتوفى لئلا يمحي اسمه من إسرائيل[١].

وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، ولم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج، فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه، فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، فيدعى اسمه في إسرائيل بيت «مخلوع النعل»[٢].

«وبعد أن صار هذا الرجل «فلان الفلاني» مخلوع النعل قال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب: أنتم شهود اليوم أني قد اشتريت كل ما لأليمالك وكل ما لكليون ومحلون من يد نعمى، وكذا راعوث الموآبية امرأة محلون قد اشتريتها لي امرأة لأقيم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت من بين إخوته ومن باب مكانه، أنتم شهود اليوم.

فقال جميع الشعب الذين في الباب والشيوخ نحن الشهود، فليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل. . . وليكن بيتك كبيت «فارص» الذي ولدته «ثامار» ليهوذا من النسل الذي يعطيك الرب من هذه الفتاة»[٣].

«فأخذ بوعز راعوث امرأة ودخل عليها، فأعطاها الرب حبلاً فولدت ابناً، فقالت النساء لنعمى مبارك الرب الذي لم يعدمك ولياً اليوم لكي يدعى اسمه في

---

(١) تثنية ٢٥: ٥ ـ ٦.

(٢) تثنية ٢٥: ٧ ـ ١٠.

(٣) راعوث ٤: ٩ ـ ١٢.

إسرائيل ويكون لك لإرجاع نفس وإعالة شيبتك، لأن كنتك التي أحبتك قد ولدته وهي خير لك من سبعة بنين، فأخذت نعمى الولد ووضعته في حضنها وصارت له مربية، وسمته «الجارات» اسماً قائلات! قد ولد ابن لنعمى، ودعون اسمه «عوبيد»، هو أبو يَسَّي أبي داود»[١].

واختتم السفر ببيان الصلة بين «فارص» ابن يهوذا الذي جاء به فيما يقولون من زناه بامرأة ابنه وبين «عوبيد»[٢] هذا الذي جاء من «راعوث» الموآبية وتم الزواج بالطريقة التي ذكرناها والتي سنتحدث عنها ونبين موقف اليهود منها ومحاولتهم التراجع عنها، حتى ندرك أن مدوني أسفار العهد القديم قد حاولوا بشتى الوسائل تشويه نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بدءاً من قصة بنات لوط المزعومة ومروراً بقصة زنا يهوذا وثامار وانتهاءً براحاب الزانية وراعوث «الموآبية» وطريقة زواجها من «بوعز» واضطجاعها في مخدعه وعند رجليه حتى الصباح!!

ويدافع توماس كروفت عن تصرف راعوث هذه بقوله: «كانت «نعمى» هي بمثابة صانعة الزيجات (الخاطبة) التي أرسلت «راعوث» إلى البيدر تعبيراً عن قصد ترتيب زواجها لها، على أية حال، كانت تعمل وفقاً لحقوقها الشرعية وتأكيداً لعادات ذلك العصر.

وبنفس الحالة، فإن الأسلوب الذي اتبعته راعوث لضمان واهتمام ونظر بوعز» مع أنه شاذ ودرامي في المستويات العصرية، لم يكن ينظر إليه هكذا في مجتمعهم، وتضيف الثقافة الشرقية أن وضعاً عرضياً عند قدمي السيد لا يعتبر غير لائق، حيث إن هؤلاء الناس لا يتكشفون في الفراش»[٣]!!.

أية ثقافة شرقية يعنيها هذا المدافع؟ وأي تفسير يمكن أن يفسر به دخول

---

١) راعوث ٤: ١٣ ـ ١٧.

٢) جاء في نهاية السفر: «وهذه مواليد فارص: فارص ولد حصرون، وحصرون ولد رام. . .، وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسي، ويسي ولد داود». راعوث: ٤: ١٨ ـ ٢٢.

٣) الأسفار التاريخية: ص٩٢.

امرأة شابة أرملة على رجل أجنبي عنها في مخدعه وعلى فراشه، ثم تضطجع تحت رجليه وحتى يستيقظ من نومه في منتصف الليل ويحدثها ثم يأمرها بمواصلة اضطجاعها تحت قدميه حتى الصباح؟!!.

ولذلك فإن هذا السفر كما يقول الدكتور فؤاد حسنين قد شغل كثيرين من علماء اللاهوت ورجال الدين اليهودي في العصور الوسطى وذلك لهذه العبارات الواردة في إصحاحه الثالث والتي تعتبر نابية عن الذوق ومتنافية مع الأخلاق وحاولوا تفسيرها رمزياً[١].

ويذكر صاحب كتاب «التوراة تاريخها وغايتها»[٢]: أن سفر راعوث يصف لنا كيف يجب على المرأة (الغوي) أن تتصرف إن تزوجت من يهودي. ويرى أن هذا السفر لا يمت إلى الدين بصلة، بل فيه أحياناً ما يبعث الاشمئزاز إلى النفس لا سيما عند قراءتنا المقطع الذي يصف كيف تراود راعوث «بوعز» عن نفسها.

وإذا كان سفر راعوث بهذه الدرجة فإن كتبة التوراة والعهد القديم قد وضعوه خصيصاً لبيان نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام)؛ يذكر توماس كروفت أن سفر راعوث قد كتب بغرض تقديم بيان عن نسب داود حيث لا يقدم سفر صموئيل أية معلومات بهذا الخصوص، لهذا يقودنا السفر إلى النسب منتهياً بداود الذي هو آخر كلمة سجلت فيه[٣].

ولقد كان من الطبيعي أن ترد الأسفار التي تحدثت عن الملوك بعد سفر القضاة ولكن لما كان داود أشهر هؤلاء الملوك فقد أورد كاتبو العهد القديم سفر راعوث كتمهيد لأسفار الملوك لأن سفر راعوث بين لنا نسب داود حيث إنه سجل خاص لنسب هذا الملك الذي صار له شأن عظيم في تاريخ بني إسرائيل[٤].

---

(١) التوراة الهيروغليفية: ص١٥٨.

(٢) سهيل ديب: ص٤٦ ـ ٤٧.

(٣) الأسفار التاريخية: ص٨٣ ـ ٨٤.

(٤) محمد دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: ص١٤١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ـ بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م؛ د/أحمد شلبي: اليهودية: ص٢٤٤، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية.

وجاء في السنن القويم أن الغاية من كتابة هذا السفر هي أن تظهر العلاقة بين راعوث والملك داود، فكانت راعوث من أسلاف المسيح أيضاً.

ونرى في سلسلة نسب المسيح في إنجيل متى ١:١ـ ١٦ أسماء أربع نساء وهن ثامار الكنعانية وراحاب الكنعانية وراعوث الموآبية وبتشبع، وثلاث منهن أجنبيات[١].

والعجيب أن المسيحيين سعداء بهذا النسب المشرف وبتلك السلسلة المباركة!! وطالما يتفاخرون بها[٢].

فثامار كما ورد في سفر التكوين زنى بها يهوذا والد زوجها، وراحاب وصفت بأنها زانية، وراعوث حكي عنها أنها تزوجت بوعز، وبتشبع ـ حسب زعمهم زنى بها سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وحاشاه، ومع كل ذلك فهم سعداء بهذه السلسلة العريقة للمسيح.

وإذا كان سفر راعوث قد كتب خصيصاً لإثبات نسب داود (عليه السَّلام) فمن المحتمل أن يكون قد كتب بعد أن صار داود ملكاً، لأنه حينئذٍ فقط كان هناك الاهتمام الكافي بنسب داود وخلفيته لتسجيل هذه القصة الغرامية العائلية[٣].

ويرى البعض أن للقصة ذاتها أسطورة ترجع أحداثها إلى عصر القضاة، ولكنها كتبت في عصور متأخرة[٤]، ويرجح أن هذا السفر قد وضع في أواخر القرن الخامس ق.م[٥].

---

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم: ٣/ ٤١١.
(٢) جاء في السنن: أن قصد الله في ذلك أن يبين أن المسيح هو ابن الإنسان، أي أخذ لنفسه طبيعة كل البشر وليس طبيعة اليهود فقط وهو مخلص كل البشر، ٣/ ٤١١، وهو كلام لا يستحق التعليق.
(٣) الأسفار التاريخية: ص٨٦.
(٤) هلال فارحي: كتاب أساس الدين، نقلاً عن د/ محمد بحر: اليهودية: ص٨٩، ٩٠.
(٥) التوراة الهيروغليفية: ص١٥٩.

نظام الزواج بأرملة الأخ:

بقي أن نتحدث عن نظام الزواج بأرملة الأخ إجبارياً وكيف حاول اليهود أنفسهم التخلص منه، وكيف قضى الإسلام على ما كان منه عند العرب في الجاهلية.

يذكر الدكتور ثروت الأسيوطي أن زواج «يبوم» عند اليهود في عهد التلمود من رواسب عهد الرعي، وقد نشأ إجبارياً في ظل حياة العشائر، ثم أمسى اختيارياً بعد زوال الملكية الجماعية بحيث يمكن التخلص منه باتباع مراسم «خلع النعل»[1].

وقد دونت أحكام ذلك النظام العتيق في سفر التثنية، فصارت جزءاً من كتاب التوراة «قدس الأقداس عند اليهود» وتعذر التخلص منها على مر الزمان بالرغم من زوال حكمتها.

ويبدأ التلمود جزء «ناشيم» أي النساء الذي يتضمن قواعد الزواج والطلاق بموضوع «يباموت» أي زيجات أرملة الأخ، ويخصص لهذا الموضوع الباب الأول بأسره ويربو على مئات الصفحات[2].

ويعد زواج «يبوم» من دلائل عدم اعتداد الشريعة التلمودية برضا الطرفين لانعقاد الزواج، إذ تلتزم الأرملة متى توفي زوجها دون أولاد بأن تتزوج أخاه، لكن ينقضي التزامها إذا تبين فيما بعد أنها حامل من الأخ المتوفى، فإذا تأكد عدم وجود الذرية تعين تنفيذ الالتزام بالزواج[3].

ويتلقى هذا الالتزام الأخ الأكبر، لكن يباح تطوع الأخ الثاني، ويبدأ التخيير بالأخ الأكبر، فإن رفض يؤخذ رأي الإخوة الآخرين على التوالي، فإن

---

(١) نظام الأسرة: ص٢١١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ناقلاً عن تلمود أورشليم باب «يباموت» الفصل الثاني الفقرة (٥)، الفصل الرابع الفقرة (٢)، نص المشنا، مجلد ٤، قسم ٧٢، ص٣١، ٥٧.

أبوا جميعاً يطرح الأمر من جديد على الأخ الأكبر: إما الزواج بالأرملة أو إجراء «الخالصاه» أي خلع النعل[1].

ولا يتعهد الأخ الحي بمؤخر صداق جديد، اكتفاءً بما للزوجة من مؤخر صداق على أموال زوجها الراحل، فإن الإخوة يدفعون في المرأة مهراً واحداً لا يتجدد، بموجبه تنتقل من يد إلى يد، كما هي الحال لدى قبائل الرعي في الشعوب البدائية[2].

وإذا اختار الأخ الحي خلع النعل ورث من تركة أخيه المتوفى حصة مساوية لحصص سائر إخوته، أما إذا تزوج أرملة أخيه استقل دون سائر إخوته بميراث المتوفى[3] وإذا رأى الأخ الحي أنه قد يتلقى أرملة أخيه دون أن يرث تركته فيتحمل عبئاً مالياً لا تقابله أية ميزة اقتصادية[4].

وإذا رأى ذلك فمن حقه أن ينفض عن كاهله هذا العبء الثقيل باتخاذ وسيلة «خلع النعل» غير أن اتخاذه ذلك طريق معنوي مليء بالأشواك وكأس مرة لا يسهل اجتراعها، وإذ تتم مراسم «الحاليصاه» أمام ثلاثة قضاة، وإن جاز أن يكونوا إسرائيليين عاديين لا يعملون بالقضاء.

ويلزم لصحة المراسم استخدام الحذاء، ولا يكفي استخدام الصندل، إلا أن يكون ذا كعب، بحيث يهبط الرجل درجة بعد خلعه، ولا يهم أن يكون الصندل غير مملوك للأخ المتنصّل، ولا أن يكون مصنوعاً من الخشب المغطى بالجلد، ولا أن يوضع الصندل الأيسر في القدم اليمنى، ولا أن يكون الحذاء

---

(١) المصدر السابق: ص٢١٢، ناقلاً عن التلمود. ولمعرفة التلمود وما يحتوي عليه راجع رسالتي للدكتوراه: «تأثر اليهودية بالأديان القديمة»: ص٢٩ ـ ٣٦، ص٦٤٢ ـ ٦٤٦؛ وكتابي «القرابين البشرية والذبائح التلمودية عن الوثنيين واليهود»: ص١٨٢ ـ ١٩٢.
(٢) المصدر السابق: ص٢١٢ ـ ٢١٣.
(٣) المصدر السابق: ص٢١٣.
(٤) لأن رب يهوذا يفسح الأولوية في هذا الغرض للأب الحي ويفضله في تركة الابن الميت دون ذرية على الأخ حتى لو تزوج الأرملة.

واسعاً ما دام يسمح بالمشي، ولا أن يكون ضيقاً طالما يغطي معظم القدم، ولا أن يحدث الخلع ليلاً، وإن كان الخلع يبطل إذا انتصب على القدم اليسرى[1].

ويحضر الأخ الحي وأرملة المتوفى أمام هيئة المحكمة، فيشرع أعضاؤها في نصيحة الرجل، ثم تقول المرأة: لقد رفض أخو زوجي أن يبقى على اسم أخيه في إسرائيل وأبى أن يتزوجني. فيجيب هو: أنه يرفض اتخاذها زوجة. ويدور الحوار باللغة المقدسة وهي العبرية. ثم تقترب المرأة منه في حضور الشيوخ فتخلع نعله من قدمه، وتبصق أمامه بطريقة واضحة للقضاة، ثم تضيف: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. ويقول القضاة: «فيدعى اسمه في إسرائيل: بيت مخلوع النعل» ويردد جميع الحاضرين: «مخلوع النعل، مخلوع النعل، مخلوع النعل»[2].

ويذكر الدكتور الأسيوطي أن إحدى مدارس اليهود[3] في تفسير التلمود قد قامت بالتضييق على قدر الإمكان من نطاق تطبيق هذا النظام سنة ٣٠ق.م. وأخذت هذه المدرسة تتفنن في توسيع نطاق حالات الإعفاء، حتى انكمش نظام «يبوم» في حدود ضيقة للغاية، لعدم ملاءمته مجتمع التجارة، وتفرق اليهود في الأرض، وقد تجرأ العلماء الربانيون على هذا النظام البالي، وهمشوا من نطاقه قدر المستطاع[4]، لكنهم عجزوا عن القضاء عليه نهائياً خوفاً من الاصطدام بالعقيدة الدينية[5].

ولم تتخذ هذه الخطوة الجريئة سوى خلال القرن التاسع عشر، إذ أصدر الربانيون الأحرار في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية ١٨٦٩م ومدينة

---

(١) راجع: ثروت الأسيوطي: نظام الأسرة: ص٢١٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢١٤، راجع أيضاً: الفكر الديني الإسرائيلي، للدكتور حسن ظاظا: ص١٩٤ ـ ١٩٥، دار القلم بدمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٣) تسمى هذه المدرسة بمدرسة «هلال».
(٤) راجع تفاصيل ذلك في نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: ص٢١٤ ـ ٢١٦.
(٥) المصدر السابق: ص٢١٦.

أوغسبورغ بألمانيا ١٨٧١م قراراً بتحريم «اليبوم» و«الحاليصاه» تحريماً باتاً لعدم ملاءمتها للحياة العصرية[١].

وبالرغم من أن المادة (٣٦) من كتاب «الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين في مصر» قد نصّت على «أن المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولاداً ذكوراً وكان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجة له شرعاً، ولا تحل لغيره ما دام حياً إلا إذا تبرأ منها»[٢].

بالرغم من ذلك فإن محكمة الأحوال الشخصية لغير المسلمين في مصر قد أصدرت في عام ١٩٥٦م حكماً هاماً قررت به مبدأً جديداً في الشريعة الإسرائيلية يقضي بفسخ القاعدة المنصوص عليها فيها بشأن اعتبار أرملة المتوفى الذي لم يترك ذكوراً كأنها زوجة لأخيه ويجب عليه نفقتها ويرثها إذا توفيت وترثه إذا توفي، وقالت المحكمة إن إلزام الزوجة بهذا الزواج الإجباري من أخي زوجها مخالف للنظام العام[٣].

فقد عرضت قضية من هذا النوع على المحاكم المصرية في ذلك العام ١٩٥٦م حيث رفعت أرملة المتوفى دعوى نفقة على أخيه الحي، استناداً إلى أنها زوجته الشرعية إلى أن يتبرأ منها، فقضت المحكمة بأن «الزواج ما هو إلا عقد كباقي العقود من أركانه الرضاء ولا يتم إلا بعد أن يتبادل الطرفان التعبير عن إرادتين متطابقتين، فركن الزواج الإيجاب من طرف والقبول من الطرف الآخر، وحيث إن شريعة طرفي الخصوم تعتبر أرملة الأخ المتوفى كزوجة لشقيق المتوفى بمجرد وفاة الشقيق ورتبت لها حقوقاً كالزوجة تماماً بفرض نفقة لها على شقيق زوجها، كل ذلك دون توقف على رضاء الطرفين، إلا أنه قد يقال إن الشقيق يمكنه أن يتخلص من هذا الزواج بإعطاء أرملة أخيه (الحاليصاه) وهي أشبه بالطلاق لكي ينهي العلاقة، ولكن الحال بالعكس بالنسبة لأرملة المتوفى فإنها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع: د/ علي عبدالواحد وافي: الأسرة والمجتمع: ص٨٦ ـ ٨٧.

(٣) راجع المصدر السابق: ص٨٧.

لا يمكنها التخلص من هذا الزواج إذا رغبت عنه في حالة قبول الشقيق مما يعدم الرضا من جانب الزوجة ويجعل الإرادتين غير متطابقتين، الأمر الذي ترى معه المحكمة أن الأساس الذي بنيت عليه قاعدة الزواج متعارض مع قاعدة من النظام العام هي الرضا الواجب توافره من الطرفين لانعقاد كافة العقود وهو في عقد الزواج الذي يجمع بين آدميين ألزم، لما لهذا العقد من عظيم الأثر والشأن ويتعين لذلك عدم الأخذ بقاعدة إرصاد الأرملة لأخي زوجها لتعارضها مع النظام العام(١).

بجانب هذا فإن بعض فقهاء الإسرائيليين أنفسهم يرى أن هذه القاعدة أصبحت ملغاة منذ زوال الملك من بني إسرائيل وتشتتهم وانقضاء توارث الأرض بين الأسباط، وهو ما شرعت هذه القاعدة من أجله(٢).

هذا وقد قضى الإسلام على نظام إرث المرأة وتملكها بعد وفاة زوجها سواء أكانت أرملة الأخ أو الأب أو غيرهما فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾(٣).

يذكر الإمام الشوكاني أن المقصود من الآية الكريمة نفي الظلم عن النساء وأن معناها يتضح بمعرفة سبب نزولها، وهو ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس ـ في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت.

وفي لفظ لأبي داود عنه في هذه الآية: كان الرجل يرث امرأة قرابته فيعضلها حتى يموت أو ترد إليه صداقها.

وفي لفظ لابن جرير وابن أبي حاتم عنه: فإن كانت جميلة تزوجها، وإن

---

(١) ثروت الأسيوطي: نظام الأسرة: ص٢١٦ ـ ٢١٧.
(٢) الأسرة والمجتمع: ص٨٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١٩.

كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها، وقد روي هذا السبب بألفاظ، فمعنى قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾، أي لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم وتحبسونهن لأنفسكم ﴿وَلَا﴾ يحل لكم أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عن أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن إذا متن أو ليدفعن إليكم صداقهن إذا أذنتم لهن بالنكاح[1].

يقول الإمام الطبري: يعني تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ يقول: لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرهاً، فإن قال قائل: كيف كانوا يرثونهن؟ وما وجه تحريم وراثتهن؟ فقد علمت أن النساء موروثات، كما الرجال موروثون، قيل: إن ذلك ليس من معنى وراثتهن إذا هن متن فتركن مالاً وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت؛ فحرم الله (تعالى) ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح[2].

وبعد أن نقل كثيراً من أقوال أهل التأويل في هذه الآية[3] عقب عليها بقوله: إن الله جلّ ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لأهله نحو وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء فقد علم بذلك أنه جلّ ثناؤه لم

---

(١) فتح القدير بين الرواية والدراية من علم التفسير ١/ ٤٤٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الثالث، الجزء الرابع: ص٢٠٧، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) راجع المصدر السابق: ص٢٠٧ ـ ٢٠٩، ومن الأقوال التي ذكرها: ما روي عن مجاهد أنه كان الرجل إذا توفي أبوه كان أحق بامرأته ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها أو ينكحها إن شاء أخاه أو ابن أخيه. وما رواه عن السدي من أن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها فيأخذ مهرها . . .

يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثاً عنهن وأنه إنما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن إذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكاً عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والأرضيين وسائر ماله منافع، فأبان الله جلّ ثناؤه لعباده أن الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجته معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز إجارتها؛ فإن المالك بضع زوجته إذا هو مات لم يكن ما كان له ملكاً من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الأشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو إجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه[١].

إذا كان الإسلام قد قضى على هذا النظام من نظم الزواج في الجاهلية واعتبر هذا النوع من إرث المرأة ظلماً فادحاً، فإن الجاهليين في ممارستهم لذلك كانوا أخف من اليهود حيث لم ينسبوا الولد الذي يولد من المرأة إلى زوجها الميت كما كان يفعل اليهود حيث كان الحي يقيم زرعاً لأخيه الميت.

يذكر كروفت أن ناموس موسى قد تضمن العادة التي تجيز أن يقوم أخو الشخص المتوفى بالزواج من أرملة أخيه[٢]، وأن القصد من هذه الخطة كان هو حفظ الأسرة من الانقراض بإنجاب أولاد يحملون الاسم ويمتلكون ميراث الزوج الأول[٣].

وهذا الأمر واضح جدًّا في قصة راعوث حيث قال بوعز عنها: «قد اشتريتها لي امرأة لأقيم اسم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت من بين إخوته ومن باب مكانه»[٤].

وجاء في السنن القويم عن تفسير قول يهوذا لابنه: «ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان

---

(١) المصدر السابق: ص٢٩٠.
(٢) تثنية ٢٥: ٥ ـ ١٠.
(٣) الأسفار التاريخية: ص٩١.
(٤) راعوث ٤: ١٠.

إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه؛ فقبح في عيني الرب ما فعله، فأماته أيضاً»[١].

جاء في السنن تفسيراً لذلك أن الشريعة اللاوية التي توجب على أخي الميت أن يتزوج امرأة أخيه أصلها أقدم من شريعة موسى وكان الغاية منها إبقاء النسل، لأن البكر كان بحسب ابن المتوفى ومن بعده ابن الحي، ولم يزل ما يشبه ذلك بين الهنود والفرس والمغول وغيرهم[٢].

والحقيقة أنه لا صلة بين هذا النظام الجاهلي أو الوثني[٣]، وبين شريعة سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) حيث إن الشريعة السماوية أياً كانت لا تجيز أن ينسب الولد إلى غير أبيه وأن يكلف الأخ الحي بإقامة نسل لأخيه الميت، فضلاً عما في هذا الزواج من قهر وإكراه وظلم للمرأة وجعلها تورث كالمتاع ولذلك فإن الإمام ابن حزم يرى أن من العجب جدًّا أن تلد امرأة من زوجها من لا ينسب إليه، ويذكر أنه لعل في اليهود الآن ولادات وأنساب في كتبهم مثل هذه وأنها أمور سمجة.

ويذهب الشيخ علي الباجي إلى أن الزرع لباذره، لا للأخ الميت فكيف يقيم زرع أخيه، وأن نسبة الولد إلى الميت أمر لا يتوهمه أحد.

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن هذا الحكم عجيب جدًّا لأن امرأة الميت قد تكون عوراء أو عمياء أو عرجاء أو شوهاء قبيحة الصورة أو غير عفيفة أو معيبة بعيب آخر، فكيف يرضى الرجل؟! وهذه الإقامة لزرع أخيه أيضاً عجيبة[٤]!

---

(١) تكوين ٣٨: ٨ ـ ١٠.

(٢) السنن القويم ١/ ٢٣١.

(٣) لقد كان نظام زواج أرملة الأخ منتشراً عند كثير من الأمم الجاهلية والوثنية، وقد بينت ذلك في بحثنا عن نظام الزواج في الإسلام بين نظم الرهبانية والإباحية وأنكحه الجاهلية ضمن سلسلة بحوث: من النظم الاجتماعية في الإسلام. وهي عبارة عن محاضرات أعددتها للبرنامج العام للدراسات العليا بقسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) إظهار الحق ٤/ ١٣٣٨.

وأعجب منها أن علماء البروتستانت تركوا هذا الحكم العظيم الشأن وقالوا: «لا يحل للرجل أن يتزوج زوجة أخيه» كما هو مصرح به في جدول القرابة والنسب من كتاب الصَّلاة العامة وغيرها من رسوم الكنيسة وطقوسها على موجب استعمال الكنيسة الإنكليزية والإيرلندية المطبوع سنة ١٨٤٠م في (فالته)، مع أن بيان المحرمات لا يوجد في الإنجيل وما أخذوها إلا من التوراة(١).

وهكذا يتضح لنا بجلاء كيف أن كتبة التوراة عكفوا على سلسلة أنساب داود (عليه السَّلام) وأخذوا ـ بمهارة وخبث يختلقون فيها الأكاذيب وينسجون حولها المفتريات حتى جعلوا سيِّدنا داود (عليه السَّلام) حسب تصورهم غير متكامل الإسرائيلية أي أنه ليس إسرائيلياً خالصاً، بجانب ما غرسوا في نسبه من الزنا وما لطخوه به من العار والفضائح، فيما يتعلق بالأمر الأول وهو أنهم جعلوه غير خالص الإسرائيلية فقد كان هذا بهدف الإنقاص من قدره والإقلال من شأنه، حيث إن النسب له أهمية بالغة عند اليهود.

يذكر الدكتور أحمد شلبي أن أول شيء يمكن أن نقتبسه من الكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى) عن داود أن نسبه ليس إسرائيلياً خالصاً، وسفر راعوث يحكي لنا قصة هذا النسب، وقد كانت راعوث «موآبية» وأهمية هذا النسب خطيرة بالنسبة للفكر اليهودي، فإن القوانين اليهودية تعتبر السلالة من ناحية الأم هي السلالة التي يعتمد عليها في نقاء الدم اليهودي، ويعتبر «غير نظيف» عند اليهود من اختلط دمه، وغير يهودي من كانت أمه غير يهودية(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع كتابه: اليهودية: ص١٧٢، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م، وقد نشرت جريدة النيويورك تايمز الأمريكية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ يناير ١٩٦٥م قصة امرأة تدعى بريتا كان أبوها يهودياً، وشبَّت في ألمانيا يهودية، واعتقلها الإنجليز في قبرص لأنها يهودية وجاءت إلى إسرائيل كيهودية، وعاشت تمارس الشعائر اليهودية، ثم ـ فجأة ـ أعلنت وزارة داخلية إسرائيل أن ريتا غير يهودية لأن الوزارة عرفت ما يدل على أن أمها ليست يهودية. (المصدر السابق، هامش: ص١٧٢ ـ ١٧٣، ناقلاً عن إسرائيليات لأحمد بهاء الدين).

ويظهر أن واضعي أسفار العهد القديم كانوا في غاية الحرص على إثبات ذلك وتقريره، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم برأسه ووقفه على بيان هذا النسب وتفصيله[١].

فقد تبين لنا من خلال ما ذكرناه أن داود (عليه السَّلام) لم يكن إسرائيلياً بالمعنى الذي تشدد أسفار العهد القديم على توكيده بنهيها الصريح والقاطع عن أي ارتباط إسرائيلي مع الشعوب الأخرى لا سيما الكنعانيين والموآبيين.

فواضح مما ذكرناه أن جده الأول يهوذا كانت حصيلة نسله من علاقته غير الشرعية بكنته ثامار وهي كنعانية، وقد ولدت له من العلاقة الآثمة حسب زعمهم ـ ولديه التوأمين فارص وزارح. وجاء في إنجيل متى أن سلمون ولد بوعز من راحاب[٢].

ويقول المؤرخون التوراتيون إن يشوع بن نون كان قد تزوج براحاب الشهيرة براحاب الزانية وهي كنعانية، وتزوجت راحاب بعد يشوع بسلمون وولدت له «بوعز» الجد الثاني لداود (عليه السَّلام)، واقترن بوعز بأرملة موآبية اسمها «راعوث» فولدت له «عوبيد» الجد المباشر لداود.

وهكذا نجد أن ثلاث حالات من الزواج المختلط، منصوص عليها رسمياً في الكتاب المقدس، أحاطت بنسب داود؛ فسيِّدنا داود (عليه السَّلام) إذن وبناءً على زعمهم ـ لم يكن إسرائيليًّا صرفاً، وأبعد منه عن العنصرية الإسرائيلية[٣].

وخلاصة القول تنحصر في أنَّ نسب داود (عليه السَّلام) مطعون في إسرائيليته، بل مطعون في شرفه وحصانته في ذات الوقت[٤]**!!!**

وهذا هو الأمر الثاني الذي سنتحدث عنه الآن، فقد سبق أن ذكرنا ما قاله

---

(١) راجع: د/محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات: ص٢١٧، دار الهداية، القاهرة ١٩٨٦م.
(٢) راجع: إنجيل متى ١: ٣ ـ ٦.
(٣) راجع: محمود نعناعة: المشكلة اليهودية: ص١٩٥ ـ ١٩٦.
(٤) راجع: د/محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان، ص٢١٧.

السموأل المهتدي من أن كتبة التوراة قد وضعوا في نسب داود (عليه السَّلام) قصتي بنات لوط ويهوذا وثامار، حتى يستنتجوا أنه (عليه السَّلام) ولد زنا ـ وحاشاه ـ ولعلنا نكون قد بينا ذلك فيما سبق أيضاً ودللنا عليه بما دنسوا نسبه من مفتريات.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن تاريخ أسلاف داود رائع ومجيد وباعث على الإلهام إلا أنه لم يخل من بعض لوثات الخطيئة[1]، وأشار إلى ما ورد في الأسفار عن بنات لوط وزنى يهوذا وثامار ودخول راحاب الزانية وراعوث العاشقة في نسبه الشريف.

وإذا ما رجعنا إلى سفر التثنية نجد أنه يحكم بخروج ابن الزنى من جماعة الرب حتى الجيل العاشر.

جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من هذا السفر:

«لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب»[2]، وبناءً على ذلك، هل يدخل داود (عليه السَّلام) ـ حسب زعمهم ـ في جماعة الرب على ضوء هذا التحديد؟

لو حسبنا الأجيال على أساس الآباء لوجدنا أن بين إبراهيم وداود أربعة عشر جيلاً[3] هم على التوالي: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يهوذا، فارص، حصرون، آرام، عمينا داب، نحشون، سلمون، بوعز (من راحاب)، عوبيد (من راعوث)، يسَّى، داود)[4]. فداود هو الابن التاسع لفارص ولد الزنا من يهوذا، وبعبارة أخرى فإن «فارص» هو الأب التاسع لداود، ومعنى ذلك: أن شريعة التثنية تخرج داود الملك من جماعة الرب!!! ويكونون بذلك قد أدخلوا (لعنهم الله) أحد الأنبياء الكرام (عليهم السَّلام) في زمرة أولاد الزنا المحرومين

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص٣٩١.
(٢) تثنية ٢٣: ٣.
(٣) إنجيل متى ١: ١٧.
(٤) أخبار الأيام الأول ٢: ٣ ـ ١٥، إنجيل متى ١: ٢ ـ ٦.

من الدخول في جماعة الرب[١]!!!

وأنبياء الله هم المصطفون من عباده، والأبرار من خلقه، اختارهم الله سبحانه واصطفاهم فهم خيار من خيار من خيار؛ يذكر الإمام ابن حزم أن الله (عَزَّ وجَلَّ) قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به، لأن العيب أذى، وقد حرم الله عزّ وجلّ أن يؤذىٰ رسوله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٢].

ويذكر أنه ينبغي أن نوقن بأن الله (تعالى) قد صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغية أو من ولادة بغي، أو من بغايا، بعثهم الله (تعالى) حسب قومهم.

فإذا كان لا شك في هذا فلا بد أن نوقن أيضاً أن الله (تعالى) عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغي، وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم وكل ما يعاب به المرء ويشتكي منه ويؤذي بذكره[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) راجع: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل من ظهور إبراهيم حتى سقوط يهوذا: ص١٢٣ ـ ١٢٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٥٨.

المبحث الثاني

طعن اليهود في دين وخلق النبي داود

تمهيد:

قبل أن أخط كلمة واحدة في هذا المبحث أود أن أشير إلى أن كتابة هذا المبحث كانت من أشق الأمور على نفسي حيث وجدتني مطالباً بعرض القصة المزعومة والحكاية المفتراة على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) كما وردت في أسفار العهد القديم دون تحوير أو تغيير، وهذا هو ما ألزمت نفسي به، وما يقتضيه المنهج العلمي الصحيح أن أعرض للآراء مفصلة وواضحة من مصادرها الأصلية، ثم يكون الرد عليها بنفس التفصيل والتوضيح.

ووجدت بجانب النص المذكور في سفر صموئيل الثاني ركاماً هائلاً من التفاسير والتعليقات من المفسرين للعهد القديم والشراح لنصوصه من رجال الدين المسيحيين وغيرهم، ووجدت أقوالهم وتعليقاتهم أكثر سخفاً وأفحش نكراً من نصوص الأسفار، ولقد ترددت كثيراً جدًّا في كتابة هذا المبحث، وهددت نفسي كثيراً أيضاً بالإحجام عن كتابته ومن ثم الإقلاع عن تأليف الكتاب كله.

وأخيراً، وبعد توقف طال مدة من الزمن، رأيت أن أستعين بتصوير بعض الأئمة لهذه القصة:

فبدأت المبحث بتصوير الإمام القرافي لهذه الأسطورة كما استوعبها من الأسفار، ثم أنتقل إلى النصوص بعد ذلك وجهاً لوجه، فليعذرني القارىء المسلم حين أضطر إلى عرض القصة كما وردت بنصها وحروفها، وحين أنقل له بعض تعليقات المفسرين لهذه النصوص وشروحهم لها وتأثرهم بها.

يذكر الإمام القرافي أن اليهود يذكرون في أحد أسفار التوراة أن داود (عليه السَّلام) اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها فعشقها وبعث إليها فحبسها أياماً حتى حملت ثم ردها، وكان زوجها يسمَّى أوريا غائباً في العسكر ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به إلى داود (عليه السَّلام) فبعث داود (عليه السَّلام) إلى قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه أوريا، فجاءه فصنع له طعاماً وخمراً حتى سكر وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها فينسب الحمل إليه ففهم أوريا ذلك، فتجانب ولم يمش إلى أهله. فلما يئس داود (عليه السَّلام) منه رده إل العسكر وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقتلاً له فقتل أوريا وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف، ففزع القائد من داود (عليه السَّلام) لقتل العدد العظيم وقال للرسول إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد غضب فقل له سريعاً إن أوريا قد قتل فيهم، ففعل الرسول، وسكن داود (عليه السَّلام) بعد الغضب وسر بموت أوريا وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين[١].

وبعد أن يسر علينا الإمام القرافي السبيل ننتقل إلى أسفار العهد القديم لنرى ماذا فعل اليهود بسيِّدنا داود (عليه السَّلام)، وكيف أنهم طعنوه في دينه وخلقه:

ورد في بداية الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني ما يلي:

«وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخرجوا بني عمون وحاصروا رِبَّة، وأما داود فأقام في أورشليم»[٢].

وتفسير هذه الفقرة كما ورد في السنن القويم أن قوله «عند تمام السنة» إشارة إلى ما قيل في الإصحاح السابق ١٠ : ١٤ أن يوآب[٣] رجع عن بني عمون

---

(١) الأجوبة الفاخرة: ص١٢٢ ـ ١٢٣.
(٢) صموئيل الثاني ١١ : ١.
(٣) يوآب: ابن أخت داود ورئيس جيشه (قاموس الكتاب المقدس: ص١١٠٠).

وأتى إلى أورشليم، وفي الصيف التالي حارب داود الآراميين (١٠: ١٥ـ ١٩) والحرب المذكورة في هذا الإصحاح كانت بعد الحرب المذكورة في الإصحاح ١٠: ١ـ ١٤ بسنتين».

وفسر قوله «في وقت خروج الملوك» أنه في فصل الصيف وقوله: «فأخرجوا بني عمون» أي بلادهم كلها فالتجأوا إلى «ربة» مدينتهم المحصنة[١].

«وأما داود فأقام في أورشليم». جاء في السنن تعليقاً على هذه العبارة أن داود كان مستعداً للسقوط في الخطيئة لأن لا شيء يهيء الإنسان للسقوط كالبطالة!!.

ويذكر القس الياس مقار أن الشيطان عرف كيف يأتي إلى الرجل، لقد جاءه في وقت الفراغ وربما إهمال الواجب، كانت هناك معركة، ولو قاد داود الجيش، وقاتل في المعركة لنجا[٢].

ويذكر ف.ب ماير أنه في مساء يوم مشؤوم استيقظ الملك: «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًّا»[٣].

جاء في السنن القويم أن ذلك كان أول خطوة في الخطيئة، حيث إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه[٤].

«فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها»[٥].

---

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم سفر صموئيل الثاني: ص١٨٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) صموئيل ١١: ٢.
(٤) السنن القويم: ص١٨٠.
(٥) صموئيل الثاني ١١: ٤.

هكذا وبكل بساطة وفي غاية الهدوء يفعل سيِّدنا داود ذلك ويرتكب الفحشاء بهذه السهولة!! قاتلهم الله ولعنهم لعناً كبيراً، والله الذي لا إله إلا هو إنني لا أقوى على مجرد نقل هذا الغثاء وكتابة ذلك الخبث؛ ولكنه المنهج العلمي الذي يقتضي أن نعرض لأقوالهم مهما سخفت، ولاعتقاداتهم مهما بطلت ولولا أن القرآن الكريم نقل لنا كثيراً من أقوالهم الباطلة وعقائدهم الزائفة هم وغيرهم من الكفار والمشركين والنصارى والمجوس لما تعرضنا لهذا الموقف الصعب.

يعلق الأستاذ عصام الدين حفني ناصف على ذلك ساخراً من اليهود ومتهكماً عليهم «لم يضيع نبي الله لحظة من وقته الثمين في التودد إلى تلك التي شهقت إليها نفسه، ولم يرَ أن يجلس إليها ساعة في ضوء القمر يبثها لواعج حبه وهيامه، بل بادر بإرسال زبانيته يجلبونها إليه، كأنما هي بغي محترفة، وما لبث أن مال بها إلى مخدعه ليطفىء بها لظى شبقه، فلما قضى منها وطراً أعادها إلى بيتها في سهولة ويسر[(١)]!!!

وإذا كان هذا هو تصور كاتب السفر لداود (عليه السَّلام)، فإننا سوف نرى في المقابل صورة لزوج المرأة أوريا الحثي حيث يقدمه لنا في صورة النبيل الكريم والغيور على شعبه ووطنه حيث يواصل السفر في عرض أباطيله ومفترياته فيقول:

«وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إلى أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك»[(٢)].

يعلق صاحب كتاب «حياة داود» معتقداً صحة ما ورد في هذا السفر

---

(١) الأسطورة والوعي: ص١٥٧.

(٢) صموئيل الثاني ١١: ٥ ـ ٨.

الملعون فيذكر أنه: «في أحد الأيام أتت إلى داود رسالة من شريكته في الخطية بأن النتائج لا يمكن إخفاؤها، وكان ناموس موسى يقضي بموت الطرفين في خطية الزنى، فكان لا بد من اتخاذ إجراءات سريعة لإخفاء الجريمة، يجب أن يعود أوريا إلى بيته، وعاد فعلاً، ولكن عودته لم يكن فيها علاج للأمر، فإنه رفض دخول بيته، رغم أن الملك أرسل إليه في بيته طعاماً شهياً من مائدته الخاصة في الليلة الأولى، وفي الليلة الثانية أسكره، ولكن روحه العسكرية النبيلة لم تسمح له حتى بمجرد تحية زوجته بينما كانت الحرب الشديدة قائمة»[1].

فهذا الكاتب الكذاب لا يرى من صورة نبي الله داود والذي يحارب جيشه في بني عمون إلا أنه على سطح قصر الملك، يتمشى ويتلصص وينظر عورات البيوت حتى تقع عينه على امرأة عارية تماماً وجميلة المنظر جدًّا رآها وهي تستحم فوقعت في قلبه وسيطرت على حواسه، ونسي تماماً كاتب التراث أنه يتناول سيرة نبي، وكأن الرجل الذي يتحدث عنه شاعر ماجن فارغ الوقت والإحساس لم يذق طعم النساء في حياته ما إن رأى حلم خياله حتى وقع أسيراً له، ولا يخجل كاتب السيرة ـ كما يقول الدكتور صابر طعيمة ـ وهو يرينا نبي الله بهذا المشهد حينما يخبر بأن المرأة التي سلبت قلبه وسيطرت على عقله متزوجة وزوجها مقاتل يدافع عن إسرائيل والرب مع الجيش.

ومع ذلك يأبى كاتب الإصحاح الحادي عشر إلا أن يرينا نبي الله في هذه المهانة، بينما يضع في الوجه المقابل أوريا الحثي في صورة أكرم وأطهر فلم يقبل على حد ما زعم الكاتب أن يذهب إلى بيته ويدهن بالطيب، والجيش يحارب وتابوت الرب في ميدان القتال[2]:

يقول سفر صموئيل الثاني: «ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود:

---

(١) د.ف. ماير: حياة داود: ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) التراث الإسرائيلي في العرض القديم: ص٥٠٦.

إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي!! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا: أقم هذا اليوم أيضاً، وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء يضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل»[١].

جاء في السنن القويم تفسيراً لذلك أن المرأة أرسلت إلى الملك داود ليدبر لها طريقة للخلاص، وقصد داود أن يحضر أوريا فينزل إلى بيته لكي يظهر أن امرأته حبلى منه، وأما أوريا فلم يرض أن ينام في بيته ما دام رفقاؤه في الحرب نازلين على وجه الصحراء، وربما أنه سمع خبر ما فعله داود بامرأته فلم يرض أن ينزل إلى بيته[٢].

يقول عصام الدين حفني ناصف معلقاً على هذا: بأن أوريا قد عز عليه أن ينعم بالعطلة الممنوحة له وأن يستمتع بمؤانسة زوجته الفاتنة وأبدى من الغيرة على قوميته والحماسة في الذياد عن عقيدته والاستمساك بشعائر الجندية والوفاء لإخوانه في الكفاح ما يستحق من أجله مدلاة من مدليات الشرف[٣].

يذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن داود (عليه السَّلام) ـ حسب زعمهم ـ طلب أوريا من العسكر، وأمره أن يذهب إلى بيته، وجل غرض داود (عليه السَّلام) أن يلقي على عيبه ستراً، ويكون هذا الحبل منسوباً إلى أوريا، ولما لم يذهب لأجل ديانته، وحلف أنه يروح، أقامه داود (عليه السَّلام) اليوم الثاني وجعله سكران يسقى الخمر الكثير ليروح إلى بيته في حالة الخمار، لكنه لم يرح في هذه الحالة أيضاً مراعياً لديانته، ولم يلتفت إلى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلاً!

---

(١) صموئيل ١١: ٩ ـ ١٣.
(٢) السنن القويم: ص١٨١.
(٣) الأسطورة والوعي: ص١٥٩.

فسبحان الله العزيز! حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في ترك الأمر الجائز لأجل الديانة هكذا، وحال ديانة الأنبياء الإسرائيليين في ارتكاب الفواحش هكذا[(١)]!!.

فهذه المقابلة المزعجة جدًّا وغير المقبولة مطلقاً تلك التي صورها كاتب الإصحاح بين خلق ودين ومروءة داود وهو نبي وبين وفاء ومروءة أوريا الحثي وهو عبد عند هذا النبي. فيصور النبي داود بعد أن ظهرت قرائن جريمة الزناء التي قام بها في شكل حبل أخبرت به (بتشبع) داود يرسل إلى أوريا ليحضر من القتال ويأمره بالتوجه إلى بيته ليغتسل وينام في حضن امرأته ولو تم له ذلك لنجح في نسبة السفاح إلى غير أبيه. وأما أوريا فإنه يرفض التوجه إلى بيته ليأكل ويشرب وينام في حضن امرأته والحرب قائمة وعبيد الملك داود في الحرب على وجوههم في الصحراء.

ويضطر الملك النبي في الليلة الثانية لأن يطعمه بنفسه ويشربه خمراً حتى يسكره على أمل أن يذهب إلى امرأته لكن الرجل لا يفعل، فيحمله داود رسالة إلى قائده وفيها الأمر بموته، ولكن وفاءه وأمانته لا تسمحان له بأن يفض الرسالة التي يلقى على أثرها حتفه بعد أن يخونه الملك النبي وقائد الملك النبي حيث يكشف يوآب ظهر أوريا أمام الرجال الأشداء من بني عمون بناءً على أوامر سيده الملك النبي[(٢)]، كما يزعم كاتب السفر حيث يقول: «وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً»[(٣)].

---

(١) إظهار الحق ٤/ ١٢٤٥ ـ ١٢٤٦.

(٢) راجع: التراث الإسرائيلي: ص٥٠٦ ـ ٥٠٧.

(٣) صموئيل الثاني ١١: ١٤ ـ ٢١.

وهكذا فإن أوريا الحثي زوج بتشبع في رأي بني إسرائيل الذين وضعوا أسفار العهد القديم، أشرف، وأوفر نبلاً، وأكثر مروءة، وأحسن وفاءً من داود، إذ لم يسمح له خلقه وشهامته وإخلاصه أن يذهب إلى بيته ويستمتع بزوجته بينما جيش إسرائيل ومعهم تابوت العهد ـ في الخيام والخنادق يحاربون، أما داود عندهم ـ فرجل غير عابىء بذلك، غير مستشعر لأدنى مسؤولية، همه ملذاته ونزواته[(١)]!! وهكذا بغير خجل ولا حياء وبغير عقل أيضاً يرينا كاتب التراث الإسرائيلي داود نبي الله متلبساً بكل هذه المآثم وتلك الموبقات، بينما يرينا الرجل القائد أوريا بكل هذا الوفاء والولاء! فعند أي الرجلين يبحث الباحث عن النبوة والرسالة الإلهية بين زيف ومفتريات وأهواء كتاب العهد القديم؟[(٢)].

ونعود مرة أخرى إلى كاتب هذا السفر المكذوب لنرى ماذا حدث بعد قتل أوريا وتم التخلص منه، يقول السفر:

«فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلاً: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتغل غضب الملك وقال لك: لماذا دنوتم من المدينة للقتال، أما علمتم أنهم يرمون من على السور، مَنْ قتل أبيمالك بن بربوشت، ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في ناباص، لماذا دنوتم من السور؟! فقل: قد مات عبدك أوريا الحثي أيضاً»[(٣)].

«فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب، وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا في الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثي أيضاً. فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب، لا يسوء في عينيك هذا الأمر، لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده»[(٤)].

---

(١) د/ محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان وبحوث ودراسات: ص٢١٩.
(٢) راجع: التراث الإسرائيلي في العهد القديم: ص٥٠٧.
(٣) صموئيل الثاني ١١: ١٨ ـ ٢١.
(٤) صموئيل الثاني ١١: ٢٢ ـ ٢٥.

«فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب[١]. جاء في السنن القويم أن امرأة أوريا ندبت بعلها مدة سبعة أيام حسب العادة القديمة، ومعنى كلامه «فقبح في عيني الرب» أن الرب رأى كل شيء وعرف كل شيء فقبح في عينيه الزنى والخداع وسفك الدم البريء والرياء في المناحة[٢]، ثم يزعم السفر وشراحه أن الرب قد أرسل إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) نبياً يسمَّى «ناثان» ليحدثه في شأن أوريا وامرأته.

تقول صاحبة كتاب «الآباء والأنبياء»: «وقد أمر الرب ناثان النبي أن يحمل رسالة توبيخ إلى داود وكانت رسالة مرعبة في قسوتها، قليلون هم الملوك الذين كان يمكن مخاطبتهم برسالة الله بدون خوف أو وجل، ولكن بحكمة سماوية لكي يسترعي عطف الملك ويوقظ ضميره ويستخرج من بين شفتيه حكم الموت على نفسه وقد رفع قضيته أمام داود كالشخص الذي أقامه الله حفيظاً على حقوق شعبه»[٣].

يذكر ماير: أنه لا شك في أن ظهور «ناثان» على مسرح هذه الرواية هو الذي أصلح الموقف، فإنه بينما كان القصر الملكي مكتظاً بالجنود ورجال السياسة شق النبي طريقه وسطهم بحقّ صداقته القديمة، وطلب مقابلة الملك مقابلة خاصة، ثم قص عليه رواية حادثة كانت تبدو كأنها حقيقية تستحق العطف والإشفاق لأن إساءة بالغة ارتكبت فيها، وللحال اشتعل غضب داود على الرجل الذي ارتكب الإساءة، وحينئذٍ فاجأه النبي بهذه الكلمة: «أنت هو الرجل» فكشف لداود نفسه في مرآة الحكم الذي نطق به، ولم يستطع إلا أن يجثو على ركبته[٤].

---

(١) صموئيل الثاني ١١: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) السنن القويم: ص١٨٢ ـ ١٨٣.
(٣) الآباء والأنبياء: ص٦٤٧.
(٤) حياة داود: ص٢١١.

ورد في بداية الإصحاح الثاني عشر من سفر صموئيل ما يلي: «فأرسل الرب ناثان إلى داود، فجاء إليه وقال له: كان رجلان في مدينة واحدة، واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني بقر كثير جدًّا، وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة، فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيء للضيف الذي جاء فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه. فحمي غضب داود على الرجل جدًّا، وقال لناثان: حي هو الرب، إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق»[١].

يذكر صاحب كتاب «السنن القويم» تفسيراً لذلك: أن «ناثان» النبي جاء إلى داود بعد نحو سنة كاملة، وفي هذه المدة الطويلة لم ينتبه داود كما يجب إلى عظمة خطيئته، وأن من فوائد الأمثال أن السامع يسمعها ولا يعرف أن المثل عليه حتى نهاية الكلام، ثم ذكر أنه ليس من الضرورة أن تكون الحادثة المذكورة حقيقة وأن الملك المطلق كداود هو بمقام قاضٍ كان يسمع بعض الدعاوي إذا أراد ويحكم فيها، ثم يفسر قوله: «نعجة واحدة» بأنه إشارة إلى «بتشبع أوريا» الوحيدة المحبوبة، ولعلها كانت صغيرة السن وعروساً، وفسر قول «يقتل الرجل» بأنه مستحق للموت، وبحسب الشريعة على السارق أن يرد أربعة أضعاف لا أن يقتل[٢].

«فقال ناثان لداود: «أنت هو الرجل»، هكذا قال الرب إله إسرائيل، أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا، لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه، قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة، وإياه قتلت بسيف بني عمون[٣].

---

(١) صموئيل الثاني ١٢: ١ ـ ٦.
(٢) السنن القويم: ص١٨٣ ـ ١٨٤.
(٣) صموئيل الثاني ١٢: ٧ ـ ٩.

والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة، هكذا قال الرب، ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك، آخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس[١].

يفسر صاحب السنن القويم هذا الوعيد بأنه قد تم، إذ مات ابنه الذي ولدته بتشبع، وتم أيضاً إذ قهر أمنون أخته ثامار فقتله أخوه أبشالوم، وإذ قام أبشالوم على أبيه واضطجع مع نسائه أمام جميع إسرائيل وطلب قتله، وقتل أدونيا بأمر أخيه سليمان وهذه المصائب هي ـ فيما يزعم ـ عمل الرب للتأديب، وهي نتيجة طبيعية أيضاً لأن الأبناء عملوا ما كانوا قد رأوه في أبيهم وزادوا»[٢].

وقد علق عصام الدين حفني على كلام ناثان هذا بعدة ملاحظات:

١ ـ أن هذا النبي الجديد يرى النساء يتشابهن جميعاً كما تتشابه النعاج، وأنه لم يزر على الملك اغتصابه زوجة الرجل الذي يقاتل في سبيل وطنه واقترافه بذلك خطيئة الزنا وانتهاك حرمة الوصية السابعة من الوصايا العشر، بل نعى عليه استهتاره باغتصاب النساء حتى إنه لم يعف عن الزوجة الوحيدة التي لأوريا على وفرة ما في حوزته هو منهن، ولو أنه كان عزباً أو ذا زوجة واحدة لانتفى الذنب أو هان ولما كان لهذه القصة الرمزية معنى على الإطلاق.

٢ ـ أن كلمة «كذا وكذا» لا يمكن أن تكون هو مقول القول، ولكنها إشارة موجزة إلى ما يمكن أن يكون قد قيل في هذا المقام.

٣ ـ أن داود لم يصنع ما صنع بزوجات نابال وأوريا ومن على شاكلتهما ـ حسب زعم اليهود ـ في السر بل على مرآى ومسمع من كثيرين.

٤ ـ أن الفقرة الحادية عشرة تهدد داود بالانتقام منه في أشخاص نساء

---

(١) صموئيل الثاني ١٢: ١٠ ـ ١٢.

(٢) السنن القويم في تفسير العصر القديم: صموئيل الثاني: ص١٨٤.

الأسرة ـ وهن بريئات ـ، فهي تقضي بأن ينكبن في أعراضهن ويُسَمْن أبشع الإذلال في رائعة النهار، وكأنه لا وزن لأشخاصهن ولا عبرة بآلامهن[١].

ويستطرد كاتب السفر قائلاً: «فقال داود لناثان: قد أخطأت إلى الرب، فقال ناثان لداود: الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك، لا تموت، غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون، فالابن المولود لك يموت[٢].

جاء في السنن عن قوله «قد نقل عنك خطيئتك، لا تموت» أنه بحسب الشريعة يقتل الزاني، وقول الرب أنه لا يموت داود بل يموت المولود لأنه قد نقل عن داود خطيئته، وبمعنى آخر: لا يموت داود الموت الثاني أي العذاب الأبدي لأن خطيئته غفرت له ولكنه لم يخلص من عواقب خطيئته الجسدية الزمنية»[٣].

والذي حدث بعد ذلك فيما يزعم كاتب السفر: «وذهب ناثان إلى بيته وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فثقل، فسأل داود الله من أجل الصبي، وصام داود صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض، فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزاً، وكان في اليوم السابع أن الولد مات، فخاف عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات لأنهم قالوا: هوذا لما كان الولد حياً كلمناه فلم يسمع لصوتنا! فكيف نقول له: قد مات الولد!! يعمل الشرّ. ورأى داود عبيده يتناجون ففطن داود أن الولد قد مات، فقال داود لعبيده: هل مات الولد؟ فقالوا مات»[٤].

جاء في السنن القويم عن هذه الفقرة ما يلي: «تذلل داود أولاً حباً للولد وثانياً لأن موت المولود علامة غضب الله على والديه، قال له ناثان بالأول: إن الولد سيموت، وعيد الله كوعده، له شروط، فكان له رجاء بأن الله ينظر إلى تذلله ويسمع صلاته فيشفق على الولد ووالديه فتكون حياة الولد علامة رضاء الله».

---

(١) الأسطورة والوعي: ص١٦٢ ـ ١٦٣.
(٢) صموئيل الثاني: ١٢: ١٣ ـ ١٥.
(٣) السنن القويم: ص١٨٥.
(٤) صموئيل الثاني: ١٢: ١٥ ـ ١٩.

ويستمر السفر فيقول: «فقام داود عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد، ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل، فقال له عبيده: ما هذا الأمر الذي فعلت؟ لما كان الولد حياً صمت وبكيت، ولما مات الولد قمت وأكلت خبزاً!! فقال: لما كان الولد حياً صمت وبكيت لأني قلت من يعلم: ربما يرحمني الرب ويحيا الولد»[١]. جاء في السنن القويم: «أنه اغتسل وادهن وبدل ثيابه كأن سبب الحزن قد زال، وهكذا كان عمل لو صح الولد، فتعجب عبيده من الأمر لأنه كان خلاف العادة، وأن داود بجوابه المذكور أظهر تسليمه لإرادة الله، لأن الحزن المفرط على موت الأحباء نوع من التمرد والعصيان على الله»[٢].

«وعزى داود بتشبع امرأته ودخل إليها، واضطجع معها فولدت ابناً فدعت اسمه سليمان والرب أحبه، وأرسل بيد ناثان النبي ودعا اسمه يديديا من أجل الرب»[٣]. يقول صاحب السنن: «إنَّ داود عزى بتشبع ولم يطردها ولم يغضب عليها كأنها سبب سقوطه وخطيئته وجميع الأحزان التي ألمت به، ويذكر أن معنى «سليمان» رجل سلام لأنه في أيامه استراحت المملكة من الحروب، ومعنى «يديديا» محبوب الله، وقد خلف سليمان أباه في الملك وتسلسل منه المسيح رئيس السلام[٤]. وهذا هو بيت القصيد، أن يجيء سليمان من هذه المرأة التي رموها بالزنا والخيانة، وبذلك يكون السهم قد وجه إلى سليمان قبل داود (عليهما السَّلام) فإذا كان داود قد افتروا عليه واتهموه بالزنا فإن سليمان (عليه السَّلام) هو ابن تلك المرأة التي زعموا أن داود قد زنى بها، وحينئذٍ يكون الطعن مزدوجاً مرة في داود ومرة في سليمان (عليهما السَّلام)[٥].

---

(١) صموئيل الثاني: ١٢: ٢٠ ـ ٢٢.
(٢) السنن القويم: ص١٨٥.
(٣) صموئيل الثاني: ١٢: ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) السنن القويم: ص١٨٥ ـ ١٨٦. راجع أيضاً: قاموس الكتاب المقدَّس: ص٤٨١.
(٥) سنفرد بعون الله بحثاً خاصاً عن سيدنا سليمان (عليه السَّلام). هذا ما قلته في الطبعة الأولى، وقد تحقَّق بحمد الله وفضله، حيث نشرت بحثاً بعنوان: عصمة نبيِّ الله =

جاء في مؤتمر تفسير سورة يوسف[1] تعليقاً على افتراءات سفر صموئيل الثاني في حق سيِّدنا داود (عليه السَّلام): ففي هذا: شغف داود بالمرأة الأجنبية شغفاً حمله على مضاجعتها أولاً بالزنى حتى حبلت منه.

ثم فيه الاحتيال على زوجها أوريا الذي هو أحد الضباط في الجيش، فوضعه موضع الخطر في الحرب وهكذا أماته.

ثم استمر على محبتها فتزوجها وهو يعلم أنها زانية، وفيه يموت الولد بجناية أبيه.

وفيه ولادة سليمان من تلك الزانية.

وفيه أن الله سمَّى سليمان ابن تلك المرأة «يديديا» الذي معناه «محبوب يهوه».

وفيه أن داود أراد ستر جنايته بتخييل أن الحمل كان من أوريا ولكنه لم يتوفق.

وفيه أن داود يشرب الخمر على مائدته ويسكر الناس.

وفيه أن الله توعد داود على زناه وعاقبه بزنا نسائه جميعهن.

وفيه أن عقاب خطية داود نزل على ولده من الزنا.

وفيه أن داود إنما كان يصوم لغير الآخرة.

وفيه مما لا يخفى ويطول من قبح القصص الذي لا ثمرة فيه.

وبناءً على مفتريات هذا السفر يكون قد صدر عن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) فيما يذكر الشيخ رحمت الله الهندي ـ ثماني خطيئات:

الأولى: أنه نظر إلى امرأة أجنبية بنظرة الشهوة!! وقد ورد أن عيسى (عليه السَّلام) قال: «إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه».

= سليمان بن داود مما رماه به اليهود، «حولية كلّيّة أصول الدين بطنطا»، العدد السابع ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(١) ص١٦٤ ـ ١٦٥.

والثانية: أنه ما اكتفى على نظر الشهوة بل طلبها وزنى بها!! وحرمة الزنا حرمة قطعية، ومن الأحكام العشرة المشهورة كما قال الرب في التوراة: «لا تزن».

والثالثة: أن هذا الزنا كان بزوجة الجار!! وهذا أشد أنواع الزنا!! وذنب آخر كما هو مصرح به في الأحكام العشرة المشهورة.

والرابعة: ما أجرى حد الزنا لا على نفسه ولا على هذه المرأة!! والآية العاشرة من الباب العشرين من سفر الأخبار هكذا: «ومن زنى بامرأة صاحبه أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية». والآية الثانية والعشرون من الباب الثاني والعشرين من سفر التثنية هكذا: «إن اضطجع مع امرأة غيره فاثنيهما يموتا ـ الزاني والزانية ـ، وارفع الشر من إسرائيل».

والخامسة: أن داود (عليه السَّلام) طلب أوريا من العسكر، وأمره أن يذهب إلى بيته، وجل غرض داود (عليه السَّلام) أن يلقي على عيبه ستراً، ويكون هذا الحبل منسوباً إلى أوريا، ولما لم يذهب لأجل ديانته، وحلف أنه لا يروح؛ أقامه داود (عليه السَّلام) اليوم الثاني، وجعله سكران يسقى الخمر الكثير ليروح إلى بيته في حالة الخمار، ولكنه لم يرح في هذه الحالة أيضاً مراعياً لديانته، ولم يلتفت إلى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلاً، فسبحان الله العزيز! حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في ترك الأمر الجائز لأجل الديانة هكذا، وحال ديانة الأنبياء الإسرائيليين في ارتكاب الفواحش هكذا!!.

والسادسة: أنه لما لم تحصل ثمرة المقصود على إسكار أوريا عزم داود (عليه السَّلام) على قتله بسيف بني عمون!! وفي الآية السابعة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج: «البار والزكي فلا تقتله».

والسابعة: أنه لم ينتبه إلى خطئه، ولم يتب ما لم يعاتبه ناثان النبي (عليه السَّلام)!!!

والثامنة: أنه قد وصل إليه حكم الله بأن هذا الولد الذي تولَّد بالزنا يموت، ومع هذا دعا لأجل عافيته، وصام، وبات على الأرض[١]!!!

والحق أن كل ما نسب إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) يثير مع الغضب الاشمئزاز؛ فعلى حسب قولهم وزعمهم، يكون داود قد زنا، وقتل زوج المرأة التي زنا بها، وحبَّلها سفاحاً، وزنا داود استوجب غضب الله، لأنه ارتكب ما حرم الله، فيعاقبه الله بفعله من جنس فعله ـ فيما يزعمون ـ بل على أبشع وأقذر، فداود زنا، فحكم الله عليه كما يدعون أن يزني ابنه بنسائه وزنا المحارم أشد وأبغض إلى الله!!! وداود زنا سراً، وحكم الله عليه أن يزني ابنه بنسائه جهراً ونهاراً أمام عيون الشعب في الخيمة المنصوبة على السطح هذا ما يقرره كاتب سفر صموئيل الثاني على لسان «ناثان» النبي المزعوم.

وسؤال الناس: إذا كان مثل هذه المنكرات البشعة القذرة العفنة تحدث من الأنبياء والمرسلين وأولادهم ـ فيما يزعمون، فما يكون عامة الناس؟

كيف ينفذ شريعة التوراة المنوط به حفظها وتنفيذها على الناس وهو ملوث بالموبقة النكراء؟

وكيف يعبد الناس رباً يعاقب على الزنا بزنا غاية في البشاعة والنكر؟

وتعالى الله علواً كبيراً من أن يعاقب على الزنا بزنا أشد وأوبق وأبغض، مع أن التوراة نفسها نصت على حد الزنا والزنا بالمحارم نصاً. فكيف يغفل الله (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) هذه العقوبة عن داود بعد أن بعث إليه النبي «ناثان» كما يزعمون!!، لماذا لا يأمر ناثان بإقامة الحد على داود[٢]؟

وقد عقب الإمام القرطبي على ما نسبه اليهود إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) زوراً وبهتاناً بقوله: «فاعتبر هذه الفواحش المنكرة، وهذه الصفات المذمومة

---

(١) إظهار الحق ٤/ ١٢٤٥ ـ ١٢٤٦.

(٢) أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور ٢/ ٣٠٩، مكة المكرّمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

المستقذرة، هل تليق بأولي الديانات؟ فكيف بمعدن النبوات؟ وهل يحمد ذكرها عند ذوي المروءات؟ فكيف عند الحي الكريم إله المخلوقات؟، تباً لهم ولمصدقهم.

فوالله لقد افتروا على رسل الله، وكذبوا على كتب الله «افتراءً على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين»[١].

ويعقب الإمام القرافي أيضاً بقوله: فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة، والصفات المستقذرة هل تليق بأولي الديانات، فكيف بمعدن النبوات، وهل يحسن ذكرها من ذوي المروءات فكيف يوحي بها إله الأرض والسموات، لعنهم الله لعناً دائماً أبداً، ما أجرأهم على الله (تعالى) وعلى رسله، ثم يقرر أنه لو لم يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها وأنها لفقت بالأَهْوية والأغراض[٢].

يذكر الأستاذ محمود نعناعة: أنَّ ما نُسِبَ إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من الزنا والقتل أسطورة ثم ألحق بها ما دار بين ناثان وبين سيِّدنا داود (عليه السَّلام).

وقد علقت الأنسيكلوبيديا بيبليكا على هذه الأسطورة وما ألحق بها بقولها: «من المؤكد أن الأسطورة الوارد ذكرها في الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني لم تخل من تضمين متأخر، ومن المحتمل جدًّا أن المشهد الخلاب من القصة تخيله كاتب ما واضعاً الإصلاح نصب عينيه، على اعتبار أنه من هنا بدأت عملية تحول داود إلى قديس[٣].

وما يمكن استخلاصه من هذا التعليق شيئان:

الأول: رفض الأسطورة وما ألحق بها كما وردت في السفر.

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: ص١٩٩.
(٢) الأجوبة الفاخرة: ص١٢٣.
(٣) المشكلة اليهودية: ص١٩٧.

الثاني: الاطلاع على إحدى الذرائع التي يبرر بها علماء الإسرائيليين ما اخترعه المدونون من خرافات مخلة بشرف الأنبياء وكرام الرجال[(١)].

هذا، ولا يفوت كتبة أسفار العهد القديم أن يختموا حياة نبي الله داود (عليه السَّلام) دون أن يلصقوا به تهمة أخرى ويشنعوا عليه تشنيعاً من نوع جديد ولكنه مرتبط بالنساء ومتعلق بالشهوة، وكأنهم يريدون أن يقولوا (لعنهم الله) إنه من شدة تعلق داود بالنساء وشبقه بهم أتوا إليه في مرض موته بفتاة عذراء لتذهب عنه المرض: **ورد في بداية الإصحاح الأول من سفر الملوك الأول ما يلي**:

«وشاخ الملك داود، تقدم في الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيده ليفتشوا لسيِّدنا الملك عن فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن حاضنة، ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيِّدنا الملك ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا، أبيشج الشونمية فجاؤوا بها إلى الملك»[(٢)].

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن «أبيشج» هي المرأة الشونمية التي اختيرت أمةً لداود للعناية به وخدمته في شيخوخته وضعفه بسبب جمالها وحداثة سنها وحيويتها[(٣)]. ويذكر الدكتور صابر طعيمة أن الكاتب المنحرف في الفكر والعقيدة يأبى إلا أن يطل على نهاية حياة هذا العلم العظيم في تاريخ النبوة والهداية بذلك المنظار الجنسي الأثيم، فبعد أن نسب لابنه وابنته ما نسب يرينا داود النبي المجاهد والد النبي سليمان المجاهد وهو يدخل من خلال رؤية كاتب الأسفار في مرحلة الشيخوخة ومقدمات الموت[(٤)].

وينهج الكاتب الآثم بنقل صورة وصفية خيالية أو منقولة عن أمم بدائية لا ترتبط بدين أو إيمان، إذ مرض داود ويريد القوم جميعاً تدفئة جسده المحموم بالبرد فلم يجدوا دواء، واشترك في البحث عن دواء للملك الخدم والعبيد

---

(١) المصدر السابق: ص١٩٧ ـ ١٩٨.
(٢) ملوك ١: ١ ـ ٣.
(٣) قاموس الكتاب المقدس: ص٢٢.
(٤) التراث الإسرائيلي: ص٥١٥.

والقواد والكهان وكل قيادة الشعب الإسرائيلي!!! فالملك النبي مريض، والشيخوخة التي داهمته تعمل عملها في أوصاله الضعيفة، وأي دواء وأي طب اهتدى إليه شعب إسرائيل عند كاتب الأسفار المقدسة؟!! لا شيء إلا أن أحضروا فتاة جميلة، وجميلة جدًّا.. هكذا يصفها من أحضرها في خياله وهواه المريض(١)!.

ويحاول كاتب الإثم أن يضيق حجم الخطيئة التي يقترفها ويقذف بها ظلماً وعدواناً نبي الله فيذكر أن الحاضنة التي أتوا بها كانت تقوم بمهمتها الجليلة في حضن الملك النبي، ولكن داود لمرضه لم يكن ليعرفها!!

«وكانت الفتاة جميلة جدًّا، فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها»(٢).

وهكذا يطالعنا كاتب الخطايا وصانعها ومقترفها في أعقد المواقف وأدق الأحوال وعن أشرف الرجال بتلك المفتريات، وكل ذلك من أجل تبرير الخطيئة والآثام والمفاسد التي قام بها شعب إسرائيل على المدى الطويل(٣).

❏❏❏

---

(١) المصدر السابق: راجع عصام الدين حفني ناصف: الأسطورة والوعي: ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) ملوك أول ١: ٤.

(٣) راجع: التراث الإسرائيلي: ص٥١٥ ـ ٥١٦.

المبحث الثالث

طعن اليهود في بيت وأسرة النبي داود

الطعن في بيت وأسرة سيِّدنا داود:

لم يقنع كاتب سفر صموئيل الثاني بما افتراه على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ولم يكتف بما سدده له من طعنات في دينه وخلقه وهو النبي الأواب الذي له عند الله زلفى وحسن مآب، وإنما أراد أن يواصل مطاعنه ويستمر في افتراءاته وأكاذيبه فادعى زوراً وبهتاناً أن الله عاقبه على ما ارتكب من إثم. ولم يعاقبه في نفسه وإنما في أولاده وأهل بيته وأخذ يسدد المطاعن من جديد في آل داود الذين قال عنهم ربنا (سبحانه): ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1].

ومن العجيب أن كاتب هذا السفر اللعين أراد أن يوهمنا كما أوهم المؤمنين بأكاذيبه ـ أن ما حدث لداود (عليه السَّلام) في أهل بيته وما جرى لأولاده إنما كان نوعاً من القصاص والعدل حيث جوزي داود بما ارتكبت يداه!!

يذكر الدكتور صابر طعيمة أن كاتب التراث الإسرائيلي لم يكفه ما خلعه من إثم على نبي الله داود وما انتهى إليه مما كان يبغي به أن يجرّد الرجل عن كل ما يربطه بالنبوة الإلهية والتزامتها، وإنما راح ينقل الخطيئة كميراث يتداول في البيت الذي يفترض فيه هداية واقتداء الأبناء بالآباء. وقد أخذ كاتب سفر صموئيل الثاني ينسب تهماً لبيت النبوة كتلك التي نسبها لداود (عليه السَّلام) وكأنه بفكره القاصر وعقله الغبي وعقيدته البعيدة عن الله وقد راح ينسب مثل هذه التهم للأنبياء فلم لا يورثها في بيت النبوة ولتدور مع الأبناء، وهذا هو ما انتهى

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.

إليه، لكن بصورة أشد بشاعة وأكثر قبحاً مما نسبه وادعاه على نبي الله داود[1].

ويبدو جليًّا ـ فيما يقول الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي أن النذل الموسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية يلح إلحاحاً، ويتهافت تهافتاً على تلطيخ شرف داود (عليه السَّلام) الذي جمع الله له النبوة والملك معاً، فوصفه بأحط المناكر وأرذلها دركة ولم يكتف باتهامه بأنه سليل زنى، فحدث عن بيت داود، وصوَّره على أنه بيت زنى وفسوق ودعارة وفجور!!! لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك... فهاهم أولاده يزنون بأخواتهم ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب[2]!!

يذكر الدكتور محمد بيومي مهران أن أسرة سيِّدنا داود وهي أعظم الأسر الملكية اليهودية والتي لم يعرف التاريخ لهم ذكراً إلا بها، صورتها في التوراة تلقى قاتمة، فإذا كان داود رأس الأسرة يعتدي على الأعراض، ويقتل الأبرياء كما زعموا، فإن ابنه «أمنون» يعتدي على عرض أخته «ثامارا»، و«أبشالوم» ابنه الآخر يقتل أخاه أمنون، انتقاماً لعرض أخته، ثم يثور على أبيه، ويطالب الحكم لنفسه، ثم لا يتعفف عن انتهاك حرمة فراش أبيه، على مشهد من عامة القوم، وأما «سيِّدنا سليمان (عليه السَّلام)» فتصوره التوراة اليهودية غارقاً في ملذاته، ناسياً نعم ربه، كافراً به[3].

وهكذا فإننا لا نكاد ننتهي من قراءة فضيحة أو جريمة في التوراة المحرفة إلا وتأتي بعدها جريمة أشنع وأقذر منها، وماذا نتوقع من بيت يكون فيه سيده قائلاً مجرماً جباناً مخاتلاً مخادعاً: زانياً بحليلة جاره، قاتلاً لقائد جنده المخلص الوفي أوريا الحثي حسب زعم اليهود!

---

(١) التراث الإسرائيلي: ص٥٠٦.

(٢) في مقارنة الأديان: ص٢١٧.

(٣) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء التاسع: إسرائيل الكتاب الثالث: الحضارة: ص٢١٠ ـ ٢١١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وفي بحثنا عن سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ «بين مفتريات العهد القديم وأكاذيب الإسرائيليات» سنقوم بالرد على ذلك وإبطاله إن شاء الله، وقد تحقق ذلك كما سبق أن أشرت.

وها هو ابن داود البكر الذي يدعى «أمنون» يقع في غرام أخته الجميلة «ثامار» كما ورد في سفر صموئيل الثاني فما كان من حكيم بني إسرائيل المسمى يوناداب بن شمعى وهو ابن أخي داود إلا أن نصح الفتى بأن يطلب من أبيه الملك أن تأتي أخته وتمرضه وتطعمه خبزاً بيدها[١].

وهكذا تمارض أمنون وزاره أبوه الملك، فطالب من أبيه أن يأتي له بأخته الجميلة «ثامار» لكي تمرِّضه وتطعمه بيدها، فأخذها إلى المخدع وزنى بها، وأخته كانت تقول له: اطلب ذلك من أبي فإن أبي لن يمانع في إعطائك إيّاي، وأبي لا يمنعني منك! فلم يسمع لقولها وزنى بها، وأبغضها في نفس اللحظة وطردها من غرفته، فحنقت عليه وأخبرت شقيقها أبشالوم[٢].

جاء في بداية الإصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني ما يلي:

«وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود، وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء، وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئاً»[٣].

وقال المفسر في السنن القويم: إن قول السفر «وجرى بعد ذلك» أي بعد ما ذكر في الإصحاحين السابقين، والظاهر أنه كان بعده بمدة قصيرة كما يزعم.

والمذكور في هذا الإصحاح ـ فيما يزعم ـ هو من عواقب خطيئة داود (المفتراة عليه).

ثم يذكر أن أبشالوم وأخته ثامار كانا ولدي داود من معكة بنت تلماي ملك جشور، ومعنى ثامار نخلة، وكان أمنون بن داود من «أخينوعم» اليزرعيلية وكان بكر أولاد داود فكان حسب الظاهر ولي العهد[٤].

---

(١) د/محمد علي البار: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: ص٣٦٥ ـ ٣٦٦، دار القلم بدمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
(٢) المصدر السابق: ص٣٦٦.
(٣) ١٣ : ١ ـ ٢.
(٤) راجع: السنن القويم في تفسير العهد القديم: صموئيل الثاني: ص١٨٧.

ثم يبين أن قوله «وأحصر أمنون للسقم» دليل على قلة عقله وفساد أخلاقه[١].

ويذكر عصام الدين حفني ناصف: أن داود رزق من امرأته معكة بنت تلماي ملك جشور بفتى ذي بهاء ودهاء لم يشهد بنو إسرائيل من يعدله ملاحة وجه وجمال شعر أسماه «أبشالوم» «ولم يكن في كل إسرائيل رجل جميل وممدوح جدًّا كأبشالوم من باطن قدمه حتى هامته، لم يكن فيه عيب»[٢].

«كما رزق منها بابنة حسناء تبذ شقيقها جمالاً وفتنة أسماها «ثامار». وكان له ابن من زوجة أخرى اسمه «أمنون» وجعل أمنون يطيل النظر إلى أخته مأخوذاً بجمالها فاشتهاها، وود أن يقضي منها وطراً، ولكن ذهنه الكليل لم يساعفه بخطة تنيله مأربه فأسقمته الحيرة واشتد به التردد، فرسم له أحد أصدقائه خطة ماكرة يتحيَّل بها[٣].

يقول السفر:

«وكان لأمنون صاحب اسمه «يوناداب بن شمعي أخي داود» وكان يوناداب رجلاً حكيماً جدًّا، فقال له: لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح، أما تخبرني؟! فقال له أمنون: إنِّي أحب ثامار أخت أبشالوم أخي.

فقال يوناداب: اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له: دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها»[٤].

وهكذا يشير ابن العم هذا الذي وصفه كاتب السفر بأنه كان «حكيماً جدًّا» بتلك المشورة السخيفة، ويحاول صاحب «السنن» أن يدافع عن هذا التعبير فيقول معنى «حكيم جدًّا» إشارة إلى جودة عقله التي قد تكون للخير وقد تكون للشر، والصديق يساعد في عمل الصالح وفي عمل السوء[٥].

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٨.

(٢) صموئيل الثاني: ١٤: ٢٥.

(٣) الأسطورة والوعي: ص١٦٥.

(٤) صموئيل الثاني: ١٣: ٣ ـ ٥.

(٥) السنن القويم: ص١٨٨.

لكن إذا كان مراد كاتب السفر كما يبرره المفسر فقد كان الأجدر به مثلاً أن يقول: بأنه كان خبيثاً جدًّا، فالحكمة لا يمكن أن تكون صفة ذم أبداً، ولكن غرض كاتب السفر من هذا التعبير ومن وصفه لهذا الرجل بأنه حكيم جدًّا، أن يثني عليه وعلى صحبته، ويمتدح فيه هذه المشورة وهذا التفكير فوصفه بأنه كان حكيماً جدًّا.

يذكر عصام الدين حفني: أن ذلك هو ما أشار به ابن العم الموفور الحكمة، وهو نموذج لما تتحلى به الأسرة كلها من مكارم الأخلاق، وقد اتبع ابن الملك هذه النصيحة الحصيفة فأوبقته.

من الناس من يبذل حياته في حماية أخته، ومنهم من يرعوي عن التغرير بأخوات غيره حين يتذكر أن له أختاً لا يرضى لها أن يغرر بها، ولكن ابن داود ـ حسب ما ورد في هذا السفر ـ متى احتدمت الشهوة بين جوانحه تخطى إلى إشباعها جميع العراقيل ضارباً بجميع الحوائل عرض الحائط ولم يكن شيء عنده حرمة لا تنتهك[(١)].

يقول السفر: «فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه، فقال أمنون للملك: دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها. فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلاً: إذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً.

فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع، وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكاً أمامه وخبزت الكعك، وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل، وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني. فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لثامار: إيتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع، وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي يا أختي»[(٢)].

---

(١) الأسطورة والوعي: ص١٦٥ ـ ١٦٦.
(٢) صموئيل الثاني: ١٣: ٦ ـ ١١.

ويواصل كاتب سفر صموئيل الثاني عرض مفترياته على بيت سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وينال من أسرته فيقول:

«فقالت له: لا يا أخي، لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل، لا تعمل هذه القباحة، أما أنا فأين أذهب بعاري؟ وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل؟ والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك!!!.

فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها[(١)].

وهكذا حقق أمنون ما كان يتمنّاه ويحلم به حسب ما ورد في مزاعم كاتب هذا السفر، فقد أمسك بأخته واضطجع معها ولم تنفع معه صرخاتها وتوسُّلاتها له أن لا يذلّها ولا يفعل القباحة في إسرائيل، ويرينا إياها كاتب المفتريات باكية أمامه ألا يحملها عاراً لم تعرف أين تذهب به في إسرائيل، كذلك ترجوه ألا يكون كواحد من السفهاء في إسرائيل، وطلبت منه فيما نسب إليها كاتب الإصحاح أن يطلبها من أبيها لأنه لم يمنعها منه!! ولم يقل لنا كاتب التراث المحترم منذ متى وحتى متى كان زواج الأخوات من الإخوة مشروعاً في إسرائيل؟ ومن الذي شرع ومن أين للفتاة أن تقول له كما زعم كاتب النصّ: «كلِّم الملك لأنه لا يمنعني منك» وهي تعلم أن ذلك لا يجوز، وإذا كان ذلك يجوز فلم لم يلجأ إليه أمنون ولا يقع في الخطيئة التي نسبها إليه كاتب الخطايا[(٢)]!!!

والحقيقة أن زواج الأخ من أخته الشقيقة وغير الشقيقة وسواء كانت لأبيه فقط أو لأمه فقط قد حرمته التوراة المنزلة على سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) مثلما حرمه القرآن الكريم حينما قال (سبحانه وتعالى) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾[(٣)]، بل إن الأخت بالرضاع قد حرَّمها الإسلام أيضاً ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾[(٤)].

---

(١) سفر صموئيل الثاني: ١٣: ١٢ ـ ١٤.

(٢) راجع: التراث الإسرائيلي: ص٥١٠.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٣.

وهذا التحريم لا يزال مثبوتاً في التوراة الموجودة مع اليهود حتى الآن:

جاء في سفر اللاويين: «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها، عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك»[١]، **وقد بيَّن كاتب هذا السفر**: أن من خالف ذلك يعاقب أشد العقاب «بل كان من عمل شيئاً من جميع هذه الرجاسات تقطع الأنفس التي تعملها من شعبها»[٢]. **وفي إصحاح آخر جاء في نفس السفر**: «وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار، يقطعان أمام أعين بني شعبهما، من كشف عورة أخته يحمل ذنبه»[٣].

وهكذا يظهر بوضوح لا لبس فيه ولا غموض أن زواج الأخ من أخته شقيقة أو غير شقيقة محرم في توراة اليهود، وقد شددت العقوبة على كل من يخالف ذلك وينتهك هذه الحرمة ويرتكب تلك الجريمة.

والسؤال الآن: ما الذي جعل كاتب سفر صموئيل المتجني على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) والمفتري على أهل بيته الكرام البررة يذكر على لسان ابنة داود أنها طلبت من أخيها أن يتزوجها ويطلبها من أبيها الملك؟

بل إن المفسرين أنفسهم لم ينكروا ذاك حيث جاء في السنن القويم أن قول ثامار لأخيها «كلِّم الملك لأنه لا يمنعني منك» لعلها قصدت بقولها هذا الخلاص منه في ذلك الوقت أو أنها دلته على طريقة مقبولة بها يتزوجها بإذن الملك[٤]، وجاء في موضع آخر «فإنه أخطأ إليها أولاً خطيئة عظيمة باغتصابه إياها وبعد ذلك العمل القبيح إذا تركها يكون قد زاد خطيئة على خطيئة فكان يجب عليه حينئذٍ أن يتزوجها زيجة شرعية ويستر عارها بقدر الإمكان»[٥]!!.

---

(١) لاويين ١٨ : ٩، ١١.

(٢) لاويين ١٨ : ٢٩.

(٣) لاويين ٢٠ : ١٧.

(٤) السنن القويم: ص١٨٩.

(٥) المصدر السابق.

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة: «ومن عجيب ما جاء في هذا الإصحاح أن ثامار قالت لأخيها: لا تذلني وكلم الملك فإنه لا يمنعني منك، حيث يفيد هذا أن الأخ كان يستطيع أن يتزوج أخته من أمه مع أن الشريعة حرمت الأخت على أخيها إطلاقاً؛ مما فيه صورة من انحراف بشع وقع فيه بنو إسرائيل[١].

ولعلهم يحتجون بما أوردوه هم في سفر التكوين عن سيِّدنا إبراهيم (عليه السَّلام) حيث زعموا أن زوجه السيدة سارة كانت أخته لأبيه.

جاء في الإصحاح العشرين منه على لسان الخليل وهو يتحدث عنها: «والحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة»[٢].

والحقيقة أن هذا أمر غير مؤكد حيث إنَّ ما ورد في سفر التكوين لا يحتج به ولا يوثق فيه[٣]، وخاصة أن الزواج بالأخت لم يكن له ضرورة في عصر الخليل مثلما كان ضرورة في زواج ابني آدم، حيث تزوج الابن أخته التي لم تولد معه كتوأم كما ورد في كتب التفسير[٤].

ولذلك فإن الحافظ ابن كثير يذكر أن سارة كانت ابنة عم الخليل «هاران» الذي تنسب إليه حران، وأن من زعم أنها ابنة أخيه فقد أبعد النجعة وقال بلا علم، ثم يذكر أن من ادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: ص١٠٥.

(٢) تكوين ٢٠: ١٢.

(٣) راجع: بطلان نسبة الأسفار الخمسة وأولها التكوين إلى سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وبيان أنها ليست هي التوراة المنزلة عليه من السماء في رسالتي الدكتوراه الفصل الثاني من الباب الثاني (تأثر اليهودية بالأديان القديمة). ونشرت بعنوان: تأثُّر اليهودية بالأديان الوثنية.

(٤) راجع: تفسير الطبري: جامع البيان في تفسير البيان: ٦/ ١٢١، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

فليس له على ذلك دليل، ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود ـ فإن الأنبياء لا تتعاطاه، والله أعلم[١].

والذي يظهر لي: أن اليهود حاولوا أن يبرروا قول سيِّدنا إبراهيم (عليه السَّلام) عن زوجه سارة أنها أخته حينما كان في مصر، فحاولوا التوفيق بين كونه زوجاً لها وبين قوله عنها «إنها أختي» فزعموا أنها كانت أخته لأبيه وتزوجها من أجل ذلك.

وعلى فرض أن اليهود يؤمنون بأن إبراهيم قد تزوج أخته وأن ابنة داود قد اتبعت ذلك، فإن وجود النص على تحريم ذلك الزواج في توراة اليهود كما ذكرنا يحول دون ذلك الاتباع، وعلى أقل تقدير في نظر اليهود يكون ما ورد في سفر اللاويين ناسخاً لما ورد في سفر التكوين.

وعلى أي حال فإن ادعاء كاتب سفر صموئيل الثاني أن ثامار قد طلبت ذلك ادعاء لا أساس له كما أن اتهامه لآل داود اتهام باطل.

ولقد ذكر الإصحاح أن البنت قالت لأخيها: هل من سبب لطردك لي؟ إنَّ هذا الشر هو أعظم مما فعلته لي قبلًا! حيث يفيد هذا كما يقول الدكتور محمد عزة دروزة: أن البنت استساغت ما فعله فيها أخوها لو كان أبقاها عنده كخليلة له ولكنه لم يقبل.

فقد أنكر أمنون ـ حسب زعم كاتب السفر ـ حرمة الأخوة، وسلك مع أخته ـ بمرأى من خادمه ـ مسلكاً ما كان يستطيع أن يسلك شراً منه، وقد فقدت هي ـ فيما يقول عصام حفني ـ أخاها حين جعل من نفسه عشيقاً لها ترق في حضنه، ثم ما لبث أن رزئت بفقد العشيق أيضاً، فإنه ما كاد ينال منها غايته حتى برم بها ومَجَّتْها نفسه[٢].

---

(١) راجع: البداية والنهاية (١/ ١٥٠) مكتبة المعارف ـ بيروت.

(٢) الأسطورة والوعي: ص١٦٧.

يقول سفر صموئيل الثاني: «ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدًّا حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت من المحبة التي أحبها إياها، وقال لها أمنون: قومي انطلقي. فقالت له لا سبب، هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي، فلم يشأ أن يسمع لها، بل دعا غلامه الذي كان يخدمه وقال: اطرد هذه عني خارجاً واقفل الباب وراءها. وكان عليها ثوب ملون لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جبات مثل هذه[١]. فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب وراءها، فجعلت ثامار رماداً على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة»[٢].

جاء في السنن القويم أن قولها: «لا يفعل هكذا في إسرائيل» لأن إسرائيل كانت أمة مقدسة وكان الرب بينهم فلا يليق أن يفعل في إسرائيل النجاسات التي تعمل بين الوثنيين، وكانت هذه الابنة الطاهرة إسرائيلية حقاً»[٣].

ثم يعود صاحب السنن بعد هذا القول إلى أنها قالت له: «فتكون كواحد من السفهاء»؛ لأن كل خطيئة سفاهة لا سيما خطيئة أمنون[٤].

ويعلل ذلك بقوله: «لأنه لم يفتكر في نتيجة عمله لها وله، لأنه لا بد من ظهور الأمر وغضب الملك وخسارة مقامه كولي العهد وغضب أبشالوم[٥]...

إذن فالأمر ليس خوفاً من الله، والسفاهة ليست لكون عمله هذا يعد زناً ومن أقبح أنواع الزنا، وإنما السفاهة لظهور الأمر وضياع ولاية العهد وانتقام أخيه أبشالوم.

ويرى صاحب السنن القويم أنه أبغضها لأنه لم يحبها محبة حقيقة بل

---

(١) كان الثواب الملون عبارة عن جبة خاصة لبنات الملك العذارى منها، كان يعرف الخادم وجميع الناس أنها بنت الملك (السنن القويم: ص١٨٩).

(٢) صموئيل الثاني: ١٣: ١٥ ـ ١٩.

(٣) السنن: ص١٨٩.

(٤) المصدر السابق: ص١٨٩.

(٥) المصدر السابق.

اشتهاها شهوة حيوانية فقط[1]، وكأنما كان المطلوب منه أن يحبها محبة حقيقية ثم يظل عاشقاً لها، ولهاً بها حتى بعد أن قضى وطره منها وحينئذٍ يكون ممدوحاً لدى صاحب السنن.

«فقال لها أبشالوم أخوها: هل كان أمنون أخوك معك، فالآن يا أختي اسكتي، أخوك هو، لا تضعي قلبك على هذا الأمر!! فأقامت ثامار مستوحشة في بيت أبشالوم أخيها، ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدًّا، ولم يكلم أبشالوم أمنون بشر ولا بخير لأن أبشالوم أبغض أمنون من أجل أنه أذل ثامار أخته[2]!!!

وجاء في السنن القويم تعليقاً على هذه الفقرة: «اسكتي»: قصده أن ينتقم لها بقتله أمنون، ولكنه لم يستحسن إظهار قصده لها، فطلب منها أن تسلم الأمر له وتتكل عليه، «أخوك هو». ظن أبشالوم أنه لا يليق به أن يشهر الأمر لئلا يعاتبه الملك. «مستوحشة»: هتك عرضها وخابت آمالها وسقط اسمها ولا يمكنها أن تتزوَّج بعد ولا ذنب عليها، وأقامت في بيت أبشالوم لأنه أخوها لأبيها وأمها»[3].

ثم يذكر صاحب السنن أن الملك داود قد اغتاظ من فعلة أمنون ولكنه لم يستحسن أن يعمل شيئاً، لأنه كان من صفاته أن يدلل أولاده[4]، هكذا يريدون أن يتجنوا على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) مرة أخرى حينما يزعمون أن هذه الفعلة المنكرة قد ارتكبت في بيته دون أن يحرك ساكناً فلم يقم الحد على ابنه ولم يوقع به العقاب، بل إنهم يزعمون ـ كما سنرى ـ أن أمنون هذا مرتكب الجريمة حينما قُتل على يد أخيه أبشالوم حزن عليه الملك جدًّا. فهم يظهرون سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بأنه قد سكت عن الجريمة وغضّ الطرف عن الجاني، ثم حينما لقي جزاءه حزن عليه وغضب من قاتله!!!.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صموئيل الثاني: ١٣: ٢٠ ـ ٢٢.
(٣) السنن القويم: ص١٨٩.
(٤) المصدر السابق.

وبعد أن ينتهي كاتب السفر من عرض هذه الواقعة المخزية التي اختلقها ليشنع بها على بيت سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وينال من منزلة أهله يطلعنا على النتيجة التي يرغب في تحقيقها وهي فسخ العلاقة بين أبناء داود وقيام شقيق ثامار بتدبير مؤامرة على أمنون يتم فيها التخلص منه والانتقام لشرف أخته المثلوم.

يقول عصام الدين حفني: «وانصرمت بعد هذه الفضيحة المدوية سنتان، نسي الواتر فيها جريمته، ولكن الموتور لم ينس ثأره، ودعا أبشالوم لفيفاً من إخوانه وأقربائه إلى مأدبة أقامها لهم في إحدى ضياعه، وذهب إليه أمنون فيمن ذهب فوثب عليه غلمان أخيه وفتكوا به»[(١)].

جاء في سفر صموئيل الثاني: «وكان بعد سنتين من الزمان أنه كان لأبشالوم جزازون في بعل حاصور التي عند أفرايم، فدعا أبشالوم جميع بني الملك، وجاء أبشالوم إلى الملك وقال هوذا لعبدك جزازون، فليذهب الملك وعبيده مع عبدك. فقال الملك لأبشالوم: لا يا ابني، لا نذهب كلنا لئلَّا نثقل عليك. فألحَّ عليه، فلم يشأ أن يذهب بل باركه، فقال أبشالوم: إذاً دع أخي أمنون يذهب معنا، فقال الملك لماذا يذهب معك، فألحَّ عليه أبشالوم فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك»[(٢)].

جاء في السنن: أنَّ أبشالوم لم ينس قصده ولكنه كتمه زماناً حتى يظن أمنون والملك أنه نسيه وأنه قد دعا الملك وجميع بنيه لئلا تعرف غايته في السرية، وبعد ما استعفى الملك طلب إليه إرسال أمنون لأنه ولي العهد فينوب عن الملك[(٣)]. «فأوصى أبشالوم غلمانه قائلا: انظروا متى طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم اضربوا أمنون فاقتلوه، لا تخافوا، أليس أنا أمرتكم، فتشددوا وكونوا ذوي بأس، ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم، فقام جميع بني الملك وركبوا كل واحد على بغله وهربوا، وفيما هم في الطريق وصل الخبر

---

(١) الأسطورة والوعي: ص١٦٨.
(٢) صموئيل الثاني: ١٣: ٢٣ ــ ٢٧.
(٣) السنن: ص١٩٠.

إلى داود وقيل له قد قتل أبشالوم جميع بني الملك ولم يتبق منهم أحد، فقام الملك ومزق ثيابه واضطجع على الأرض وجميع عبيده واقفون وثيابه ممزَّقة[١].

فأجاب يوناداب بن شمعى أخي داود وقال: لا يظن سيدي أنهم قتلوا جميع الفتيان بني الملك، إنما أمنون وحده مات لأن ذلك قد وضع عند أبشالوم منذ يوم أذل ثامار أخته. والآن لا يضعن سيدي الملك في قلبه شيئاً قائلاً: إن جميع بني الملك قد ماتوا!! إنما أمنون وحده مات، وهرب أبشالوم[٢].

ورفع الغلام الرقيب طرفه ونظر وإذا بشعب كثير يسيرون على الطريق وراءه بجانب الجبل فقال يوناداب: هو ذا بنو الملك قد جاؤوا، كما قال عبدك كذلك صار، ولما فرغ من الكلام إذ ببني الملك قد جاؤوا ورفعوا أصواتهم وبكوا وكذلك بكى الملك وعبيده بكاءً عظيماً جدًّا.

فهرب أبشالوم وذهب إلى تلماي بن عميهود ملك جشور وناح داود على ابنه الأيام كلها، وهرب أبشالوم وذهب إلى جشور وكان هناك ثلاث سنين، وكان داود يتوق إلى الخروج إلى أبشالوم لأنه تعزى عن أمنون حيث إنه مات[٣].

وهكذا فيما يزعم كاتب السفر ـ: نجح أبشالوم في خطته، حيث دبر لأخيه هذه المؤامرة وتمكن من قتله والقضاء عليه والانتقام لأخته!

ولكن أشق وأمر ما في هذه الواقعة المزعومة على قبحها وبشاعتها أن كاتب الإصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني يطالعنا بأحزان وآلام الملك النبي داود وأبنائه معه حزناً على القتيل الزاني الذي قتله (أبشالوم) وهرب بعد نجاح خطته في قتله وسط إخوته وجميع عبيد الملك.

والدارس لهذا التراث ولمثل هذه الواقعة بالذات تملأه الحيرة كثيراً أمام مفارقات كتلك، إذا كان (أمنون) على حد ما زعم الكاتب قد زنا بأخته (ثامار)

---

(١) صموئيل الثاني: ١٣: ٢٨ ـ ٣١.
(٢) صموئيل الثاني: ١٣: ٣٢ ـ ٣٤.
(٣) صموئيل الثاني: ١٣: ٣٥ ـ ٣٩.

قهراً وبالخداع وهو ابن نبي ملك فأين شريعة إسرائيل إذن في جريمة كتلك؟ وضع لهارب إسرائيل حدوداً، وإذا كانت جريمة كتلك تقع في بيت الملك النبي ومن ابن الملك النبي مع بنت الملك النبي ولا نلمح أثراً ولا يتطوع أحد أو يغضب الشعب لإهدار شريعة الرب وعدم إقامة الحد فأين ومتى وعلى يد من نلمح أثراً للاهتمام بشريعة الرب في البيت الذي يتحدث عنه كاتب التراث؟! وحين يتطوع أحد من البيت هذا للأخذ بالثأر أو لتربية المخطىء، أو وضع حد لعنف الخطيئة وتصاعد مستواها لا تدفعه في ذلك بواعث دينية أو التزام بأمور تعبدية، فإن من يعنيهم أمر الشريعة يرينا إياهم كاتب التراث وهم يبكون ويحزنون لوقوع العقاب على مقترف الخطيئة!! وهذا هو الخلل التدويني الذي افتقدت بين سياقه كل معالم النبوة أو الهداية أو الالتزام بأحكام الرب الذي طالما تحدث عنه كُتَّاب العهد القديم(١).

دخول أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل:

يتحدَّث سفر صموئيل الثاني عن أبشالوم بن داود فيقول عنه: «ولم يكن في كل إسرائيل رجل جميل وممدوح جدًّا كأبشالوم من باطن قدمه حتى هامته لم يكن فيه عيب، وعند حلقه رأسه إذ كان يحلقه في آخر كل سنة لأنه كان يثقل عليه فيحلقه، كان يزيد شعر رأسه مائتي شاقل بوزن الملك»(٢).

وحينما قتل أبشالوم أخاه أمنون انتقاماً لأخته ثامار فيما يزعم كتبة الأسفار هرب من وجه أبيه وبدأ يفكر في الثورة والتمرد عليه.

ولا يعنينا من ذلك إلا ما فعله بسراري أبيه تحقيقاً لنبوءة ناثان المزعومة:

جاء في الإصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الثاني ما يلي: «وقال أبشالوم لأخيتوفل: أعطوا مشورة، ماذا نفعل؟ فقال أخيتوفل لأبشالوم: ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت

---

(١) راجع: التراث الإسرائيلي: ص٥١١.
(٢) صموئيل الثاني: ١٤: ٢٥ ـ ٢٦.

مكروهاً من أبيك فتشدد أيدي جميع الذين معك، فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل، وكانت مشورة أخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله، هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعاً»[١].

فأبشالوم هذا ابن داود (عليه السَّلام) فاق «راوبين» الولد الأكبر ليعقوب (عليه السَّلام) فيما تذكر الأسفار ـ بثلاثة أوجه:

الأول: أنه زنى بجميع سراري أبيه بخلاف، «راوبين» فإنَّه زنى بسرية واحدة.

الثاني: أنه زنى تجاه جميع إسرائيل علانية، بخلاف «راوبين» فإنه زنى خفية.

الثالث: أنه حارب أباه حتى قُتِل عشرون ألفاً من بني إسرائيل، وداود (عليه السَّلام) مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السوء ـ حسب زعم كتبة الأسفار ـ كان قد وصى رؤساء العسكر أن لا يقتله أحد، لكن يوآب خالف أمره، وقتل هذا الخلف السوء، ولما سمع داود (عليه السَّلام) بموته بكى بكاءً شديداً، وحزن عليه.

يقول الشيخ رحمت الله الهندي: «وأنا أتعجب من هذه الأمور لأن أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء بل الأنبياء ليست عجيبة على كتبهم المقدسة، بل أتعجب أن زناءه بسراري أبيه كان بعدل الرب، وهو الذي كان هيج هذا الزاني، لأن كان وعده على لسان «ناثان» النبي لما زنى داود (عليه السَّلام) فيما يزعمون وبئس ما يفترون ـ بامرأة أوريا فوفى الله بما وعد[٢].

قال علماء أهل الكتاب «والإثم في هذا مضاعف لكون السراري أقرباءه، ولكونهن نساء لرجل آخر، ولم يكن ذلك زيجة محرمة، بل كان زناً، لحياة أبيه،

---

(١) صموئيل الثاني: ١٦: ٢٠ ـ ٢٣.

(٢) إظهار الحق ٤/١٢٤٧ ـ ١٢٤٨، تحقيق د/محمد ملكاوي.

والسراري غير مطلقات»، فهذه النصوص التوراتية تعلم الناس أن الله (سبحانه وتعالى) عمّا يقولون علوًّا كبيراً ـ يعلن زنا الزاني في واحدة سراً بأن يزني قريبه بجمع من نسائه جهراً وأنه يجازي على الزنا بزنا، وهذا كما يقول الفاضل المجدلي من أقبح القصص، والقرآن الكريم لا يجعل جزاء الزاني بامرأة الغير أن يزني ولده بنسائه، بل يجعل جزاءه الجلد فقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وبذلك فإن الله (سبحانه) أمر بحضور جمع من المسلمين عند جلد الزاني، وكل هذا معقول، وأما التوراة فتقول: إن الله توعد داود بأن يزني قريبه بنسائه حال حضور بني إسرائيل ومشاهدتهم لهذا الفعل الشنيع، وهو أمر غير معقول[2].

فلذلك قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[3].

❏ ❏ ❏

---

(١) سورة النور: الآية ٢.

(٢) راجع: مؤتمر تفسير سورة يوسف (عليه السَّلام) (١/ ١٦٧). عبد الله العلمي الغزي الدمشقي، دار الفكر ـ دمشق، ١٩٦١م.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

المبحث الرابع

دفع هذه المطاعن وبيان علة إتهام اليهود لأنبيائهم بالزنا ورميهم بالفواحش

في هذا المبحث سنبين دفع هذه المطاعن وبطلان تلك المفتريات التي اتهم بها سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من كهنة اليهود وكهنة التوراة الذين حاولوا أن يلصقوا به كل نقيصة وأن يلحقوا بأهل بيته الفضائح والمنكرات.

ويتضمَّن هذا المبحث عدة نقاط:

النقطة الأولى: بيان أن الأسفار الخمسة التي وردت فيها قصتا ابنتي لوط ويهوذا وثامار ليست هي التوراة المنزلة على سيِّدنا موسى (عليه السَّلام)، وبطلان نسبة هذه الأسفار إلى موسى (عليه السَّلام)، حيث إنها نسبة باطلة وخاطئة.

وبيان أن سفر صموئيل الثاني الذي وردت فيه قصة الافتراء على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) لا يمكن الوثوق فيه ولا يصح الاستشهاد به شأنه في ذلك شأن بقية أسفار العهد القديم التي زالت عنها صفة الوحي وذهبت عنها صفة القدسية.

وإذا ثبت كل هذا فإن الاعتقاد بصحة هذه الروايات اعتقاد باطل وقائم على غير أساس؛ حيث إن الكتب التي وردت فيها ليست مقدسة وليست من الوحي في شيء.

النقطة الثانية: بيان أن ورود هذه الروايات في تلك الأسفار مما يقطع بعدم صحتها ويزيل عنها الصفة السماوية، والصبغة الربانية، حيث إنه من المستحيل أن يتحدَّث الله (سبحانه) عن أنبيائه الكرام ورسله الأبرار بهذه الفضائح والمنكرات. ومن غير اللائق أيضاً أن يوحي به العليم الخبير إلى نبي من أنبيائه سواء أكان سيِّدنا

موسى (عليه السَّلام) أو من جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل، فمجرد ثبوت هذه الروايات في تلك الكتب ينفي عنها صفة الوحي ويقطع بأنها من تأليف الكهنة وتلبيس الكتبة الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

النقطة الثالثة: بيان علة اتهام اليهود لأنبيائهم بالزنا ورميهم بالفواحش وسبب تطاولهم عليهم بالمنكرات والمفتريات، وأن ذلك ليس إلا تبريراً لانحرافهم، وانعكاساً لأخلاقهم، حيث إن اليهود قوم انغمسوا في الشهوات وارتكسوا في المنكرات، وعاشوا في مستنقع الزنا والفواحش، فأرادوا أن يبرروا للناس أن ما هم فيه من منكر وما هم فيه من انحراف إنما هو اتباع لأنبيائهم واقتداءً برسلهم.

النقطة الرابعة: بيان أن مفسري العهد القديم وشراحه من قساوسة النصارى ورجال دينهم قد اتبعوا معتقد اليهود في عدم عصمة الأنبياء وصدقوا كل ما ورد في الأسفار عنهم فرددوا ما نسب إليهم من منكرات، وما افتري عليهم من مفتريات، بل إنهم أضافوا إلى ذلك وزادوا لعناً للأنبياء وسباً لهم ووصفاً لهم بالسقوط والخزي والخسران!

وسأبين علة إقدامهم على ذلك، وإصرارهم عليه حيث كان ينبغي عليهم أن لا يعتقدوا هذا الاعتقاد لمجرد إيمانهم بقدسية العهد القديم.

وسيتضح لنا أن سبب اعتقادهم بعدم عصمة الأنبياء هو اعتقادهم بعصمة عيسى (عليه السَّلام) وحده دون سائر الأنبياء والرسل.

النقطة الأولى: بطلان الاستشهاد بسفري التكوين وصموئيل الثاني:

فيما يتعلق بقصة ابنتي لوط المزعومة وقصة يهوذا وثامار فقد وردتا في سفر التكوين. وسفر التكوين هو أول الأسفار الخمسة التي يزعم اليهود والنصارى نسبتها إلى سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) ويرون أن ما تحتوي عليه هذه الأسفار وحي من الله (سبحانه) وأن هذه الروايات المذكورة فيها لا بد من تصديقها باعتبارها كلام الله!!.

وقد بينت في رسالتي للدكتوراه من خلال فصل كامل فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) وبطلان نسبة هذه الأسفار الخمسة إليه.

وانتهيت إلى ذلك من خلال نصوص هذه الأسفار، ونقد العلماء اليهود أنفسهم من أمثال «سبينوزا» حيث بينت المحاولات النقدية الأولى للتوراة، واتجاه العلماء في العصر الحديث إلى أن هناك أربعة مصادر للأسفار الخمسة وهي، المصدر اليهودي، والمصدر الألوهيمي، والمصدر التثنوي، والمصدر الكهنوتي[١].

وقد أدى تعدد مصادر الأسفار الخمسة إلى تنافرات وتكرارات وتداخلات عديدة في نصوصها، وانتهى العلماء إلى أن الأسفار الخمسة قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً، محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر[٢].

ومن ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها الأسفار الخمسة وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر للمحدثين من الباحثين أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع ق.م، وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع ق.م، أي بعد السبي البابلي[٣]، وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام

---

(١) لمعرفة ذلك بالتفصيل راجع الفصل الثاني من الباب الثاني وهو بعنوان «فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها وانتقاء قدسية أسفار العهد القديم» من ص٣٤٨ إلى ص٤١٢. والكتاب المنشور ص٣١١ ـ ٣٧٨، دار البشير ١٩٩٤م.

(٢) موريس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: ص٢٩، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م.

(٣) راجع: الحديث عن السبي البابلي لليهود وتدمير أورشليم عام ٥٨٦ في الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد في حياة اليهود من رسالتي: تأثر اليهودية بالأديان القديمة: ص٣٠٣ ـ ٣١٥، والكتاب المنشور: ص٢٥٨ ـ ٢٧١.

اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم(١).

وبجانب ذلك فقد ذكرت أن القرآن الكريم كان أول من نبه إلى أن اليهود قاموا بتضييع التوراة المنزلة وقاموا بتحريفها وأن فريقاً منهم قام بتأليف أو بكتابة الكتاب بأيديهم ثم زعموا نسبته إلى الله وما هو من عند الله وأنهم قاموا بإخفاء وكتمان أجزاء كثيرة من التوراة الصحيحة(٢).

وبينت أيضاً أن المنهج النقدي للتوراة ليس منهجاً مستحدثاً في العصر الحديث بحيث يرجع الفضل في إحداثه إلى الكتاب الغربيين كما قد يظن وإنما يرجع الفضل إلى المسلمين في عصور الإسلام الأولى، ومن أبرز العلماء والمسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة الإمام ابن حزم المتوفى عام ٤٥٦هـ، وجاء من بعده علماء كثيرون درسوا أسفار اليهود دراسة مستفيضة ونقدوها نقداً علمياً(٣).

وفيما يتعلق بمفتريات اليهود على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ومطاعنهم في دينه وخلقه وأكاذيبهم على أهل بيته وأسرته فقد وردت في سفر صموئيل الثاني وهو من الأسفار التاريخية التي تتكون منها أسفار العهد القديم(٤).

ينسب التلمود كتابة سفر صموئيل الأولى والثاني إلى صموئيل(٥)، لكن

---

(١) راجع: المصدر السابق الفصل الخاص بنقد الأسفار الخمسة وبيان فقدان اليهود لتوراة موسى، وقد رجعت إلى مراجع كثيرة في هذا المضمار وهذا النص المنقول ارجع فيه على وجه الخصوص د/علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص١٧.

(٢) راجع: ص٣٧٧ وما بعدها من الرسالة المذكورة.

(٣) راجع: من ص٣٨٠ إلى ص ٣٨٤ من المصدر السابق.

(٤) يطلق العهد القديم على مجموعة من الأسفار المقدسة لدى كل من اليهود والمسيحيين وإن كانوا يختلفون في عددها وتقسيمها وترتيبها فيما بينهم، ومن بين هذه التقسيمات تقسيمهم العهد القديم إلى الأسفار الخمسة والأسفار التاريخية وأسفار الأناشيد وأسفار الأنبياء راجع تفصيل ذلك في رسالتي المذكورة آنفاً من ص١٢ إلى ص٢٨.

(٥) التوراة الهيروغليفية: ص٦٨، ٧٨.

العلماء والمؤرخين قد أثبتوا خطأ هذه النسبة فذكر أسبينوزا أنه قد كتب بعد صموئيل بقرون عديدة[١].

وعرض «أيشهورن» لنقدهما ضمن أسفار العهد القديم فانتهى إلى أنهما يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن ولا وحدة تجمع بين محتوياتهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أنها مؤلف بعينه[٢].

وقد تم سرد الكثير من حوادثهما مرتين متتاليتين على نحوين متباينين وعمد مؤلفهما إلى كل قصتين تحكيان حادثاً واحداً فربط بينهما وألصق إحداهما بالأخرى في سذاجة دون أن يلقي بالاً إلى ما بينهما من تفاوت، ومن ثم دب التشوش والخلل في مواطن شتى من هذين السفرين[٣].

ومجمل القول ـ كما يقول عصام الدين حفني ناصف ـ أن الذين كتبوا السفرين هم نفر من الكهنة حشوهما تمجيداً للرب أي لأنفسهم وأودعوهما من الترهات وأوجبوا فيهما من الفرائض ما يكفي لطائفتهم موفور الرزق وعظيم السلطان: ثم فطنوا هم ومن تلاهم على مر الأيام إلى مزاعم ومطالب كانت غاربة عن ذكائهم فلم يتحرجوا عن إضافتها إلى المتن، وقد فعلوا ذلك كرة بعد كرة فكان نصيب السفرين من التحريف كبيراً كبر الغنائم التي يشرهون إليها، وليس بين أسفار العهد القديم في الوقت الراهن ما يصل إلى مستوى هذين السفرين فيما يتصل بتباين المحتويات وتعدد المصادر[٤].

ويذكر موريس بوكاي أن سفري صموئيل وسفري الملوك عبارة عن مجموعات من السير، وقيمتها التاريخية مشكوك فيها. ومن وجهة النظر هذه

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٢٧٦، ترجمة وتقديم دكتور حسن حنفي، دار وهدان للطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) راجع: تفاصيل ذلك في التوراة الهيروغليفية: ص٦٨، ٦٩، ٧٧، ٧٨ حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدّس: ص٩٦ ـ ٩٧، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية: د/ حسن حنفي مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة: ص٢٦.

(٣) عصام الدين حفني ناصف: الأسطورة والوعي: ص٩٩.

(٤) المصدر السابق: ص٩٨.

يجد أ. جاكوب في هذه الكتب أخطاء متعددة، فالحدث الواحد له روايات مزدوجة وحتى ثلاثية وبذلك تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير[1].

وبشكل عام، فإن نسبة أسفار العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة وسفر صموئيل الثاني ـ إلى أصحابها نسبة باطلة وغير صحيحة، وإن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعم بلا دليل، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها، وإذا ما كتبوا جزءاً منها فإنه حرف أو زيد عليه أو تم تبديله، فليس هناك أدنى ثقة في تلك النسبة المزعومة، وقد بحثت ذلك بالتفصيل وانتهيت إلى أن أسفار العهد القديم قد انتفت عنها صفة القداسة وزالت عنها الصبغة السماوية فلا تعد من كتب الوحي ولا من قول السماء حيث إنها لم تصل إلينا متصلة السند أو منقولة بالتواتر الذي يحفظها من التبديل ويقيها من التحريف ويعصمها من التغيير وإنما وصلت إلينا مقطوعة السند بأصحابها المزعومين وقد اعتراها الكثير من التبديل والتحريف والتغيير[2].

وكما يقول الشيخ رحمت الله الهندي: «إنه لا بد لكون السفر سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً ـ بدليل تام ـ أن هذا السفر كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد ادِّعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه»[3].

وإذا كان وضع العهد القديم قد تطلب زمناً امتد نحو ألف عام فكذلك استدعي جمعه قروناً عديدة، والكتاب الذي يتطلب ألف عام لتأليفه وجمعه يمر بأدوار كثيرة والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع خضوع الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادةً وحذفاً[4].

---

(١) راجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: ص٢٩.

(٢) راجع: تأثر اليهودية بالأديان القديمة: ص٣٤٨ ـ ٤١٢.

(٣) إظهار الحق ٢/ ١٠٩.

(٤) التوراة الهيروغليفية: ص١٥.

وإذا كانت أسفار العهد القديم بهذه الحالة فإن ما ورد فيها من مطاعن وافتراءات في حق سيِّدنا داود (عليه السَّلام) لا يمت بأدنى صلة إلى الوحي السماوي وليس هناك أدنى نسبة بينها وبين سيِّدنا موسى (عليه السَّلام) أو غيره من أنبياء بني إسرائيل بل إن وجودها في هذه الكتب يقطع بالشك فيها وعدم الاعتماد عليها، فلا يليق به (سبحانه) أن يتحدث عن أنبيائه بمثل هذا، ولا يليق بأحد من رسله الكرام أن يروي عن رسول مثله بمثل هذا أيضاً، وهذا هو موضوع النقطة القادمة.

النقطة الثانية: بيان أن ورود هذه الروايات في الأسفار يقطع بعدم صحتها ويذهب بقدسيتها:

لقد كان مقرراً في ذهني أن أعرض للمطاعن التي رمى بها اليهود نبي الله داود (عليه السَّلام) مجردة دون أن أعقب عليها بنقد، أو إبطال على أن أرجىء ذلك إلى هذا المبحث الأخير الذي أبين فيه دفع هذه المطاعن وبطلان تلك المفتريات، ولكني أعترف بأنني لم أستطع ذلك، ومن ذا الذي يعرض لهذه الأباطيل على أنها مجرد دعاوي ويقوى على عدم التعليق عليها والإشارة إليها بأنها أكاذيب وافتراءات، وبخاصة أنها في حق نبي من أنبياء الله الأبرار ورسول من رسله الأطهار، ولذلك فإني عرضت لهذه المطاعن وبينت بطلانها أثناء شرحها وإبان التعليق عليها من أقوال العلماء ونقود الباحثين في نصوص العهد القديم.

ولكني في هذا المبحث سوف أبين ـ إضافة إلى ما سبق ـ أن مجرد ثبوت هذه الروايات السخيفة وتلك الحكايات المنكرة في أسفار اليهود ينفي كونها مقدسة، ويقطع بأنها من تأليف الكهنة وتلبيسات اليهود، فقد استدل كثير من العلماء على تبديل توراة اليهود وتحريفها بأنها مشتملة على هذه القصص التي تشوه صورة الأنبياء وتنسب إليهم ارتكاب الفحشاء والمنكر وأنه لا يمكن أن تكون التوراة اليهودية المشتملة على هذه المفتريات وتلك الأكاذيب وحياً من لدن الله الحكيم الخبير، ويستحيل على نبي الله موسى (عليه السَّلام) وعلى غيره من أنبياء بني إسرائيل أن يورد مثل هذه الافتراءات.

يذكر الإمام القرافي معقباً على قصة بنتي لوط المزعومة وأثرها على نسب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ـ في زعمهم ـ: أن اليهود لعنهم الله ما أجرأهم على أعراض الأنبياء (عليهم السَّلام) بل على دمائهم، وأن مثل هذه الحكاية كثير في التوراة يسمونها «النجاسات»، وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات، وكيف يليق نسبته إلى الله (تعالى) فيقطع العاقل أن شرب لوط (عليه السَّلام) الخمر وزناءه بابنتيه كذب مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء (عليهم السَّلام)(١)، وأن الله (تعالى) شرفهم نسباً وخلقاً وسيرةً وسريرة بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سبباً للطعن عليه وهو مقتضى الحكمة وإلا لَما صلح جعله رسولاً عن الله (تعالى) ولَما حصلت الرسالة بسبب نفور الخلق منه واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك في الدنيا لا يعتمد مثل هذا فكيف برب الأرباب؟!

وينتهي الإمام القرافي إلى أن هذه القصة غارقة في بحر البهتان، قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان(٢).

وعقب الإمام القرافي أيضاً على ما ورد في سفر صموئيل الثاني من افتراء على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بقوله: فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة والصفات المستقذرة، هل تليق بأولى الديانات فكيف بمعدن النبوات؟ وهل يحسن ذكرها من ذوي المروءات، فكيف يوحي بها إله الأرض والسماوات؟ فلعنهم الله لعناً دائماً أبداً ما أجرأهم على الله (تعالى) وعلى رسله. ولو لم يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها وأنها لفقت بالأَهْوية والأغراض(٣).

وبعد أن ذكر الإمام القرافي عدداً من مفتريات اليهود على الأنبياء أخذ يقول: «فَلَعْنة الله ولعنة الملائكة أجمعين عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين، ثم هذه الحكايات القبيحة والأكاذيب الشنيعة التي في التوراة تبطل من

---

(١) سوف نتكلم بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله عن عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في الإسلام.

(٢) الأجوبة الفاخرة: ص١١٣ ـ ١١٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٢٣.

أن التوراة بما فيها من الثناء العظيم على هؤلاء الرسل الكرام ثناءً يتعذر معه مقاربة هذه الأمور فضلاً عن ملابستها».

ثم يذكر أن من أمعن النظر في هذه النصوص جزم بأن هذه الفواحش مفتعلات وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات[(١)].

ويذهب الإمام القرطبي إلى: أنَّ هذه الحكايات الوخيمة، والأقوال غير المستقيمة تضمنت الإخبار عن لوط بأنه زنى بابنتيه وأنهما حملتا منه من الزنى، وأن نبوة يعقوب إنما حصلت له بأن خدع إسحاق ومكر به، وإنما كانت لعيسو[(٢)]. وأن داود زنى بامرأة مؤمنة، زوجة مؤمن، وأن داود تحيل على زوجها حتى قتل، وقتل لقتله جماعة من المؤمنين، فسر بذلك، وأن راوبين زنى بسرية أبيه يعقوب، وكذلك يهوذا زنى بكنته ثامار، وولدت من الزنى توأمين، وأن ابنه يعقوب زنى بها شكيم بن حمور، وأن أولاد يعقوب بعد أن أمنوه وعقدوا معه، غدروا به، وقتلوه وأباه، وأهل القرية، وأن أمنون بن داود زنى بأخته ثامار بنت داود، وأن أخاها أبشالوم قتله غيلة وغدراً، وأن أبشالوم زنى بنساء داود أبيه، وأن سليمان ارتد عن نبوته وعبد الأصنام[(٣)].

فإن ثبت هذا الذي ذكروه في كتبهم ـ (تعالى) الله والأنبياء عن قولهم ـ فهذا الشعب الذي ذكروا فيه هذه الفواحش، ليس هو شعب النبي إسحاق، بل هو شعبُ غدر ونفاق وزنى وكفر، وكيف يصح أن تكون هذه الأفعال القبيحة أفعال أهل نبوة صحيحة؟ بل كل ذلك ناقض للنبوات، لا سيما مع دعاء إبراهيم وإسحاق لذريتهما بالبر والبركات، فإن كان هذا شعبهما الذي دعوا له بالبر والبركة؛ فدعاؤهما غير مسموع وقولهما مردود مدفوع[(٤)]!!!

---

(١) الأجوبة الفاخرة: ص١٢٤.

(٢) قصة حصول يعقوب على البكورية من عيسو والبركة من إسحاق وكانت من حق عيسو قام بتأليفها اليهود ليؤكدوا مبدأ الخداع وانتهاز الفرص والاستيلاء على حقوق الغير، راجع تفصيل ذلك في رسالتي للدكتوراه: ص٧٣ ـ ٧٧.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ١/ ٢٢٠ ـ ٢٠١.

(٤) المصدر السابق.

وانتهى الإمام القرطبي إلى أنه ينبغي علينا أن نوقن بأن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله (تعالى)، ولا يجوز أن ننسب إلى الله (تعالى) ما لا يليق بجلاله أن ينزله في كتابه، ولا أن يناجي به صفوة أحبابه من الفواحش والفجور التي حكوها في التوراة، وادعوا أنه فيها مسطور، مع أنه ليس في ذكرها فائدة، بل هي بكل ضلالة عائدة.

وكذلك ينبغي أن ننزه موسى والأنبياء بعده (صلوات الله عليهم) عن ذلك الكلام الغث الركيك الذي لو حكي مثله عن بعض السفلة لأنف منه، واستحيا منه، ولما كان ينبغي لعاقل أن يلتفت ويصغي إليه، ولكان يجب عليه أن يعرض عنه وينكره إذا سمعه، هذا إذا كان محكياً عن السفلة فكيف إذا حكاه الله عن نفسه أو عن خيرته من خلقه، الذين برأهم الله عن الكبائر والنقائص التي تناقض نبوتهم، فهم أكرم الخلق عليه، وأحظاهم لديه.

وأيضاً فإن الله (تعالى) حرَّم الفواحش ما ظهر منها، وما بطن والغيبة والبهتان والإحن، ثم يتعامل بها مع أكرم الخلق عليه: في نفوسهم، وذراريهم، وبناتهم، وينسبها إليهم ويشيعها، أبد الآبدين عليهم!!! هذا لا يليق بجلال الله (تعالى)، والقائل بوقوع هذا مستهزء مفترٍ على الله[1].

ويعقب الإمام ابن حزم على كثير من فضائح اليهود فيقول: «وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوة وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة، فتارة ينسبون إلى إبراهيم (عليه السَّلام) أنه تزوج أخته فولدت له إسحاق (عليهما السَّلام)، ثم ينسبون إلى يعقوب أنه تزوج إلى امرأة فدست له أخرى ليست امرأته فولدت له أولاداً منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء (عليهم السَّلام)، ثم ينسبون إلى روبان (راوبين) بن يعقوب أنه زنى بربيبته زوج النبي أبيه وأم أخويه، ثم ينسبون إلى أبيه يعقوب (عليه السَّلام) أنه فسق بها كرهاً، وافتضها غلبة، ثم ينسبون إلى يهوذا أنه زنى بامرأة ولديه فحبلت وولدت من الزنا ولداً منه انتسل داود وسليمان (عليهما السَّلام)، ثم ينسبون إلى يوشع

---

(١) القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: ص١٩٢.

بن نون أنه تزوج راحاب الزانية المشهورة الموقِفَة نفسها للزنا لكل من دب وهب في مدينة أريحا، ثم ينسبون إلى عمران بن فهث بن لاوي أنه تزوج عمته أخت والده (واسمها يوحانذ ولدت لجده بمصر) فولد له منها هارون وموسى (عليهما السَّلام) هكذا ذكر نسبها في قرب آخر السفر الرابع، ثم ينسبون إلى داود (عليه السَّلام) أنه زنى جهاراً بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي وأنها ولدت منه من ذلك الزنا ابناً ذكراً، ثم مات ذلك الفرخ الطيب، ثم تزوجها وهي أم سليمان بن داود (عليهما السَّلام)، ثم ينسبون إلى أمنون بن داود (عليهما السَّلام) أنه زنى بأخته!!، ثم ينسبون إلى أبشالوم بن داود (عليهما السَّلام) أنه فسق بسراري أبيه علانية أمام الناس، ثم ينسبون إلى سليمان (عليه السَّلام) العهر وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن، وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرب لهن القرابين للأوثان، ونسبوا إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف الكذب.

ثم يقول ابن حزم: «ولكن أين هذا مما في توراتهم من نسبتهم لعب الصراع إلى الله (تعالى) مع يعقوب، والكذب المفضوح فيما وعده وأخبر به!! فعلى من يصدِّق بشيء من كل هذا الإفك لعنة الله وغضبه؛ فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان على الله (تعالى) وعلى رسله (عليهم السَّلام)!! ثم على كل كتاب حقق فيه شيء من هذا، وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شيء خلق الله.

فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ما هداكم له من الملة الزهراء التي لم يشبها تبديل ولا تحريف والحمد لله رب العالمين[1].

النقطة الثالثة: بيان علة اتهام اليهود لأنبيائهم بالزنا ورميهم بارتكاب الفواحش:

وإذا ما تساءلنا عن السبب الذي جعل كتاب التوراة ومدوني الأسفار

---

(١) الفصل ١/١٤٧ ـ ١٤٨، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

يلطخون سير أنبيائهم بهذه الفضائح ويشوهون حياتهم بتلك المنكرات، فيرمونهم بالزنا ويتهمونهم بارتكاب الفواحش ويتطاولون على مقامهم الكريم ومنزلتهم الرفيعة، ويقذفون بناتهم وأبناءهم بالفحشاء، ويصورون بيوتهم وأسرهم تصويراً لا يليق بالسفهاء من الناس، وينسبون إليهم أعمالاً قبيحة قد يتنزه رعاع البشر عن مقاربتها فضلاً عن ارتكابها.

إذا ما تساءلنا عن العلة في كيدهم للأنبياء وتآمرهم عليهم ومنهم سيِّدنا داود (عليه السَّلام)؛ سوف نجد أن كل ما رموا به هؤلاء الأبرار إنما كان شائعاً بينهم وسارياً فيهم ومتمكناً منهم وسيتبين لنا أنهم يحاولون تبرير ما ارتكبوا من الآثام وما انغمسوا فيه من الشهوات، فقد أولع كتاب التوراة بالحديث عن الزنا والخمر والحيل والخداع والكذب وهتك الأعراض وزنا المحارم في بيئة الرسل والأنبياء وأسرهم، ولا شك أن ما يوجه اليهود إلى أنبيائهم ورسلهم من تهمة هتك الأعراض والزنا والقتل إنما هو انعكاس صحيح صادق لما يعيش فيه اليهود من السفالة، فهم مولعون بزنا الأباعد والأقارب والمحارم!! وليجعلوا منكراتهم وموبقاتهم سائغة غير مستنكرة اتهموا أفضل الخلق وهم الرسل بما اتهموهم به من الفسق والفجور؛ حتى يكون لهم العذر في سفالتهم! فإذا كان أفضل الخلق طراً ـ وهم الأنبياء والرسل ـ زناة وقتلة وكذابين فلا لوم على الناس إذا سلكوا مسلكهم وتخلقوا بأخلاقهم(١)!!!

يقول الدكتور عبد الستار فتح الله السعيد: «لقد نصب الوحي الإلهي الأنبياء (عليهم السَّلام) أسوة حسنة للناس ووصفهم بما هم أهله من طهارة وسمو، ونبل وإحسان. وجاء اليهود ـ وهم قوم بهت ـ فعكسوا على الوحي قضيته وألصقوا بالأنبياء (عليهم السَّلام) كل رذيلة؛ ليجعلوا منهم مثالاً يغري بالسوء ويكتسح في النفس الإنسانية كل عناصر المقاومة، ولا يجعلها تتمالك إلا ريثما تتهالك وتسارع في الخطايا(٢)!!.

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦، مكة المكرّمة.

(٢) د/عبد الستار فتح الله سعيد: معركة الوجود بين القرآن والتلمود: ص١٥٤ ـ ١٥٥، الطبعة الثانية مكتبة المنار، الأردن الزرقاء: ١٤٠٢هـ.

ويذكر محمد خليفة التونسي في تقديمه لبروتوكولات حكماء صهيون أن المثل العليا لليهود هم أنبياؤهم وأبطالهم كما تصورهم التوراة والتلمود وغيرهما، وسير ربانيهم وزعمائهم عامة. هؤلاء المَثل المقدسون الذين يعتقد اليهود في حياتهم بقداستهم هم أسوأ مَثل للإنسان من خلال تصويرهم لهم، فكتبهم المقدسة تحكي من فضائح أنبيائهم وعظمائهم ما يضع أكثرهم في عداد أكابر المجرمين!!! وهذا مصدر من مصادر الشر في نفوس اليهود الذين هم أشد الناس تمسكاً بشرائعهم الهمجية وجموداً على مأثوراتهم القبلية الإجرامية[١].

ولقد خطا اليهود خطواتهم المشؤومة لتأصيل الدنس، وإسباغ «الشرعية» الدينية عليه، ولو بالحيل والأكاذيب، فكان من أدنى ـ بل أدنى ـ حيلهم في هذا الباب ما نسبوه إلى كبار أنبيائهم من ولوغ في المنكرات والفواحش، ليجعلوا منهم مبرراً قاطعاً يعلّلون به خطاياهم هم، ويفلسفون به فواحشهم، بل ويضفون به على الرذائل صورة «الشيوع» الإنساني الذي لا يفلت منه أحد من جانب، ثم هو من الجانب الآخر يغري النفس بالتقليد، والمحاكاة والاقتداء[٢]!!.

فقد كان من أبرز الصفات التي اشتهر بها اليهود ـ كما يصورهم زكي شنوده ـ: دعارتهم وعهارتهم واشتهاؤهم البهيمي الذي لا يخمد، وتعطشهم الحيواني الذي لا يرتوي، وانحطاطهم في إشباع غرائزهم السافلة الدنيئة إلى الدرجة التي لا يتصورها العقل، ولا تنحط إليها حتى البهائم والحيوانات فلم يكن الرجل منهم ـ في سبيل إطفاء جذوة شهوته، ليتورع عن أن يزني مع أمه وأخته، أو خالته أو عمته أو زوجة أبيه، أو زوجة أخيه، أو زوجة ابنه، أو زوجة خاله، أو زوجة عمه، أو أم زوجته، بل لم يكن الرجل منهم ليتورع عن أن يزني مع رجل مثله، بل لم يكن ليتورع عن أن يزني مع بهيمة من الإناث، كما لم تكن المرأة لتتورع عن أن تزني مع بهيمة من الذكور!! وقد شاعت هذه الأنواع البشعة

---

(١) راجع: مقدمة بروتوكولات حكماء صهيون، ص٧٥، مؤسسة دار العلوم ـ الكويت ١٩٧٧م، راجع أيضاً: نصوص البروتوكولات: ص١٣٩ وما بعدها.

(٢) راجع: معركة الوجود: ص١٥٤.

الفظيعة من الزنا بينهم حتى فاقوا في قذارتهم وتعفن مجتمعهم أكثر الشعوب الوثنية دعارة وعهارة وقذارة وتعفناً[١].

ومن ثم فرضت الشريعة الموسوية أقصى العقوبات على هذه الجرائم الخلقية الفاحشة الفاضحة، وقد وضعت قائمة مفصلة بها، حتى تقف في وجه تيارها الجارف وتحد من انتشارها العنيف.

وعلى الرغم من كثرة العقوبات التي فرضتها الشريعة اليهودية على الزنا ظل اليهود منغمسين فيه بكل أنواعه، ومختلف أساليبه، وأقبح طرقه وأقذر صوره، ولم يفتأ أنبياؤهم معلنين غضب الله عليهم بسببه فلم يكن رجالهم يزدادون إلا شهوة وعهراً ولم تكن نساؤهم يزددن إلا تبرجاً وفجوراً[٢].

وقد بلغ اليهود في إشباع شهواتهم الحيوانية من الانحطاط ما يجعلهم

---

(١) المجتمع اليهودي: ص٣٩٩، الجزء التاسع من موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية، مكتبة الخانجي. ولمعرفة مزيد من شيوع العهارة والانحراف عند اليهود. راجع: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: ص٥١ ـ ٧٨، ترجمة عادل زعيتر، نشر عيسى الحلبي بمصر، ١٩٧٠م.

(٢) هناك نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة مشتملة على كثير من الأحكام الخاصة بتحريم الزنا بمختلف أنواعه وتحذرهم من الوقوع فيه، ونصوص أخرى تبين العقوبات التي ينبغي تطبيقها على من يرتكب هذه المحرمات، وحذرهم الرب على لسان موسى (عليه السَّلام) كما ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين مثلاً من أن يفعلوا مثلما يفعل المصريون الوثنيون الذين سكنوا معهم، وحذرهم أيضاً من أن يعملوا مثلما يعمل الكنعانيون الوثنيون وينهجوا نهجهم، ويسلكوا مسلكهم، وأوصاهم بأن يمتثلوا لأحكامه ويحفظوا فرائضه ويطبقوا شريعته، ولكن اليهود اتبعوا أهواءهم واستغرقوا في ملذاتهم، وانهمكوا في شهواتهم وارتكبوا الفواحش مثل الوثنيين بل فاقوهم وزادوا عليهم سوءاً وفساداً.

ولمعرفة مزيد من انحرافاتهم راجع المجتمع اليهودي: ص٣٩٩ وما بعدها، ومراجعه أسفار أشعياء وأرميا وحزقيال وغيرها من المراجع التي رجعت إليها في رسالتي للدكتوراه في الفصل الخاص بالاتجاه الوثني عند بني إسرائيل: ص٤١٣ ـ ٤٥٠. راجع أيضاً: قاموس الكتاب المقدس: ص٥٩٤ ـ ٥٩٥.

مساوين للحيوانات، بل أحط منها طبيعة؛ إذ كان رجالهم ونساؤهم يرتكبون الفحشاء حتى مع البهائم.

وقد انتشر هذا الشذوذ الدنيء الداعر بينهم انتشاراً كبيراً وخطيراً[1]، بل إن اليهود ـ كما يقول زكي شنوده ـ جعلوا من الزنا واللواط بأنواعهما المختلفة طقساً دينياً يزاولونه في هيكل أورشليم ذاته، فيما يزاولونه من الطقوس الوثنية، وكانت النساء ينذرن أنفسهن للزنا، كما كان الرجال يزاولون اللواط كنوع من أنواع العبادة فكانوا يسمونهم المأبونين[2].

وقد كان لاشتمال أسفار اليهود على القصص المتحدثة عن الزنا وارتكاب الفواحش دور في انحراف اليهود، وممارستهم للفسق وانغماسهم في الفساد.

يقول الدكتور صبري جرجس: إذا كانت التوراة ككتاب دين قد أدانت الشر ودعت إلى الخير في بعض ما جاء بها فتلك هي المهمة الأولى التي يفترض أن تؤديها. أما أخطر ما في التوراة ككتاب ديني أيضاً فهو أنها قد احتوت على تشجيع ضمني للإنسان أحياناً ودعوة صريحة له أحياناً أخرى، لكي ينطلق وراء نزوات الجنس والعدوان وخاصة إذا لاحت من وراء ذلك مصلحة ولو من بعيد! ووجه الخطر في ذلك أن الدين، وهو أحد القوى الرئيسية التي تتزن بها حياة الإنسان، يفقد إذ ذاك أثره التقويمي، ويضحي مجموعة من الطقوس التي تتجه

---

(١) راجع: سفر الخروج ٢٢: ١٩، اللاويين ١٨: ٢٣/ ٢٠: ١٥، ١٦، سفر التثنية ٢٧: ٢١.

(٢) هوشع ٤: ١٢ ـ ١٨، سفر الملوك الثاني: ٢٢: ٣/ ٢٣: ٧، راجع تفصيل ذلك لدى الأستاذ زكي شنودة: المجتمع اليهودي: ص٤١١. وجاء في قاموس الكتاب المقدس: أن العهر والعهارة ابنة الخطيئة ووليدة الشر ومظهر الانحلال والأخلاق، وأخطر أنواع الفساد. وهو على أنواع كثيرة، منها: العهر الديني، وهو تلك الأعمال الرديئة التي كان الوثنيون يقومون بها داخل معابدهم ومن أجل أصنامهم وكهنتهم باسم معتقداتهم الدينية الوثنية، بل إن الكهنة والكاهنات أنفسهم كانوا في المعتقدات الدينية الشرقية يمارسون الدعارة: ص٦٤٤.

وسوف نقوم بإذن الله بكتابة بحث مستقل عن العهر الديني بين اليهود والوثنيين.

إلى الشكل وتخلو من المضمون والتي تظل على السطح ولا تنفذ إلى الأعماق[1].

فما اكتسب العهر والفجور والفسق والدعارة قداسة كما اكتسبت في توراة اليهود، بل إن التوراة قد نظمت ـ فيما يقول الأستاذ عبد الله التل ـ عهارات لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عالجها بالشكل الذي عولجت به في دين اليهود.

وتعد التوراة ـ المكتوبة بأقلام اليهود ـ الكتاب الأول في التاريخ كله الذي قدم للإنسانية الدروس الأولى في الانحلال الخلقي والإباحية[2]، فقد احتوت التوراة على كثير من ألوان الإسفاف الجنسي والدعوة إلى الإباحية.

وسفر أستير مثال من أمثلة لا حصر لها على الأخلاقيات الجنسية لدى اليهود تطبيقاً لمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»؛ فقد استطاع أحد اليهود من سبايا بابل ـ واسمه «مردخاي» ـ الوصول إلى بلاد الفرس، وكانت له ابنة عم بارعة الجمال وتدعى «أستير»، فدفع بها إلى حريم الملك الفارسي «أحشويروش»، وقد حاول «هامان» وزير الملك الإيقاع بمردخاي حتى أصدر الملك أمراً بقتل جميع اليهود في المملكة، ولكن مردخاي استغل ـ بالاتفاق مع أستير ـ ما لجمالها من تأثير على الملك لإيغار صدره على وزيره الأول بغية التخلص منه وإحلال مردخاي محله وقتل الألوف من أتباع هامان[3].

---

(١) التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي: ص٧٤، نشر عالم الكتب ـ القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.

(٢) جذور البلاء: ص٣٨، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٣) راجع: الحديث عن قصة «أستير ومردخاي» بالتفصيل في رسالة الدكتوراه، الفصل الخاص بمظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية في القصص الديني والأساطير والحديث عن «أستير» من الصفحات: ص٦١١ ـ ٦١٧، وكتابي «تأثُّر اليهودية بالأديان الوثنية»: ص٦٢٤ ـ ٦٣٢.

وقد رأت التوراة أن هذه مؤامرة خليقة بالتسجيل والتنويه، فروتها في سياق التمجيد لحيلة مردخاي في إدخال أستير إلى حريم الملك الفارسي أولاً، ثم التمجيد لتآمرهما معاً على استغلال حسنها للتخلص من خصمه والحلول بعد ذلك محله، حتى لقد ذهب كل من أستير ومردخاي في التاريخ اليهودي بطلاً من الأبطال.

ومما يستفاد من قصة أستير أن التوراة التي حرمت الزنا في وصاياها العشر كما هو معروف، وأوصت اليهود في هذا الشأن قائلة: «لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلىء الأرض رذيلة»[١]، هي نفسها التوراة التي لم ترَ بأساً في تمجيد أستير على ما ارتضته من أن تكون محظية الملك الفارسي وعشيقته ما دام في ذلك تحقيق لمصلحة مبتغاة. بل لقد وصل هذا التمجيد بها إلى أن تفرد لها سفراً خاصاً من أسفارها «سفر أستير»[٢].

يذكر الأستاذ عبد الله التل أن توراة اليهود وتلمودهم ينصان على أن آمال العالم كله ملك لليهود، وأنه مغتصَب منهم، وعليهم أن يعملوا لاسترداده بشتى الطرق، بلا وازع من أخلاق أو ضمير أو منطق[٣].

ولذا فقد اعتمد اليهود على بيع أعراضهم لكسب مال «الكفار» واسترجاعه ليكون في حوزة إسرائيل، ويتم ذلك بأن يصدروا فتيات إسرائيل إلى جميع مواخير العالم في أوروبا وأمريكا، ويصدروا كذلك أعداداً كبيرة من الفتيات إلى أسواق الرقيق الأبيض في العالم، وإلى البارات والملاهي والنوادي الليلية تحت إشراف جمعيات يهودية منظمة[٤].

---

(١) لاويين: ١٩: ٢٦.

(٢) راجع: التراث اليهودي الصهيوني: ص٦٢ ـ ٦٦.

(٣) لمعرفة موقف اليهود من غيرهم ونظرتهم إليهم واعتبارهم كالحيوانات حسب قوانين التلمود راجع الفصل السادس من كتاب اليهود على حسب التلمود، وهو الجزء الأول من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص٩٠ ـ ٩٤. راجع أيضاً كتابي: القرابين البشرية والذبائح التلمودية: ص١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤) راجع تفصيل ذلك في كتاب جذور البلاء: ص١٧٢ ـ ١٧٣.

أما بالنسبة لتجارة الجنس في دولة اليهود نفسها، فرابحة مربحة، تدر على اليهود المال من أثرياء العالم الذين يقصدون الماخور العربي الذي يمثل المدنية الغربية في الشرق وأعني بها دولة إسرائيل.

وبالإضافة إلى المال الذي يجنيه اليهود من بيع فتياتهم للزوار الأجانب، فإنهم يستخدمون الجنس للحصول على أسرار ومعلومات من الزبائن الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل بدعوة من حكومتها[١].

فبواسطة النساء والذهب والخمر تمكنوا من السيطرة على معظم ساسة العالم وتهديدهم إن هم حاولوا الخروج عن مخططاتهم وسيطرتهم[٢].

وتشرف وزارة الخارجية الإسرائيلية على عملية تقديم المتعة للضيوف الأجانب وبخاصة وفود الدول الإفريقية التي تخدعها حكومة اليهود وتوجه إليها الدعوات الكثيرة، وتقدم لها المغريات لترشوها فتستمر في تأييدها للدولة اليهودية[٣].

أما إشراف حكومة اليهود على تنظيم عملية البغاء، فقد كشفت عنه فضائح عديدة وقعت عندهم، ونشرت في صحافتهم، وبسبب أخطاء بسيطة في الإجراءات ظهرت الأدوار الرسمية التي تلعبها حكومة اليهود لتسهيل تقديم الفتيات اليهوديات الجميلات إلى الضيوف من أوروبا وإفريقيا وخاصة الرسميين منهم[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) د/ محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة: ص٣٦٣.

(٣) جذور البلاء: ص١٧٤، ويذكر أن إسرائيل قد حولت الإباحية والمتاجرة بالأعراض إلى كباريه وجودي تموت فيه الأخلاق والقيم، فالعلاقات الجنسية تتم بلا رابط من زواج أو طلاق، وفي المستعمرات اليهودية يتناسلون على الطريقة البدائية والفتيات يسرن في الشوارع باللباس القصير الفاضح، ويمارس الحب علناً وبشكل قذر، ويبلغ الانحلال الخلقي أشده في الفنادق التي يؤمها السياح الأجانب: راجع: ص١٧٤.

(٤) راجع تفصيل ذلك في المصدر السابق: ص١٧٤ ـ ١٧٥.

وقد ظل اليهود في كل عصورهم يتاجرون بأعراض بناتهم كما يتاجرون بأعراض زوجاتهم وأخواتهم، معتبرين ذلك من الموارد السهلة لاكتساب الأموال وتكوين الثروات[١].

ويرى اليهود أن ممارستهم للدعارة والفسق والفجور ليست جديدة عليهم، إذ أنهم يقتدون بأنبيائهم الذين صورتهم توراة اليهود فاسقين فاجرين ـ وهم أطهر البشر وأفضل الخلق ـ.

ألم تذكر التوراة أن داود ملك المسيح انتهك عرض زوجة أحد ضباطه واسمها بتشبع؟

ألم يصور أحد أبناء داود داعراً فاجراً يسطو على عرض أخته؟

إن غريزة الفسق والفجور أصيلة عندهم راسخة في عروقهم وأصولهم، لا يرون في تطبيقها أي حرج أو ملامة[٢].

ولم يكتف اليهود بتحويل دولتهم إلى ماخور للدعارة، ولم يكتفوا كذلك بتصدير الغواني والمومسات إلى دول أوروبا وأمريكا، وإنما أداروا بأنفسهم جميع بيوت الدعارة في كل من دول أوروبا وأمريكا، ونشروا الفسق والفجور، ودمروا أخلاق الشعوب الأوروبية والأمريكية[٣].

وهكذا كان اليهود أكثر الشعوب شهوة، وأقذر الأجناس فسقاً، وأشد الناس تكالباً على الزنا والدعارة والعهارة والفجور، وقد اتخذوا من أعراض نسائهم تجارة يجمعون عن طريقها المال، كما اتخذوا منها رشوة يصلون عن طريقها إلى تحقيق مطامعهم وأغراض نفوسهم، غير عابئين في سبيل ذلك بشرف أو شريعة، أو حرام أو حلال[٤].

---

(١) زكي شنوده: المجتمع اليهودي: ص٤٠٨.

(٢) راجع: جذور البلاء: ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٦.

(٤) المجتمع اليهودي: ص٤١١.

عشق المحارم عند اليهود:

يذكر الدكتور صبري جرجس أن عشق المحارم من الظواهر التي تكاد تكون وقفاً على المجتمع اليهودي لأنه مجتمع مغلق يحرم على أفراده الزواج خارج دائرته، ومن أجل ذلك كانت إحدى مهام التراث اليهودي الصهيوني محاولة استنباط الوسائل الكفيلة، لا بمعالجة هذه المشكلة ولكن بالتخفف من مشاعر الخطيئة الناتجة عنها(١).

وقد تبين لنا من خلال ما عرضناه في هذا الكتاب أنهم زعموا أن الخليل إبراهيم قد تزوج أخته من أبيه(٢).

وزعموا أيضاً أن «راوبين» الابن الأكبر ليعقوب قد زنى بزوجة أبيه «بلهة» ودنس فراش أبيه(٣).

وذكروا أيضاً كما علمنا أن «يهوذا» بن يعقوب قد زنى بكنته وأرملة ابنيه «ثامار»(٤).

وزعموا أيضاً أن «أمنون» بن داود قد زنى بأخته(٥).

وبينوا أنه كان بإمكانه أن يتزوجها زواجاً شرعياً!!، ونسوا أو تناسوا وتجاهلوا ما ورد في الأسفار الخمسة من تحريم لذلك، وقد سبق أن بينا ذلك، واستمراراً في مؤامرتهم على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وبيته زعموا أن «أبشالوم» زنى بسراري أبيه علانية أمام جميع إسرائيل(٦).

وهم بهذه الافتراءات وتلك الأكاذيب أرادوا أن يعللوا ما انتشر بينهم من الزنا بالمحارم والرغبة فيهن، ومخالفة الشريعة التي حرمت ذلك تحريماً مؤكداً، فهؤلاء

---

(١) التراث اليهودي الصهيوني: ص٣٣١.
(٢) تكوين ٢٠: ١٢.
(٣) تكوين ٣٥: ٢٢.
(٤) تكوين ٣٨: ١ ـ ٣٠.
(٥) صموئيل الثاني: ١٣: ١ ـ ٢٢.
(٦) صموئيل الثاني: ١٦: ٢٠ ـ ٢٣.

منهم أنبياء وأولاد أنبياء فعلوا بذلك ولم يطبق عليهم حد، ولم ينقص ذلك في دينهم، وإنما مدحتهم الأسفار وأثنت عليهم ومجدتهم وجعلتهم من الأبرار.

وجاء في التلمود: «إن من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة» بدليل ما جاء في كتاب الأمثال (٢١٣): إن الحكمة تدعى «والدة». ومن يرى أنه يجامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة، ومن يرى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل، ومن يرى أنه جامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية[١]!

ويعلق الدكتور «روهليج» بقوله: «ناشدتك الله أيها القارىء، تلك هي القواعد الأدبية، أفلا يتمنى الإنسان بعد ذلك أن يرى تلك الأحلام حقيقة، ويترقى من هذه إلى تلك لأنه إن كانت نتيجة الأحلام بالكيفية المشروحة فما بالك بالحقيقة؟»[٢].

وقال الرابي «كرونر»: إن التلمود يصرح للإنسان (يعني) أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها، ولكنه يلتزم أن يفعل ذلك سرًّا لعدم الضرر بالديانة[٣]!!.

ويرجع انتشار عشق المحارم في المجتمع اليهودي حسب قولهم إلى أمرين **الأوَّل**: أن اليهود يحرمون تحريماً باتاً وقاطعاً الزواج من الكفار (أي من غير اليهود)، **والثاني**: أن اليهود ظلوا قروناً طويلة يعيشون في جماعات صغيرة مغلقة ومنفصلة كل الانفصال عما يجاورها من البيئات التي يقيمون بينها، ومثل هذا الوضع كان بطبيعة الحال يعمل على الحد من الأفراد الصالحين للزواج في الجماعة اليهودية المغلقة، وبالتالي كان يساعد على ظهور مشاعر عشق المحارم بين أفرادها[٤].

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص٩٥ ـ ٩٦، ترجمة د/يوسف نصر الله، قدَّم له مصطفى أحمد الزرقا، دكتور حسن ظاظا دار القلم دمشق، دار العلوم ـ بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) المصدر السابق: ص٩٦، وروهلنج هو مؤلف القسم الأول من هذا الكتاب بعنوان «اليهود على حسب التلمود».

(٣) المصدر السابق.

(٤) التراث اليهودي الصهيوني: ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

وكان أول من حاول نشر نكاح المحارم في العصر الحديث هو «فرويد» اليهودي حيث جاء بنظريات غلفها بالأساطير اليونانية[١].

والكتاب الذي عالج فيه «فرويد» مشكلة عشق المحارم هو «الطوطم والتحريم» الذي حاول فيه أن يرجع التحريم إلى رغبات عشق المحارم، وكان يقصد من كتابه هذا، بعد خلاص اليهود من تيار معاداة السامية، أن يساعدهم على التحرر من مشاعر الخطيئة لديهم، وأسبابها لا حصر لها في تاريخهم القديم منه والحديث، بردها وحسب إلى الأصول التاريخية للتحريم، وذلك على نحو ما يتحرر به الفرد من مشاعر الخطيئة بردها إلى أصولها الطفلية[٢].

ثم تطورت مسألة عشق المحارم أكثر وقامت هوليود بإخراج عشرات الأفلام التي تنادي بنكاح الأمهات والأخوات[٣].

وقد نشرت «التايم» الأمريكية تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم (عدد إبريل ١٤، ١٩٨٠) واستضافت فيه مجموعة من علماء الجنس والأنثربولوجي وأغلبهم يهود.

وجاء في ذلك التحقيق تصريحات للأنثربولوجي ـ اليهودي كوهين ما يلي: «إن منع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات بل والأبناء، ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائي الذي احتاج لإجراءات معاهدات واتفاقات تجارية خارج نطاق الأسرة فقام عند ذاك بمنع نكاح المحارم، وبما أن ذلك لم يعد له أهمية فإن هذا المنع يصبح أمراً قد عفى عليه الزمن».

ويقول الأنثروبولوجي سيمور باركر من جامعة يوتاه: «إنه من المشكوك فيه

---

(١) راجع تفصيل ذلك لدى الدكتور محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٢) التراث اليهودي الصهيوني: ص٣٣٢.

(٣) جاء في التقرير الذي قامت به «التايم» الأمريكية أن الجمهور بدأ يتقبل فكرة نكاح المحرمات، وتدلل على ذلك بزيادة الإقبال على الأفلام التي تعرض نكاح المحرمات وتمجده، ففي عام ١٩٧٩م أنتجت هوليود ستين فيلماً تشيد بنكاح المحرمات وتعرضه عرضاً صريحاً، بينما لم تنتج هوليود إلا ستة أفلام عام ١٩٢٠م (المدخل لدراسة التوراة: ص٣٧١).

أن يكون الثمن الذي يدفعه من يقوم بنكاح المحرمات من الشعور بالذنب والجفوة بين أفراد الأسرة الواحدة أمراً ضرورياً، أو حتى مرغوباً فيه. وعليه: فينبغي إزاحة هذا الشعور بالذنب عندما يقوم شخص ما بنكاح أمه أو أبيه أو أخته، وما هي الجدوى التي ستعود من ربط نكاح المحرمات بهذا الشعور من عدم الارتياح بدلاً من المحبة والدفء الذي يشعه نكاح المحرمات(١).

وتذكر «التايم» ودائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٨٢م): إن صيحات اليهود وكتاباتهم تتحدث عن نكاح الأخ لأخته باعتباره شيئاً غير ضار بها، بل لقد بلغت بهؤلاء الوقاحة أن يقولوا: إن كل الاتصالات الجنسية بين المحارم مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته والأم وابنها، وإن الضار فقط هو الكبت وعقدة الشعور بالذنب!!!.

والحقيقة، أن التقرير مشتمل على أقوال وإحصائيات وتصريحات يندى لها الجبين، وتجعل الإنسان يصاب بالغثيان، ويشعر بالقرف وقد اضطررت لنقل هذا الجزء منه وهو أخف ما فيه لكي أبين أن دعوة اليهود لنكاح المحارم لم تأتِ من فراغ وإنما تعتمد على ما دونوه في أسفارهم وما ولغوا به في سيرة أنبيائهم ليبينوا للناس أن الأنبياء فعلوا ذلك ولا ضير عليهم إن اتبعوهم، ويريدون أن يميتوا الشعور بالغيرة والإحساس بالذنب كما صوروه عند «أمنون» وابن عمه «الحكيم»، وما فعله «أبشالوم» في زعمهم، **وهم في كل ما حكوه عن الأنبياء وأسرهم كاذبون، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.**

النقطة الرابعة: مسايرة النصارى لليهود في اتهامهم للأنبياء من خلال شروحهم للعهد القديم:

هذا وقد لاحظنا أن مفسري العهد القديم وشراحه رغم أنهم من المسيحيين(٢) قد تبنوا وجهة النظر اليهودية وتابعوا التصور اليهودي للأنبياء اعتقاداً منهم بصحة

---

(١) راجع نص هذا التقرير في كتاب الدكتور محمد علي البار المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ودور اليهود في نشر نكاح المحارم في العهد الحديث من ص: ٣٦٨ إلى ص: ٣٧٤.

(٢) اطلعت على كثير من هذه الكتب وتلك الشروح، فوجدت كلاماً أفحش من كلام =

هذه الرواية المفتراة على نبي الله سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وتحقيقاً لمعتقدهم في المسيح (عليه السَّلام) من أنه وحده ـ دون سائر الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم ـ هو المعصوم، فقد جاء في مقدمة تفسير سفر صموئيل الثاني أن في الكتاب المقدس تاريخاً حقيقيًّا يصور لنا رجال الله كما هم يذكر إيمانهم وفضائلهم ويذكر خطاياهم أيضاً، وليس لنا قدوة كاملة إلا قدوة يسوع المسيح(١).

يذكر الشيخ رشيد رضا أن أهل الكتاب لا يقولون بعصمة الأنبياء، وأن كتبهم المقدسة ترمي بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة بل المجرئة على الشرور والمفاسد، والنصارى منهم يجعلون معاصي الأنبياء دليلاً على عقيدتهم، وهي أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله، ولأنه هو المخلِّص للناس من العقاب على الخطيئة اللازبة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له، وأنه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره؛ لأن المخطىء لا يخلص المخطئين وهو منهم، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل، ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها(٢).

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندي: أن المسيحيين يدَّعون أن الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط تقريراً كان أو تحريراً، وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها، فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً، فضلاً عن الخطأ والنسيان، فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلاً

= اليهود، فعزفت عنها ولم أنقل منها إلا النزر اليسير، ومن أمثال هذه الكتب: «كتاب رجال الكتاب المقدس» للقسيس إلياس مقار، نشر دار الثقافة بالقاهرة. وكتاب «حياة داود» تأليف ف.ب ماير، ترجمة القمص مرقس داود، نشر مكتبة المحبة ـ القاهرة. وكتاب «الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء» ترجمة فرج الله إسحاق، نشر دار الشرق الأوسط بيروت. وكتاب «العهد القديم» يتكلم تأليف «صموئيل شولتز» ترجمة أدبية شكري وغيرها بجانب ما ورد عن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في قاموس الكتاب المقدس، فمثلاً يقول «وقد ارتكب» خطيئته الشنيعة ضد أوريا الحثي، ارتكب خطايا يندى لها الجبين. (ص٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(١) السنن القويم: ص١٨٠.

(٢) الوحي المحمدي: ص٥١، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

عن الأجنبيات ويصدر عنهم عبادة الأوثان وبناء المعابد لها، ولا يخرج عندهم نبي ـ من إبراهيم إلى يحيى (عليهما السَّلام) ـ لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا!! أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الأنبياء[١].

وفي رده على الرسالة المسماة «أبحاث المجتهدين بين النصارى والمسلمين» وعلى هتكه عصمة الأنبياء يذكر صاحب كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» أنَّ مؤلف هذه الرسالة المذكورة قال ما خلاصته «إن كافة الأنبياء مخطئون إلا عيسى فهو معصوم ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ»، ويرى أنَّ هذا المؤلِّف المسكين ماذا يفعل وإنجيله وأساس دينه يصرح بأن الأنبياء الذين أتوا قبل عيسى كلهم لصوص وسرّاق! وفي معرض رده عليه ذكر جواباً وجيزاً مفيداً للمنصف من النصارى فقال: «لو سلم زعم المؤلف وجاز تطرق الفساد والخطأ والكذب من الرسل والأنبياء بعد النبوة لصح مذهب منكر النبوات، لأنه أقرب للتصديق عقلاً من تصديق رسالة الكاذب والفاجر في بناته والكافر والمنافق وصانع العجل لتكفير قومه.

والقول بتخطئة الأنبياء والرسل هو السبب الوحيد لهروب الأوروباويين من النصرانية إلى مذهب منكري النبوات والدهرية، والغريب زعم المصنف بأن الله يعصم أقوال الأنبياء حين وعظهم ولا يعصمهم بعد انتهاء الوعظ، أي يخطئون ويزنون في بناتهم وكنانهم ويعملون العجل لتكفير أقوامهم.

ولو صح قول المؤلف ـ لماذا ما عصم الله هارون النبي (عليه السَّلام) عندما صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه، فهو مناقض لقوله بعصمتهم عند الوعظ... والذي يتحصل من قول المؤلف أن للأنبياء طبيعتين لاهوتية وناسوتية كالمسيح تارة يجرون النصيحة وأخرى يرتكبون الفضيحة، وبهذا يتساوى النبي والشقي!! والعجب من هذا المؤلف كيف صح عنده استثناء المسيح من الرسل.

وخلاصة قوله في ذلك: «إننا معشر النصارى نعتقد بعصمة عيسى من الخطأ لكونه ليس من زرع البشر» مع كونهم زعموا أن المصلوب صار لعنة

---

(١) إظهار الحق: ٤/ ١٢١٤.

عنهم، ودخل الجحيم لأجلهم؛ وبذلك يكون على وصفهم رئيس الشياطين؛ لأنهم قالوا: إنه ملعون ورئيس المخطئين، لأنهم قالوا عنه دخل الجحيم!! فإن كان آدم (عليه السَّلام) أخطأ مرة واحدة بمجرد أكله من الشجرة المنهي عنها، فإنكم زعمتم أن المصلوب جمعت فيه الخطايا كلها وإنه صار لعنةً جهنَّميًّا!!.

أيها المنصف أنت الذي قلت إن عيسى إنسان بشر ناسوتي، فكيف يصح بعد هذا الإقرار منك أنه ليس من زرع البشر وأمه العذراء ولدته كما تلد النساء؟! فإن صح استدلالك الفاسد على أن عيسى لم يخطىء لكونه من غير أب، لماذا لم يصح دليلك هذا في آدم أيضاً وهو من غير أب وأم! فهو أولى بالعصمة منه. ولعلك تقول إن آدم أخطأ وعصى ثم ندم واستغفر فتاب الله عليه وعفا، وعيسى لم يخطىء أبداً. فأقول: حينئذٍ بطل قولك بأن الذي لم يكن من أب لم يخطىء.

ونحن معاشر المسلمين نعتقد بعصمة الأنبياء وعيسى معهم، ولكنك أنت الذي قلت وزعمت بأن قيافا رئيس كهنة اليهود نبي ملهم حكم على عيسى (عليه السَّلام) بالكفر. ولم نرَ أنه بعد كفره تاب وندم كما ندم آدم، بل زعمتم أنه أصر على كفره وزعمه بأنه هو الله إلى أن مات مصلوباً بحد الإلهام، فكيف يكون معصوماً ولا سيما أنكم زعمتم أنه إله أرسل لخلقه رسلاً وأنبياء كفرة ولصوصاً فجرة!! وهل أعظم من هذا غشاً وخطيئة!! وكيف يكون هذا معصوماً وأنبياؤه سراق؟! لعمري لو جاز هذا على الأنبياء لجاز الكذب في خبر الله، وانقلبت المعصية طاعةً والهداية ضلالاً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين»[١].

❑❑❑

---

(١) راجع: رد مؤلِّف كتاب الفارق العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده على رسالة «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين»، تأليف نيقولا يعقوب غبريل، البحث الثالث (في هتكة عصمة الأنبياء) ذيل الفارق: ص٤٣ ـ ٤٤ من ذخائر التراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الفصل الثاني

فتنة داود في القرآن بين
أكاذيب الإسرائيليات وعصمة وتنزيه الأنبياء

ويشتمل على تمهيد وستة مباحث:

* المبحث الأول: نبوة سيِّدنا داود وصورته الوضيئة في القرآن الكريم.
* المبحث الثاني: الاتجاه الأول في تفسير فتنة داود (القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) للكبيرة من خلال الروايات الموقوفة والمرفوعة).
* المبحث الثالث: بطلان هذه الروايات من ناحية السند وبيان أنها من أكاذيب الإسرائيليات.
* المبحث الرابع: بطلان هذه الروايات من ناحية المتن وبيان منافاتها لعصمة الأنبياء.
* المبحث الخامس: الاتجاه الثاني في تفسير فتنة داود (القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) للصغيرة) وبطلان قولهم.
* المبحث السادس: الاتجاه الثالث في تفسير فتنة داود (المنزهون لسيِّدنا داود عن ارتكاب الكبيرة والصغير)ة.

تمهيد

يقول الله (تعالى): ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

هذه الآيات الكريمة من سورة (صٓ) ستكون هي المحور الأساسي الذي سنرتكز عليه وندور حوله في مباحث هذا الفصل حيث سنجد اختلاف العلماء والمفسرين في المضمون الذي تحتوي عليه، والنبأ الذي قصه الله سبحانه على رسوله ﷺ نبأ الخصم الذين تسوروا المحراب على سيِّدنا داود ودخلوا عليه فجأة ففزع منهم، قالوا: لا تخف. وانبرى اثنان منهم وقالا: نحن خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط.

وتتلخص قضيتهما التي عرضاها عليه كما ذكر أحدهما وهو المدعي: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، وهنا أجاب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قائلاً للمدعي وموجهاً إليه الكلام: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾.

وهنا كما يقول المفسرون وكما يستبين من نصوص الآيات الكريمة اختفى الرجلان أو على الأقل انتهت القضية بالنسبة لهما، ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

فما لبث سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أن انتهى من كلامه حتى انصرف عنه الخصمان وهنا ظن داود (عليه السَّلام) أنها الفتنة، لقد ظن أن الله سبحانه قد فتنه وابتلاه واختبره فأخذ في الاستغفار حتى غفر الله له.

وقد تركز اختلاف العلماء حول الفتنة التي ظنها داود حتى استغفر ربه، وأخذوا يبحثون ويتساءلون عن ماهية هذه الفتنة التي استوجبت استغفار داود وخروره راكعاً لربه، والتي غفر الله له، حينما يقول سبحانه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾، والتي استتبعت بيان منزلته عند ربه ومكانته لديه سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

وبعد أن جمعت أقوال العلماء في ذلك وأخذت أقرؤها عدة مرات تبين لي أنها تتجمع وتصب في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد ارتكب الكبيرة ـ وحاشاه ـ، واستشهدوا على ذلك بعدة روايات موقوفة ورواية مرفوعة.

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد ارتكب الصغيرة ـ وحاشاه ـ، وحاولوا بذلك التلطيف من الكبيرة إلى الصغيرة.

الاتجاه الثالث: يرى أصحابه أنه (عليه السَّلام) لم يرتكب لا صغيرة ولا كبيرة، ونزهوه عن كل ما نسب إليه وبينوا التفسير الصحيح للآيات الذي يتفق مع عصمة الأنبياء، ويتناسب مع علو مقامهم ورفعة منزلتهم.

ولكن قبل أن نعرض لهذه الاتجاهات الثلاثة ونقوم بنقدها وبيان ما يشتمل عليه كل اتجاه نود أن نخصص مبحثاً عن بيان نبوة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وصورته الوضيئة في القرآن الكريم، ويتصدر هذا المبحث بقية مباحث هذا القسم والتي تتعلق بفتنة داود الواردة في القرآن الكريم، فيكون هذا المبحث من جهة بمثابة تصحيح لما ورد في القسم أو الفصل الأول من مطاعن وأغاليط في

حق سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، ومؤكداً هيمنة القرآن الكريم وتصحيحه لما وقع فيه اليهود والنصارى من أخطاء ما رددوه من أكاذيب.

ومن جهة أخرى يكون مبرزاً لمكانة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في القرآن الكريم ليؤكد على أن ما خاض فيه المفسرون وما ولغ فيه المفترون إنما كان بعيداً تماماً عن تكريم القرآن وعصمة الأنبياء وتنزيه المرسلين.

❑ ❑ ❑

المبحث الأول

نبوة سيِّدنا داود وصورته الوضيئة في القرآن الكريم

بعد أن اطلعنا في القسم أو الفصل الأول على صورة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من خلال ما رسمه اليهود في أسفارهم حيث شوهوا تاريخه ورموه بأفحش الاتهامات ووصموه بأحط المنكرات، نود في هذا المبحث أن نقدم الصورة المشرقة والملامح الوضيئة لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) في القرآن الكريم، حيث ذكره كنبي من أنبياء الله الأطهار ورسول من رسله الأبرار الذين اصطفاهم الله من خلقه، وصنعهم على عينه وأدبهم فأحسن تأديبهم، ورباهم فأكمل تربيتهم ووصفهم بالصفات الطيبة، وأنزلهم الدرجات الرفيعة ووضعهم تحت عنايته وعصمته.

فقد ورد اسم سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في القرآن الكريم ست عشرة مرة، وفي تسع سور من سوره المباركة[١].

وبدأ ذكره في سورة البقرة، حيث تحدث القرآن الكريم عن بداية ظهور سيِّدنا داود وبزوغ نجمه بعد أن قتل جالوت في زمن الملك طالوت[٢] الذي بعثه الله لليهود ملكاً واصطفاه عليهم ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: يقول تعالى عن جنود طالوت الصابرين

---

(١) راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، الذي وضعه محمد فؤاد عبد الباقي: ص٣٣٥ دار الحديث ـ القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، والسور التي ورد ذكر سيدنا داود فيها هي: البقرة، النساء، المائدة، الأنعام، الإسراء، الأنبياء، النمل، سبأ، صٓ.

(٢) من المحتمل أن يكون طالوت هو شاول المذكور في أسفار العهد القديم، وإن كانوا قد شوهوا صورته، والنبي الذي أخبر بني إسرائيل هو صموئيل (راجع في ذلك رسالتي للدكتوراه) المشار إليها آنفاً.

في مواجهة جالوت وجنوده: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، وداود كان فتى صغيراً من بني إسرائيل، وجالوت كان ملكاً قوياً وقائداً مخوفاً، ولكن الله شاء أن يرى القوم وقتذاك أن الأمور لا تجري بظواهرها وإنما تجري بحقائقها، وحقائقها يعلمها هو، ومقاديرها في يده وحده، فليس عليهم إلا أن ينهضوا هم بواجبهم، ويفوا الله بعهدهم، ثم يكون ما يريده الله بالشكل الذي يريده.

وقد أراد الله أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبونهم ضعاف ضعاف، يغلبهم الفتية الصغار حين يشاء الله أن يقتلهم، وكانت هناك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله، فلقد قدر أن يكون داود هو الذي يتسلم الملك بعد طالوت، ويرثه ابنه سليمان فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل[١].

فبعد أن قتل داود جالوت ارتفع نجم سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وأنعم الله عليه بالملك والنبوة ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

يقول الطبري: «يعني (تعالى) ذكره بذلك وأعطى الله داود الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، والهاء في قوله: «وآتاه» عائدة على داود، والملك: السلطان، والحكمة: النبوة، وقوله: علمه مما يشاء يعني علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد كما قال الله (تعالى) ذكره: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[٢].

ويذكر الحافظ ابن كثير أن داود لما قتل جالوت، أحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه: وإلى تمليكه عليهم، فصار الملك بعد طالوت إلى داود (عليه السَّلام)، وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط، والنبوة في آخر، فاجتمعا في داود (عليه السَّلام)[٣]، ولذلك قيل: إن

(١) راجع: سيد قطب في ظلال القرآن ٢/ ٢٧٠ دار الشروق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٠٣ دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٧٦م.
(٣) راجع: قصص الأنبياء ٢/ ٤١٦، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أن الله (تعالى) آتى داود ملك طالوت ونبوة أشمويل[١].

فالمشهور من أحوال بني إسرائيل أن الله (تعالى) كان يبعث إليهم نبياً وعليهم ملكاً، وكان ذلك الملك ينفذ أمور ذلك النبي، وكان نبي ذلك الزمان أشمويل (صموئيل في العصر القديم) وملكه طالوت، فلما توفي كل منهما أعطى الله النبوة والملك لداود ولم يجتمع الملك والنبوة على أحد من بني إسرائيل قبله[٢].

فقد ذكره الله سبحانه في سورة الأنعام ضمن ذرية الخليل إبراهيم[٣] من الأنبياء الأربعة عشر، وجعله مقدماً عليهم هو وابنه سليمان (عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصَّلاة وأزكى التسليم)، وليس ذلك إلا بأنها هما اللذان جمعا بين الملك والنبوة أو على الأقل نالا منهما معاً نصيباً عظيماً أكثر من غيرهم.

يقول تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

يذكر كل من الرازي والخازن أن الله (تعالى) ذكر هنا ثمانية عشر نبياً من الأنبياء (عليهم السَّلام) من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل والشرف لأن الواو لا تقتضي الترتيب، ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب، وهي:

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٠٣.

(٢) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٤٠٢ طبع على هامش جامع البيان للطبري.

(٣) يقول تعالى عن سيدنا إبراهيم الخليل ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ . . .﴾ إلخ الآية، وقيل: المراد من ذرية نوح ولكن الأصوب والأرجح أن يعود الضمير إلى إبراهيم وأن يكون هؤلاء من ذريته راجع ذلك بالتفصيل في التفسير الكبير للإمام الرازي ١٣/ ٦٨ دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٨٦.

أن الله (تعالى) خص كل طائفة من طوائف الأنبياء (عليهم السَّلام) بنوع من الكرامة والفضل، فذكر أولاً نوحاً وإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأنهم أصول الأنبياء وإليهم ترجع أنسابهم جميعاً.

ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان، وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظاً وافراً ونصيباً عظيماً.

ومن المراتب: الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد، وقد خص الله بهذه أيوب (عليه السَّلام).

ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف (عليه السَّلام) فإنه صبر على البلاء والشدة إلى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة.

ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الأنبياء (عليهم السَّلام): كثرة المعجزات وقوة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وقد خص الله (تعالى) موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر.

ثم من المراتب المعتبرة: الزهد الشديد في الدنيا والإعراض عنها وترك مخالطة الخلق، وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس (عليهم السَّلام)، ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين.

ثم ذكر ـ من بعد هؤلاء الأنبياء ـ من لم يبق له أتباع ولا شريعة وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط.

فإذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه(١).

وبيَّن سبحانه أنه أوحى إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بأن آتاه الزبور مثلما أوحى إلى رسوله سيِّدنا محمد ﷺ وإلى سيِّدنا نوح والنبيين من بعده.

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب ١٣/ ٦٨ ـ ٦٩؛ تفسير الخازن ٢/ ٣١ ـ ٣٢، وهو المسمَّى لباب التأويل ومعاني التنزيل، نشر دار الفكر.

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾(١).

يقول الطبري: «يعني جلّ ثناؤه إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء الذين سميتهم لك من بعده والذين لم أسمهم لك(٢). وورد عن الربيع بن خيثم أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ لأن بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي أنزلها على رسوله ﷺ ومن ذلك قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾، فتلا ذلك عليهم رسول الله ﷺ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم وأخبر نبيه والمؤمنين به أنه قد أنزل عليه بعد موسى وعلى من سماهم في هذه الآية وعلى آخرين لم يسمهم(٣).

وجاء في تفسير النيسابوري: أن الله سبحانه خص بعض النبيين بالذكر في هذه الآية لكونهم أفضل من غيرهم، ولم يذكر فيهم موسى لأن المقصود من تعداد هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا رسلاً مع أن واحداً منهم ما أوتي كتابه مثل التوراة دفعة واحدة، ثم ختم الأنبياء بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ يعني أنكم اعترفتم أن الزبور من عند الله، ثم إنه ما نزل على داود جملة واحدة وهذا إلزام حسن قوي(٤).

ويقول تعالى أيضاً في سورة أخرى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾(٥). والزبور هنا هو كتاب داود (عليه السَّلام) وقرأه البعض بضم الزاي جمع زبر كأنهم وجهوا تأويله «وآتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، وقرأه

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٠، دار الفكر، بيروت.
(٣) تفسير الطبري ٦/ ٢٠.
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٢٤ ـ ٢٥، نشر دار الفكر على هامش جامع البيان للطبري.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

الجمهور بفتح الزاي بمعنى وآتينا داود الكتاب المسمى زبوراً[١].

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأوا ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ بفتح الزاي على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمي الكتاب الذي أوتيه موسى: التوراة، والذي أوتيه عيسى: الإنجيل، والذي أوتيه محمد: الفرقان؛ لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب زبور داود وبذلك يعرف كتابه سائر الأمم[٢].

وهكذا ومن خلال تلك الآيات القرآنية الكريمة وآيات غيرها ومعها أحاديث نبوية صحيحة[٣]، يتبين لنا أن نبوة سيِّدنا داود ثابتة لا شك فيها، وقد ثبتت بالقرآن الكريم وبالسُنَّة النبوية الشريفة وبالإجماع، فهناك إجماع على أن المذكورين في القرآن الكريم لا شك في نبوتهم ورسالتهم وإذا كان اليهود ـ غضب الله عليهم، ولعنهم ـ قد أنكروا نبوته ورسالته، وعدُّوه مجرد ملك من ملوكهم فليس هذا بمستغرب منهم، ولا بجديد عليهم فهم ينكرون نبوة سيِّدنا محمداً ﷺ وينكرون نبوة المسيح عيسى ابن مريم (عليهما السَّلام)، وكذبوا كثيراً من أنبيائهم و قتلوا هؤلاء الأنبياء بغير الحق[٤] بل إنهم أيضاً ينظرون إلى سيِّدنا إبراهيم الخليل وسيِّدنا إسحاق وسيِّدنا يعقوب على أنهم الآباء الأوائل لا على أنهم رسل وأنبياء ويبدأون تاريخ النبوة بسيِّدنا موسى (عليهم السَّلام) ولم يكفهم هذا بل بدلوا دينه وغيروا ما جاءهم به.

يذكر الدكتور محمد خليفة أن النبوة تبدأ في التراث اليهودي في مرحلة

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع على سبيل المثال: مجمع الزوائد للهيثمي ج٨، كتاب فيه ذكر الأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) ومنهم داود (عليه السَّلام) جامع الأصول لابن الأثير الجزء الثامن كتاب فضائل الأنبياء.

(٤) يذكر ابن كثير: أن اليهود قتلوا جمًّا غفيراً من الأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام)؛ لكثرة إجرامهم واجترائهم على هؤلاء الأنبياء ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ سورة النساء: الآية ١٥٥، تفسير ابن كثير ٣/ ٨.

متأخرة من الزمان حيث ينظر إلى كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وهارون على أنهم مجموعة من الآباء الإسرائيليين الذين تلقوا نوعاً من الوحي الإلهي ولكنهم يرتبطون ببني إسرائيل بنسبهم، ولهذا أطلق عليهم اسم «الآباء» إشارة إلى هذه الرابطة العرقية، ونادراً ما يستخدم التعبير «أنبياء» للتعريف بهذه المجموعة من الأنبياء حسب الفهم الإسلامي فكل الشخصيات السابقة على موسى (عليه السَّلام) في التراث اليهودي يجمعهم جميعاً لقب «البطاركة» أو «الآباء» بما يعني أنهم كانوا بمثابة رؤساء وشيوخ لقبائلهم، وأن وظيفتهم كانت سياسية اجتماعية أكثر منها دينية، وكثيراً ما يضم التراث اليهودي موسى وهارون إلى مجموعة «البطاركة» رغم وضوح التأكيد التوراتي على أن موسى نبي(١).

ويبين أن اليهود ينزعون صفة النبوة من شخصيات هامة في التاريخ الديني الإسرائيلي مثل داود وسليمان، الذين عدهما الإسلام من الأنبياء الملوك، أي الذين جمعوا بين النبوة والملك، بينما ينظر إليهم التراث الإسرائيلي على أنهم ملوك فقط(٢).

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «إن بعض من يذكر لنا القرآن أنهم رسل وأنبياء تذكرهم أسفارهم اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى كنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان ومع ذلك تجيز اتصال الله بهؤلاء وأولئك بطريق مباشر واتصالهم به(٣).

وإذا كان اليهود ينكرون نبوة سيِّدنا داود هو وابنه سيِّدنا سليمان (عليهما السَّلام) فإنهم أيضاً ينكرون نبوة سيِّدنا إسماعيل (عليه السَّلام) بل لا يعدونه ضمن آبائهم الأوائل ويفرقون بينه وبين سيِّدنا إسحاق، مع أن القرآن الكريم يذكر لنا أن سيِّدنا يعقوب أوصى بنيه قائلاً:

---

(١) ظاهرة النبوة الإسرائيلية المبحث الأول من تاريخ النبوة الإسرائيلية: ص١٦، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة.
(٢) المصدر السابق: ص٥.
(٣) اليهودية واليهود: ص٦٣، مكتبة غريب، ١٩٧٠م.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقد شهد أبناء يعقوب أمامه أن إسماعيل وإسحاق ومعهما إبراهيم آباء يعقوب.

ومن ناحية أخرى فإنهم ينكرون نبوة عدد من الأنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم لكنهم ليسوا من أنبياء بني إسرائيل وهم: هود وصالح وشعيب وهؤلاء الأنبياء نؤمن بنبوتهم ورسالتهم لورود ذلك في القرآن الكريم مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أنبياء بني إسرائيل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وآمن بهم بنوا إسرائيل.

ومن ناحية ثالثة فإن هناك أنبياء يرى بنوا إسرائيل نبوتهم ويؤمنون بهم وقد ورد ذكرهم في أسفارهم لكن القرآن الكريم لم يشر إليهم ولم يتحدث عنهم.

وموقف المسلم منهم موقف واضح هو أنه لا يؤمن بهم كأشخاص ولا يكفر بهم أيضاً فنحن لا نصدقهم ولا نكذبهم(٢)، حيث بين لنا القرآن الكريم أن هناك رسلاً لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم ولم يقصصهم الله سبحانه على رسوله (عليه السّلام): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٣)، ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾(٤).

فمن الممكن أن يكون هؤلاء الأنبياء المذكورون في أسفار اليهود وهم أنبياء حقاً ويدخلون ضمن ﴿مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، والذي يمنع إيماننا بهم على وجه التعيين أننا لا نعرف أسماء هؤلاء الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم هل هم الذين في أسفار اليهود أو غيرهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٣.
(٢) انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: «لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم».
(٣) سورة غافر: الآية ٧٨.
(٤) سورة النساء: الآية ١٦٤.

يبقى الأمر إذن في دائرة الاحتمال، اللّهمّ إلا ما ورد عن بعض أشخاص منهم أنبياء ويأتون أعمالاً منافية للنبوة وبذلك فإننا نقطع أن هذا المذكور والموصوف بكذا وبكذا ليس نبياً ولا يكون نبيًّا بصورته اليهودية اللّهمّ إلا إذا كانوا هم الذين وصفوه بهذه الأوصاف ولفقوا له الاتهامات.

وأخلص من ذلك إلى أننا نؤمن بنبوة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وغيره من الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم على الرغم من إنكار اليهود لنبوتهم فالمعيار عندنا هو الإسلام، والإسلام وحده.

يقول الإمام ابن حزم: «أما نحن المسلمين فإنما قبلنا نبوة موسى وهارون وداود وسليمان والياس واليشع (عليهم السَّلام)، وصدقنا بذلك وآمنا بهم، وإن موسى الذي أنذر بمحمد ﷺ لإخبار رسول الله ﷺ بصحة نبوتهم ومعجزاتهم فقط، ولولا إخباره (عليه السَّلام) بذلك ما كانوا عندنا إلا كشموأل وإيراث وحداث وحقاي وحبقوق... وغيرهم ـ وسائر من تقر اليهود بنبوته كإقرار نبوَّة موسى سواء بسواء.

ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم، ونحن لا نصدق نقل اليهود في شيء من ذلك بل نقول: إنه قد كان لله (تعالى) أنبياء في بني إسرائيل أخبر بذلك الله (تعالى) في كتابه المنزل على نبيه الصادق المرسل، فنحن نقطع بنبوة من سمي لنا منهم ونقول في هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد ﷺ أسماءهم الله عزّ وجلّ.

اعلم إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم وإن لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم، ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾، وهكذا نقر بنبوة صالح وهود وشعيب وإسماعيل وبأنهم رسل الله يقيناً ولا نبالي بإنكار اليهود لنبوتهم ولا بجهلهم بهم لأن الصادق (عليه السَّلام) شهد برسالتهم[1].

وبناءً على ذلك فإن دعوى إنكار نبوة داود (عليه السَّلام) مردوده من وجوه:

منها: أن الاستدلال بالتوراة التي بأيديهم في إثبات أو نفي لا يعول عليه كيف لا؟ وقد أوتينا بيضاء نقية محفوظة من التغيير والتبديل بحمده تعالى.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٠٣.

ومنها: أن نبوة داود (عليه السَّلام) لا خلاف فيها عند المسلمين فلا عبرة بخلاف غيرهم.

ومنها: أنه لا مانع أن يجتمع النبوة والملك لمن أراده الله واصطفاه، وقد فعل ذلك بداود وسليمان (عليهما السَّلام).

ومنها: أنه لا حاجة في كتابنا الكريم أن يتمم بما جاء في غيره، أو يحاول رده إلى سواه من الكتب وذلك لاستغنائه بنفسه، بل وكونه مهيمناً على سائر الكتب، كما أخبر الله (تعالى) عنه[1].

الصورة الوضيئة والمشرقة لسيِّدنا داود في القرآن الكريم:

يصور القرآن الكريم سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بأنه الملك النبي العبد الأواب الذي أتاه الله العلم وأنعم عليه بالفضل ووهبه الحكمة أو فصل الخطاب وفضله على كثير من عباده المؤمنين.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

أمَّا هذا العلم الذي آتاه الله سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، فقد أشار إليه القرآن الكريم حين قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[5].

وإلانة الحديد: قال ابن عباس وقتادة: صار كالشمع، وقال الحسن: كالعجين وكأنه يعمله من غير نار وقال السدي: كالطين المبلول والعجين والشمع

(١) محاسن التأويل ١٤/ ١٦٠.

(٢) سورة النمل: الآية ١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٨٠.

(٥) سورة سبأ: الآية ١٠.

يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة، وقيل: أعطي قوة يلين بها الحديد[١]!!!

وذكر الطبري أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد[٢].

والسابغات: هي الدروع، وكان أوَّل من صنعها داود، وإنما كان قبل ذلك صفائح[٣]. ويبدو من ذلك أن إلانة الحديد كان خارقة ليست من مألوف البشر، فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلاً للطرق، إنما كان ـ والله أعلم ـ معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة[٤].

وأمَّا السابغات: الدروع، فإنها حينما كانت صفيحة واحدة كانت تصلب الجسم وتثقله، فألهم الله داود أن يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم، وأمر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح وهو التقدير في السرد، وكان الأمر كله إلهاماً وتعليماً من الله[٥].

وأما هذا التفضيل الذي فضله الله به على كثير من عباده المؤمنين فقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[٦] وفسره بقوله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٧] وفي آية أخرى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾[٨].

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٦٣؛ تفسير ابن كثير ٧/ ٧ ـ ٨؛ تفسير الطبري ٢٢/ ٤٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص٤٦؛ تفسير ابن كثير ٧/ ٧.

(٤) في ظلال القرآن ٢٢/ ٢٨٩٧.

(٥) المصدر السابق ٢٢/ ٢٨٩٨.

(٦) سورة سبأ: الآية ١٠.

(٧) سورة سبأ: الآية ١٠.

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

وتسبيح الجبال والطير وتأويبهما مع سيِّدنا داود تحدث عنهما القرآن في سورة (صٓ) وهي السورة التي وردت فيها القصة التي قص الله فيها على رسول الله ﷺ نبأ الخصمين إذ تسورا على داود المحراب، وفي هذه السورة تحدث القرآن الكريم عن صفات كثيرة وسجايا حميدة لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) يحسن بنا أن نقف عندها قليلاً لنرى هذه الصورة المشرقة المضيئة لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[١].

يذكر الإمام الرازي أن مجامع ما ذكره الله في قصة داود من سورة (صٓ) ثلاثة أنواع من الكلام:

فالأول: تفصيل ما آتى الله داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا.

والثاني: شرح تلك الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين.

والثالث: استخلاف الله (تعالى) إياه بعد وقوع تلك الخطيئة[٢].

ويهمنا هنا أن نتحدث عن النوع الأول[٣]. وهو شرح الصفات التي آتاها الله داود من الصفات الموجبة لكمال السعادة وهي:

---

(١) سورة صٓ: الآيات ١٧ ـ ٢٠.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) سنتحدث عن النوعين الثاني والثالث عند الحديث عن أقوال العلماء واتجاهاتهم في فتنة سيدنا داود (عليه السَّلام) التي وردت في قصة الخصمين والتي بدأت بقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾.

الصفة الأولى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾:

فأمر محمداً ﷺ على جلالة قدره بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود، وذلك تشريف عظيم وإكرام لداود، حيث أمر الله أفضل الخلق محمداً ﷺ بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق(١).

يقول الطبري في ذلك: «يقول الله (تعالى) ذكره لنبيه محمد ﷺ اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإننا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك ثم جاعلوا العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك، سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا داود فاذكره ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾»(٢).

ويذكر أبو حيان: أنه لما كانت مقالة الكفار(٣) تقتضي الاستخفاف أمر (تعالى) نبيه بالصبر على أذاهم، وذكر قصصاً للأنبياء داود وسليمان وأيوب وغيرهم وما عرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة، فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك إلى أحسن مآل وتبلغ ما تريد من إقامة دينك وإماتة الضلال(٤).

وقد بين سبحانه أن الابتلاء للصالحين رفعة لدرجاتهم فقال تعالى مسلياً ومعزِّياً ومواسياً لهذا النبي الكريم ﷺ بمن تقدمه من إخوانه الأنبياء والمرسلين مذكراً له بما قاسوه من الشدائد وما لاقوا من المحن، وحاثًّا على العمل بأعمالهم، آمراً بالتأني والحلم ومحذراً من العجلة والتبرم والضجر(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٤.
(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ١٨٤.
(٣) وهي قولهم: «عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب».
(٤) البحري المحيط ٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين البقاعي ١٦/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الصفة الثانية: أنه قال في حق داود ﴿عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾:

فوصفه بكونه عبداً له، وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم، وذلك غاية التشريف، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمداً (عليه السَّلام) ليلة المعراج قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فهذا يدل على ذلك التشريف لداود فكان ذلك دليلاً على درجته، فإن وصف الله (تعالى) الأنبياء بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة[١].

الصفة الثالثة: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾:

يقول الطبري: ذا الأيد: ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته[٢].

ويذكر ابن كثير أنه تعالى أخبر عن عبده ورسوله أنه كان ذا أيد: والأيدي: القوة في العلم والعمل[٣].

وقال قتادة: أعطي داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام وقد ذكر لنا أنه (عليه الصَّلاة والسلام) كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر[٤].

وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الصَّلاة إلى الله (تعالى) صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله عزّ وجلّ صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى، وكان أواباً»[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥.
(٢) تفسير الطبري ٢٣، ٨٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٨٥؛ قصص الأنبياء ٢/ ٤١٧.
(٤) المصدر السابق ٧/ ١٨٦.
(٥) المصدر السابق، وقد ورد الحديث في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وغيرهم.

فالقوة المذكورة هنا تكون على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي، وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه[١].

الصفة الرابعة: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾:

والأوّاب: هو الرجَّاع من آب إذا رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ فسيِّدنا داود (عليه السَّلام) كان رجاعاً في أموره كلها إلى طاعة الله[٢] وكما قال ابن كثير: هو الرجاع إلى الله عزّ وجلّ في جميع أموره وشؤونه[٣].

وإذا كان سيِّدنا داود يذكر هنا بأنه ذو القوة، وبأنه أواب، فإنه قد جاء من قبل ذكر قوم نوح وعاد وفرعون ذي الأوتاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وهم طغاة بغاة، كان مظهر قوتهم هو الطغيان والبغي والتكذيب.

فأما داود (عليه السَّلام) فقد كان ذا قوة، ولكنه كان أواباً، يرجع إلى ربه طائعاً تائباً عابداً ذاكراً وهو القوي ذو الأيد والسلطان[٤].

الصفة الخامسة: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٥]:

في هذه الآية الكريمة بين الله تبارك وتعالى أنه سخر الجبال يسبحن مع داود (عليه السَّلام) وحشر الطير ومع هذه الآية تأتي آيتان سبق أن أشرنا إليهما

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٥، ويذكر الرازي أن الأيد المذكور هنا كالقوة المذكورة في قوله: ﴿يا يحيى خذا الكتاب بقوة﴾، وقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، والأيد والقوة سواء منه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾: ص١٨٥.

(٢) راجع: تفسير الطبري ٢٣/ ٨٦ ـ ٨٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٦.

(٤) في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٧.

(٥) سورة صٓ، الآيتان ١٨، ١٩.

وهما قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[2].

يقول ابن كثير في تفسير الآية الأخيرة: «يخبر (تعالى) عما أنعم به على عبده ورسوله داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، والصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات»[3].

وقد جعل سبحانه الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته، ودلالة على عزة الربوبية وكبرياء الألوهية حيث نادى الجبال وأمرها[4].

ومعنى قوله تعالى ﴿أَوِّبِى﴾، أي سبحي، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: والتأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال أن ترجع معه بأصواتها[5].

والآية تصور من فضل الله على داود (عليه السَّلام) أنه بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات، فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها وبارئه ورجعت معه الجبال والطير، إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز، حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة، تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع، وبين كائن من خلق الله وكائن،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.
(٢) سورة سبأ: الآية ١٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/١٨٦، راجع قصص الأنبياء ٢/٤١٧.
(٤) البحر المحيط ٧/٢٦٢.
(٥) تفسير ابن كثير ٧/٦.

وترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة التي كانت تغشى عليها الفواصل والفوارق، فإذا هي تتجاوب في تسبيحها للخالق، وتتلاقى في نغمة واحدة، وهي درجة من الإشراق والصفاء والتجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله، يزيح عنه حجاب كيانه المادي، ويرده إلى كينونته اللدنية التي يلتقي فيها بهذا الوجود، وكل ما فيه وكل من فيه بلا حواجز ولا سدود.

وحين انطلق صوت داود (عليه السَّلام) يرتل مزاميره ويمجد خالقه، رجعت معه الجبال والطير، وتجاوب الكون بتلك الترانيم السارية في كيانه الواحد، المتجهة إلى بارئه الواحد، وإنها ـ كما يقول الأستاذ/ سيد قطب ـ للحظات عجيبة لا يتذوقها إلا من عنده بها خبر، ومن جرب نوعها ولو في لحظة من حياته[(١)]!

وأما قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ والآية التي معنا فإنها تبين كما قال الطبري: أن الله سخر الجبال تسبح مع داود بالعشي وذلك من وقت العصر إلى الليل والإشراق وذلك بالغداة وقت الضحى[(٢)].

ويذكر الرازي أن الله سبحانه سخر الجبال حتى إنها كانت تسير إلى حيث يريده داود وجعل ذلك السير تسبيحاً لأنه كان يدل على كمال قدرة الله (تعالى) وحكمته[(٣)].

فالله (تعالى) سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحة وترجع بترجيعة إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له[(٤)].

فقد آتاه الله من فضله ـ مع النبوة والملك قلباً ذاكراً وصوتاً رخيماً، يرجع

---

(١) في ظلال القرآن ٢٢/ ٢٨٩٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٧.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٦، قصص الأنبياء: ص٤١٧.

به تراتيله التي يمجد بها ربه، وبلغ من قوة استغراقه في الذكر، ومن حسن حظه في الترتيل، أن تزول الحواجز بين كيانه وكيان هذا الكون، وتتصل حقيقته بحقيقة الجبال والطير في صلتها ببارئها، وتمجيدها له وعبادتها فإذا الجبال تسبح معه، وإذا الطير مجموعة عليه تسبح لمولاها ومولاه[١].

وذكر محمد بن إسحاق أن الله (تعالى) لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى أنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها[٢].

وجاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»[٣].

ويقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى مجموعة له، حيث ذكر أنه ﷺ كان إذا سبح أجابته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه، واجتماعها إليه كان حشرها كما قال ابن عباس[٤] وقال قتادة: والطير محشورة: مسخرة كل له أواب: كل ذلك له مطيع رجاع إلى طاعته وأمره، ويعني بالكل كل الطير[٥].

ويذكر الرازي في معنى ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾، أن كل واحد من الجبال والطير أواب أي رجاع، أي كلما رجع داود إلى التسبيح جاوبته، والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها أن فيما سبق علمنا أن الجبال والطير سبحت مع تسبيح داود (عليه السَّلام) وبهذا اللفظ فهمنا دوام تلك الموافقة[٦].

---

(١) في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٦.

(٣) المصدر السابق وقصص الأنبياء ٢/ ٤١٨، والحديث رواه أحمد وهو على شرط الشيخين.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٧؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٦.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٦.

(٦) المصدر السابق.

فنحن ـ كما يقول الأستاذ/ أحمد بهجت ـ أمام معدن بشري من لون خاص، إنسان بلغ من شفافية النفس والتجود أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات، فاستجابت عصارة النباتات وهي تصعد في سيقان الشجر لصوت ترنيمه، واتصلت ذرات الجبال بذبذبات صوته وهو يسبح، وذابت الحدود بين ضمير المخلوق والطير والوحش وصخور الجبال، فاتسقت كلها في نغم واحد يتجه إلى الله بالتسبيح والتمجيد والذكر، كان داود إذا جلس يسبح الله ويمجده، تعرت الكائنات من إطار الوجوه الجامد، وانكشف باطنها المترنم يمجد الله، واستجاب هذا الباطن للنغم الصادر من داود[١].

الصفة السادسة: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾:

وشددنا ملكه: أي قوّيناه؛ كقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٢].

وأمَّا الأسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة، وهي إما الأسباب الدنيوية أو الدينية.

أمَّا الدنيوية فذكروا فيها وجهين:

الأول: ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله، وزاد آخرون فذكروا أربعين ألفاً، قالوا: وكان أشد ملوك الأرض سلطانا[٣].

الثاني: ما رواه عكرمة عن ابن عباس أيضاً أن نفراً من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) أنه اغتصبه بقراً فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فأرجأ أمرهما، فلما كان الليل أُمِرَ داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) بقتل المدعي، فلما كان النهار طالبهما وأمر بقتل المدعي

(١) أنبياء الله: ص٢٦٥، دار الشروق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، الطبعة السادسة عشرة.
(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٠؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٦.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٧؛ تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٧.

فقال: يا نبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري؟ فقال له إن الله (تعالى) أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة. فقال والله يا نبي الله إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادَّعيتُ عليه، وإني لصادق فيما ادَّعيتُ، ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد، فأمر به داود (عليه السَّلام) فقتل، قال ابن عباس: فاشتدت هيبته في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾[1].

ويرى أبو حيان أن قوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ عبارة شاملة لما وهبه الله (تعالى) من قوة وجند ونعمة، فالتخصيص ببعض الأشياء لا يظهر[2].

ويذهب الطبري إلى أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها. ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله (تعالى)؛ إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له[3].

ولذلك فإن ابن كثير يفسر ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بقوله: جعلنا له ملكاً كاملاً مع جميع ما يحتاج إليه الملوك[4].

الصفة السابعة: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾:

يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الوضع فقال بعضهم عني بها النبوة وقال آخرون: عني بها علم السنن[5].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٨؛ تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٧؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٨٧؛ تفسير البغوي ٧/ ١٩٨٧، ١٩٨٨، هامش ابن كثير.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٧.

(٥) تفسير الطبري ٣/ ٨٨.

وقيل: هي الفهم في الدين، أو الزبور[1] وكان زبور داود (عليه السَّلام) كله حِكماً غُرراً، من ثم يرى البعض أن الحكمة هي الكلام المتضمن للمواعظ والأمثال والحض على الآداب ومكارم الأخلاق[2].

وقد سبق أن ذكر الله سبحانه وتعالى أنه بعد قتل داود جالوت ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾. وقد جمع داود بين الملك والنبوة فتكون الحكمة التي أوتيها داود (عليه السَّلام) من الله رب العالمين هي النبوة وما يشملها في سياسة الملك.

الصفة الثامنة: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾:

ذكر المفسرون هنا عدة أقوال في معنى هذا القول الكريم[3] وذكر الطبري أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود (صلوات الله عليه) فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب: هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه: قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضاً صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعياً فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه[4] ثم قال الطبري وإذا كان كل ذلك محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله فيقال أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب[5].

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

(٢) محاسن التأويل ١٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤، وراجع في ذلك أيضاً تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٨.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٨؛ تفسير الطبري ٢٣/ ٨٨؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٧، ١٨٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٨، ٨٩.

(٥) المصدر السابق: ص٨٩، راجع تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٨، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٠، وغيرها من التفاسير في هذه الآية.

ويذكر الرازي أنه لما بين الله (تعالى) كمال حال جوهر النفس النطقية التي لداود بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾[١] أردفه بيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾، وهذا الترتيب في غاية الجلالة[٢].

❑❑❑

(١) سورة ص: الآية ٢٠.
(٢) راجع تفصيل قول الرازي في مفاتيح الغيب ٢٦/١٨٧، ١٨٨.

المبحث الثاني

الاتجاه الأول في تفسير فتنة داود

(القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) الكبيرة من خلال الروايات الموقوفة والمرفوعة)

يتضمن هذا الاتجاه الأول عدة روايات موقوفة على الصحابة والتابعين ورواية مرفوعة إلى النبي ﷺ.

أولاً: الروايات الموقوفة:

يقول الإمام الطبري «واختلف في سبب البلاء الذي ابتُلِيَ به نبي الله داود ﷺ: فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس فتمنى مثله فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا. فسأل الله أن يبتلى كالذي ابتلوا ويعطى كالذي أعطو»(١).

ثم أورد رواية عن محمد بن سعد عن أبيه عن عمه قال: «حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس: في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾، قال: إن داود قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم. قال: نعم. قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك. فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الجزء الثالث والعشرين، المجلد العاشر: ص٩٢، نشر دار المعارف، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب، فذهب ليأخذها فطارت، فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله ﷺ من المحراب، فأرسل إليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ـ ليهلك زوجها ـ ففعل، فكان يصاب أصحابه وينجو، وربما نصروا، وإن الله عزَّ وجلَّ لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه.

فبينما داود ذات يوم في محرابه إذ تسور عليه الخصمان من قِبل وجهه، فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال: لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون عليَّ محرابي! قالا له: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا، قال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أنثى ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، فقال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شيء ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه، ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، إلى قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، ونسي نفسه ﷺ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك فتبسم أحدهما إلى الآخر فرآه داود ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله ملكه»[1].

ثم أورد الطبري رواية أخرى للسدي من طريق محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدي ـ وأوردها السيوطي أيضاً في الدر المنثور ـ؛ يقول السدي: قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ تفسيره: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتاب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب

(١) المصدر السابق: ص٩٣، راجع أيضاً الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ٥/ ٣٠١، دار المعرفة، بيروت.

قال: يا رب: إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأعطني مثل ما أعطيتهم وافعل بي مثل ما فعلت بهم قال فأوحى الله إليه أن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها، ابتلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتلي إسحاق بذهاب بصره، وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف وإنك لم تبتل من ذلك بشيء قال: يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم، قال: فأوحى إليه أنك مبتلًى فاحترس.

قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي، فمد يده ليأخذها، فتنحى، فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذها فطار من الكوة، فنظر أين يقع فيبعث في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل الناس خلقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا، قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، قال: فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منهم بأساً، قال: فبعثه ففتح له أيضاً، قال: فكتب إلى داود بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، فبعثه فقتل المرة الثالثة، قال: وتزوج امرأته، قال: فلما دخلت عليه قال: لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه، فتسوَّرا عليه المحراب، قال: فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ ـ يقول: لا تخف ـ ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ إلى عدل القضاء.

قال: فقال: قُصَّا عليَّ قصتكما. قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾، فهو يريد أن يأخذ نعجتي فيكمل بها نعاجه مائة! قال: فقال للآخر ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي هذا نعجة واحدة فأنا أريد أن آخذها منه فأكمل بها نعاجي مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره! قال: إذاً لا ندعك وذاك. قال: ما أنت على ذلك

بقادر. قال: فإن ذهبت تروم ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا. وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة. قال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا؛ حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، ولم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته وتزوجت امرأته!! قال: فنظر فلم يرَ شيئاً؛ فعرف ما وقع فيه وما قد ابتلي به.

قال: فخر ساجدًا قال: فبكى قال: فمكث يبكي ساجدًا أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجدًا يبكي، ثم يدعو؛ حتى نبت العشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك. فقال: يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء إذا جاء أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دماً في قِبَلِ عرشك يقول: يا رب سل هذا فيما قتلني؟؟! قال: فأوحى إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريا، فأستوهبك منه، فيهبك لي، فأثيبه بذلك الجنة. قال: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض ﷺ(١).

وذكر البغوي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ـ أن هذه الآية في امتحان داود (عليه السَّلام)، واختلف العلماء بأخبار الأنبياء (عليهم السَّلام) في سببه، فقال قوم: كان سبب ذلك أنه (عليه السَّلام) تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم، فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ، قالوا: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قال: يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه أنهم

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٩٣ ـ ٩٤؛ تاريخ الطبري ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨١ دار المعارف بمصر؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ١٢٥، دار الكتاب العربي بيروت؛ الدر المنثور: ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

ابتلوا ببلايا لم تبتلَ بها فصبروا عليها، ابتلي إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق[1] بالذبح وبذهاب بصره، وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف. فقال: رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً، فأوحى الله إليه: إنك مبتلًى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس، فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان تمثل في صورة حمامة. . . ـ إلى آخر ما ورد في الرواية السابقة ـ فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل. . . ـ هذا قول الكلبي، وقال السدي: رآها تغتسل على سطح لها ـ فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً، فعجب داود من حسنها، وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطت بدنها، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها، فقيل: هي بتشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجُها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوربا ابن أخت داود[2].

وقال آخرون في سبب البلاء الذي ابتلي به سيِّدنا داود (عليه السَّلام): بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوماً لا يصيب فيه حوبة؛ فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب[3].

وفي إطار هذا القول روايات عن الحسن وعن قتادة وعن وهب بن منبه أوردها الطبري في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما.

---

(١) هذا على رأي من قال من المفسرين بأن الذبيح هو إسحاق، وهم في ذلك يقولون بقول اليهود والنصارى ويخالفون جمهور المسلمين وظاهر التنزيل بأن الذبيح إسماعيل (عليه السَّلام) وعلى إسحاق وعلى أبيهما أفضل الصلوات وأزكى التسليمات. وقمت ـ بحمد الله ـ بكتابة بحث خاص حول هذا الموضوع بعنوان «قصة الذبيح بين أهل الكتاب والمسلمين»، وقد تمَّ نشره في كتاب بعنوان: قصة الذبيح عند أهل الكتاب والمسلمين (عرض ونقد)، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م، دار البشير بمصر، والطبعة الثانية: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٥٢ ـ ٥٣، راجع: قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعلبي: ص١٥٧ ـ ١٥٨، مكتب حضرة الشيخ أحمد علي المليجي الأزهر بمصر.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤.

رواية الحسن وقتادة:

جاء في الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن وأوردها الطبري عن بشر عن سعيد عن مطر عن الحسن: أن داود جزَّأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه ويوماً لعبادته ويوماً لقضاء بني إسرائيل ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك[1].

وجاء في تفسير البغوي عن الحسن أيضاً: أنه قيل: إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إن ابتلي اعتصم[2]؛ فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة، فبينما هو يقرؤها فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقد وقعت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها قال: فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها قال: فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا ـ مكان إذا سار إليه لم يرجع ـ، قال: ففعل فأصيب؛ فخطبها فتزوجها.

قال: وقال قتادة: بلغنا أنها أم سليمان، قال: فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه، ـ وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ـ؛ ففزع منهم حين تسوَّروا المحراب، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾، أي: لا تمل ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾، أي: أعدله وخيره، ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ﴾، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة، ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، أي ظلمني وقهرني، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤؛ الدر المنثور ٥/ ٣٠١.

(٢) معالم التنزيل ٤/ ٥٣.

إلى قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ فعلم أنما عُني به ذلك ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾، قال وكان في حديث مطر أنه سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله إليه أني غفرت لك قال: رب كيف تغفر لي وأنت حكم عدل لا تظلم أحداً! قال: فإني أقضيك له ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ثم أثيبه حتى يرضى قال: الآن طابت نفسي وعلمت أنك قد غفرت لي[1].

وزاد السيوطي: قال الله (تعالى): ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾[2].

أما الرواية الأخرى فقد ذكرها الطبري: عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال: لا يدخلن عليَّ محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي. ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة، فبينما هو جالس يقرأ زبوره إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته، ثم ذكر ما كان قال ـ لا يشغله شيء عما دخل له ـ فنكس رأسه وأقبل على زبوره، فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه فتناولها بيده؛ فاستأخرت غير بعيد فاتبعها، فنهضت إلى الكوة فتناولها في الكوة فتصوبت إلى الجنينة فأتبعها بصره أين تقع، فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئةٍ الله أعلم في الجمال والحسن والخلق، **فيزعمون**[3] أنها لما رأته نقضت رأسها، فوارت بها جسدها منه؛ واختطفت قلبه ورجع إلى زبوره ومجلسه، وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها، وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها، ثم أمر صاحب جيشه **فيما يزعم**

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤ ـ ٩٥؛ تاريخ الطبري ١/ ٤٨٢. راجع: الكامل في التاريخ ١/ ١٢٦؛ الدر المنثور: ص٣٠١ ـ ٣٠٢؛ معالم التنزيل ٤/ ٥٣.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٣٠٢.

(٣) نلاحظ أن الراوي هنا يرويها بهذه الصيغة «فيزعمون» ويشير إلى مصدر هذه الرواية فيما يزعم أهل الكتاب، وينبغي أن تكون هذه الملاحظة في الحسبان عندما ننقد الروايات.

أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ـ ولداود تسع وتسعون امرأة ـ، فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه ـ مثلاً يضربه له ولصاحبه ـ، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما عليَّ قال: لا تخف، لم ندخل لبأس ولا لريبة، ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ فجئناك لتقضي بيننا، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾؛ أي: احملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره. قال الملك الذي يتكلم عن أوريا حنانيا زوج المرأة: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾، أي: على ديني ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، فقال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾، أي: احملني عليها ـ ثم عزني في الخطاب، ـ أي: قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعز ـ، فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي! فغضب داود فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم فقال: لئن كان صدقني ما يقول لأضربن بين عينيك بالفأس، ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا، فوقع ساجدًا تائباً منيباً باكياً، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه وحتى أندب السجود في لحم وجهه؛ فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنه قال: أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة فكيف بدم القتيل المظلوم قيل له يا داود **فيما زعم أهل الكتاب**[1] أما إن ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله إياك فيعطيه فيضعه عنك، فلما فرج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شراباً قط إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس قط إلا نشر راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده[2].

---

(١) نلاحظ تكرار قول الراوي «يزعمون» و «فيما زعم أهل الكتاب» مما يومىء إلى أنه هو نفسه متشكك فيما يروي وغير مؤمن بما ورد عن أهل الكتاب، وإنما يحسبه زعماً من زعمهم.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٥ ـ ٩٦.

ثانياً: الرواية المرفوعة:

أورد الطبري في تفسيره رواية مرفوعة إلى النبي ﷺ قال فيها: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرقاشي[1]، عن أنس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود النبي ﷺ حين نظر إلى المرأة فأهمَّ بها، قطع على بني إسرائيل بعثاً، فأوصى صاحب البعث فقال: إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت ـ وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش ـ، فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده ـ فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات ـ: «رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب، إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعده»، فجاءه جبرائيل ﷺ من بعد الأربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به. فقال داود: علمت أن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمي الذي عند داود!! فقال جبرائيل ﷺ: ما سألت ربك عن ذلك، ولئن شئت لأفعلن. فقال: نعم. فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله ربك عزَّ وجلَّ يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لي دمك الذي عند داود فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً»[2].

---

(١) سوف نجد العجائب فيما ذكره أهل الجرح والتعديل عن هذا الرجل بطل تلك الرواية المرفوعة.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٦ ـ ٩٧. وقد ذكرها القرطبي بقوله: ورواه مرفوعاً بمعناه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» عن يزيد الرقاشي أنه سمع أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ... إلخ ما ورد في الطبري: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٦٧. وذكر هذه الرواية أيضاً البغوي في تفسيره نقلاً عن الثعلبي عن الطبري معالم التنزيل ٤/ ٥٥ وذكرها أيضاً السيوطي في «الدر المنثور» بقوله: «وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس بن مالك...». الدر المنثور ٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

المبحث الثالث

بطلان هذه الروايات من ناحية السند
وبيان أنها من أكاذيب الإسرائيليات

وبعد أن تبيَّن لنا في المبحث السابق ما تضمنه الاتجاه الأول في تفسير فتنة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من خلال ذكر أصحاب هذا الاتجاه لتلك الروايات التي رفعوا بعضها عن سيِّدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه) إلى النبي ﷺ وأوقفوا البعض الآخر على ابن عباس (رضي الله عنهما) وأسندوا البعض الثالث إلى التابعين وعدد من أوائل المفسرين.

بعد أن تبين لنا ذلك نود في هذا المبحث أن نبين قيمة هذه الروايات من ناحية السند ونعرض رواتها على علماء الجرح والتعديل حتى يروا فيهم رأيهم ويقولوا عنهم كلمتهم وليستبين لنا هل هم أهل للرواية، وهل يؤخذ بأقوالهم، وهل يوثق بآرائهم؟ أو أنهم ضعفاء مجروحون ووضاعون وكذّابون؟

وإذا كنا في عرضنا للروايات السابقة قد قدمنا الروايات الموقوفة على الرواية المرفوعة فقد كان ذلك حرصاً على مشاعر القارىء حتى لا نفجعه ولا نصدمه منذ الوهلة الأولى برواية مرفوعة إلى النبي ﷺ وتحتوي على هذه الاتهامات الشنيعة لسيِّدنا داود (عليه السَّلام).

أما في بيان بطلان تلك الروايات فلا بد من نقد الرواية المرفوعة أولاً فهي أخطر من الموقوفة وأشد أثراً، ولو أتينا عليها من القواعد لخر السقف على بقية الروايات وأصبحت هشيماً تذروه الرياح.

وبعد أن نبين بطلان تلك الروايات نبين قيمة الكتب والتفاسير التي وردت فيها تلك الروايات، ثم نبين أن هذه الروايات من مناكير الإسرائيليات وأكاذيبها

ويستلزم ذلك أن نتحدث عن الإسرائيليات وأن نشير إلى خطرها.

بطلان الرواية المرفوعة:

لقد وجدنا أن هذه الرواية المرفوعة جاءت عن طريق يزيد الرقاشي أنه سمع من أنس بن مالك يقول عن النبي ﷺ. . . .

فما هو حال يزيد بن أبان الرقاشي هذا عند علماء الجرح والتعديل؟ وهل يصلح لأن ينقل رواية بهذه الخطورة؟

هو يزيد بن أبان[١] من أهل البصرة، كنيته أبو عمرو، ويعرف بأبي عمرو القاضي الزاهد[٢].

يقول عنه ابن حبان: «كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل في الخلوات، ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظها، واشتغل بالعبادة وأسبابها حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي (عليه الصَّلاة والسَّلام) وهو لا يعلم، فلما كثر في روايته ما ليس من حديث أنس وغيره من الثقات بطل الاحتجاج به، فلا تحل الرواية عنه إلا على سبيل التعجب، وكان قاصاً يقص بالبصرة ويُبكي الناس، وكان شعبة يتكلم فيه بالعظائم[٣].

وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر عن يزيد الرقاشي ما يلي:

---

(١) جاء في كتاب المجروحين لابن حبان: أن أبان والد يزيد ضعيف، وهذا شيء لا يتهيأ لي الحكم به لأنه لا راوي عنه إلا ابنه يزيد، ويزيد ليس بشيء في الحديث، فلا أدري التخليط في خبره منه أو من أبيه، على أنه لا يجوز الاحتجاج بخبره في الأصول كلها لأنه لا راوي له غير ابنه (المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للإمام الحافظ محمد بن حبان البستي، ٨/ ٩٨، تحقيق محمود إبراهيم زيد، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

(٢) راجع: المصدر السابق: ٣/ ٩٨؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر، المجلد الحادي عشر: ص٣٠٩، نشر دار صادر ـ بيروت، مصوَّرة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيدرآباد الدكن، ١٣٢٧هـ.

(٣) المجروحين ٣/ ٩٨. راجع أيضاً: تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٠.

قال البخاري: تكلم فيه شعبة. وقال إسحاق ابن راهويه عن النضر بن شميل: قال شعبة: لَأَن أقطع الطريق أحب إليّ من أن أروي عن يزيد. وقال زكريا بن يحيى الحلواني: سمعت سلمة بن شبيب يقول: سمعته، وقال يزيد بن هارون سمعت شعبة يقول: لَأَن أزني أحب إليّ من أن أحدث عن يزيد الرقاشي. قال يزيد: ما كان أمون عليه الزنا. قال سلمة بن شبيب: فذكرت ذلك لأحمد بن حنبل فقال: كان بلغنا أنه قال ذلك في أبان، فقال أبو داود السجستاني ـ وكان في مجلس سلمة ـ: قاله فيهما جميعاً. وقال عبد الله ابن إدريس سمعت شعبة يقول: لأن أزني أحب إليّ من أروي عن يزيد وأبان. وقال أبو داود عن أحمد: لا يكتب حديث يزيد. قلت: فلم يترك حديثه لهوى كان فيه؟ قال: لا ولكن منكر الحديث. وكان شعبة يحمل عليه وكان قاصاً.

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: يزيد رجل صالح، وليس حديثه بشيء. وقال معاوية بن صالح والدوري عن ابن معين: ضعيف. وكذا قال الدارقطني والبرقاني. وقال يعقوب بن سفيان: فيه ضعف. وقال أبو هاشم: كان واعظاً بكاءً كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر، وفي حديثه ضعف[١].

وعدَّه أبو حاتم ممن كبر، وغلب عليه الصلاح والعبادة وغفل عن الحفظ والتمييز، فإذا حدث: رفع المرسل، وأسند الموقوف، وقلب الأسانيد، وجعل كلام الحسن عن أنس عن النبي ﷺ، وما شبه هذا، حتى خرج عن حد الاحتجاج به[٢].

وقال عنه ابن سعد: كان ضعيفاً قدريًّا. وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن يحدث عنه وقال: كان رجلاً صالحاً، وقد روى عنه الناس، وليس بالقوي في الحديث[٣].

وقال النسائي والحاكم أبو أحمد: متروك الحديث.

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٠.

(٢) ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١/ ٦٧.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.

وقال النسائي أيضاً: ليس بثقة[١].

وجاء في كتاب المغني ـ «المغني في الضعفاء» ـ للحافظ الذهبي: يزيد بن أبان الرقاشي، قال النسائي وغيره: متروك. وقال الساجي: كان يهم ولا يحفظ، ويحمل حديثه لصدقه وصلاحه[٢].

وجاء في خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام الحافظ الخزرجي عن يزيد بن أبان الرقاشي: تكلم فيه شعبة، وقال الفلاس: ليس بالقويّ، وضعفه ابن معين، وله أخبار في المواعظ والخوف والبكاء[٣].

وقال ابن حبان: سمعت من ابن إسحاق الثقفي قال: أخبرنا الفضل بن موسى عن الأعمش قال: أتيت يزيد الرقاشي وهو يقضي، فجلست في ناحية أستاك، فقال لي: أنت ههنا؟! قلت: أنا ههنا في سُنَّة، وأنت في بدعة. وأخبرنا الحمداني قال: حدثنا عمرو بن علي قال: كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عن يزيد الرقاشي. وأخبرنا الحنبلي قال: سمعت أحمد بن زهير قال: سألت يحيى بن معين عن يزيد الرقاشي قال: رجل صالح لكن حديثه ليس بشيء[٤].

يذكر الحافظ ابن كثير أن قصة سيِّدنا داود لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن حديث ابن أبي حاتم الذي رواه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه حديث لا يصح سنده لأن يزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة[٥].

وقال السيوطي في كتابه «الإكليل» «والقصة التي يحكونها في شأن المرأة وأنها أعجبته وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل أخرجها ابن أبي حاتم من

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٠.

(٢) الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المغني في الضعفاء ٢/ ٧٤٧، حققه وعلق عليه نور الدين عتر دار المعارف سورية الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(٣) خلاصة تهذيب الكمال: ص٣٦٩، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية (عمر حسين الخشاب)، ١٣٢٢هـ.

(٤) المجروحين ٣/ ٩٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٨٩.

حديث أنس مرفوعاً، وفي إسناده ابن لهيعة ـ وحاله معروف ـ عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي ـ وهو ضعيف جدًّا ـ[(١)].

ويذكر القاسمي أن الرواية المرفوعة إلى النبي ﷺ لم تأت من طريق صحيح[(٢)].

وهكذا يتضح لنا مدى بطلان هذه الرواية المرفوعة وكونها غير صالحة للاستدلال من ناحية السند؛ حيث إن يزيد الرقاشي هذا لا يحتج بحديثه بل ولا تصح عنه الرواية أصلاً، وذلك من خلال ما قاله فيه علماء الجرح والتعديل والمحققون من المفسرين، وهم حجّة في علم الحديث كابن كثير من القدماء، والقاسمي من المحدثين.

ومن ثم يتبين لنا كذب هذه الرواية المسندة إلى رسول الله ﷺ ـ كما يقول الشيخ الدكتور أبو شهبة ـ، ولا نكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، وإنما هي اختلاقات وأكاذيب من إسرائيليات أهل الكتاب، وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود (عليه السَّلام)، ثم يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعظمتهم، وهو نبينا محمد ﷺ؟![(٣)].

نقد الروايات الموقوفة:

* **فيما يتعلق بالرواية الأولى**، التي رواها الطبري عن محمد بن سعد عن أبيه عن عمه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فقد ورد في لسان الميزان للحافظ ابن حجر **عن محمد بن سعد** بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي ما يلي: قال الخطيب: كان ليناً في الحديث[(٤)].

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل: ص١٨٥، مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة.
(٢) محاسن التأويل ١٤/ ١٥٧.
(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص١٣٣.
(٤) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٥/ ١٧٤، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

وجاء في لسان الميزان أيضاً **عن أبيه** سعد بن محمد بن الحسن أن أحمد قال فيه: جهمي. وقال: ولم يكن هذا أيضاً ممن يتأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك. حكاه الخطيب[١].

وجاء أيضاً **عن عمه** الحسن بن الحسن بن حسن بن عطية أن يحيى بن معين ضعفه هو وغيره. وقال ابن حبان: روى أشياء لا يتابع عليها ولا يجوز الاحتجاج بخبره وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال الجوزجاني: واهي الحديث. وقال ابن سعد: سمع سماعاً كثيراً وكان ضعيفاً في الحديث، وذكره العقيلي في الضعفاء[٢].

وجاء عن الحسن هذا في تهذيب التهذيب ما يلي: قال أبو حاتم: ضعيف الحديث. قال ابن حبان في الثقات: أحاديثه ليست بنقية. وقال البخاري: ليس بذاك. وأرخه ابن حبان في الضعفاء وزاد: منكر الحديث. فلا أدري البلية منه أو من ابنه أو منهما معاً[٣].

وهكذا، وجدنا الرواية الأولى التي ذكرها الطبري ونقلها عن محمد بن سعد عن أبيه عن عمه يعتريها الضعف والوهن حيث كان ابن سعد ليناً في الحديث، وكان أبوه ممن لا يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعاً لذلك. وكان عمه من الضعفاء الذي ذكرهم العقيلي، وقال عنه البعض: ضعيف في الحديث. وقال البعض الآخر: واهي الحديث. ومن ثم فالرواية انتقلت عن مسلسل الضعفاء إلى الإمام ابن عباس (رضي الله عنهما)، فهي من الروايات التي لا يثبت سندها ولا يتصل بابن عباس (رضي الله عنهما).

* **وأما الرواية الثانية،** التي رواها الطبري وغيره عن السدي من طريق أحمد بن المفضل وأسباط، فحالها كما يلي:

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٨ ـ ١٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٧٨، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند حيدرآباد الدكن، ١٣٣٠هـ.

(٣) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٩٤.

ـ جاء في أحمد بن المفضل القرشي الأموي (أبو علي الكوفي الحضري) أنه كان يروي عن الثوري وأسباط بن نصر وإسرائيل وغيرهم، وروى عنه ابنا أبي شيبة وأبو زرعة وأبو حاتم وقال: كان صدوقاً من رؤساء الشيعة. وقال الأزدي: منكر الحديث[1].

ـ وأما أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف؛ فقد جاء في تهذيب التهذيب عنه ما يلي: قال حرب: قلت لأحمد كيف حديثه؟ قال: وما أدري ـ وكأنه ضعفه ـ. وقال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعفه. وقال: أحاديثه عامية، سقط، مقلوب الأسانيد. وقال النسائي: ليس بالقوي. قلت: علق له البخاري حديثاً في الاستسقاء وقد وصله الإمام أحمد والبيهقي في السنن الكبرى وهو حديث منكر. وقال الساجي في الضعفاء: روى أحاديث لا يتابع عليها عن سماك بن حرب. وقال ابن معين: ليس بشيء[2].

ـ وأما فيما يتعلق بالسدي الذي هو أصل هذه الرواية، فهو محمد بن مروان السدي الكوفي، وهو السدي الصغير[3]؛ قال عنه الحافظ الذهبي: تركوه، واتهمه بعضهم بالكذب، وهو صاحب الكلبي (وسنتحدث عنه بعد نهاية الحديث عن السدي). قال البخاري: سكتوا عنه، وهو مولى الخطابيين، لا يكتب حديثه البتّة. وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال أحمد: أدركته وقد كبر فتركته. وقال ابن عدي: الضعف على روايته بين[4].

وجاء عنه في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: قال عبد السلام بن حازم: عن جرير بن عبد الحميد: كذاب. وقال الدوري: عن ابن معين: ليس بثقة. وقال ابن نمير: ليس بشيء. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف غير ثقة. وقال صالح بن محمد: كان ضعيفاً وكان يضع. وقال أبو حاتم: ذاهب

---

(١) المصدر السابق ١/ ٨١.
(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٢١١ ـ ٢١٢.
(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢؛ تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٦.
(٤) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢ ـ ٣٣. راجع أيضاً: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٦، ٤٣٧.

الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه البتة. وقال الجوزجاني: ذاهب. وقال ابن حبان: لا يحل كتابة حديثه إلا اعتباراً ولا يحتج به بحال. وقال أبو جعفر الطبري: لا يحتج بحديثه؛ قال عبد الله بن نمير: كان السدي كذاباً، ذكره ابن هشام في الضعفاء. وقال الساجي: لا يكتب حديثه[1].

وإذا كان هذا هو حال السدي الذي نقل عنه الطبري روايته الثانية؛ فإنه لا يحتج به ولا يعتمد على روايته بل إن الطبري نفسه قال كما ذكرنا إنه لا يحتج بحديثه.

وقد نقل البغوي كما ذكرنا عن الثعلبي رواية مشتركة عن السدي هذا ومعه الكلبي ومقاتل وقال: دخل حديث بعضهم في بعض.

وإذا كنا قد عرفنا حال السدي فلنبين حالَيْ صاحبيه:

ـ **أما الكلبي**، فهو كما ورد في الميزان وتهذيب التهذيب: محمد بن السائب بن بشر أبو النضر الكوفي النسابة المفسر الإخباري[2].

وجاء عنه في هذين الكتابين ما يلي:

قال سفيان: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباس فلا ترووه. قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة ورضوه في التفسير، **وأمَّا في الحديث فعنده مناكير**، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس. وقال علي: عن أبي جناب الكلبي: حلف أبو صالح أني لم أقرأ على الكلبي من التفسير شيئاً. وقال أبو عاصم: زعم لي سفيان الثوري قال: قال الكلبي: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه. وقال البخاري حدثني يحيى عن سفيان قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب[3].

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٢) المصدر السابق ٩/ ١٧٩؛ ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٩، ١٨٠.

وقال معتمر ابن أبي سليمان عن أبيه: كان بالكوفة كذابان: أحدهما الكلبي، وعنه قال: قال ليث بن أبي سليم عن أبيه: كان بالكوفة كذابان: أحدهما الكلبي والآخر السدي.

وقال الدوري عن يحيى بن يعلى المحاربي قال: قيل لزائدة: ثلاثة لا تروي عنهم: ابن أبي ليلى، وجعفر الجعفي، والكلبي. قال: أما ابن أبي ليلى فلست أذكره. وأما جابر: فكان والله كذاباً يؤمن بالرجعة. وأما الكلبي وكنت أختلف إليه ـ فسمعته يقول: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد فتفلوا في فيَّ فحفظت ما كنت نسيت ـ فتركته[1].

وقال يزيد بن زريع: حدثنا الكلبي وكان سبائيًّا ـ قال أبو معاوية: قال الأعمش: اتق هذه السبائية فإني أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين ـ[2].

وقال الأصمعي: عن أبي عوانة: سمعت الكلبي يتكلم بشيءٍ مَنْ تكلم به كفر؛ فسألته عنه فجحده. وقال عبد الواحد بن غياث: عن ابن مهدي: جلس إلينا أبو جزء على باب أبي عمرو بن العلا فقال: أشهد أن الكلبي كافر. قال: فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال: سمعته يقول: أشهد أنه كافر. قال: فماذا زعم؟ قال: سمعته يقول: كان جبريل يوحي إلى النبي ﷺ فقام النبي لحاجته وجلس علي؛ فأوحى إلى علي! فقال يزيد: أنا لم أسمعه يقول هذا، ولكني رأيته يضرب صدره ويقول: أنا سبائي، أنا سبائي ـ قال العقيلي: هم صنف من الرافضة أصحاب عبد الله بن سبأ[3]ـ. وقال ابن فضيل: عن مغيرة، عن إبراهيم: أنه قال لمحمد بن السائب: ما دمت على هذا الرأي؛ لا تقربنا ـ وكان مرجئاً ـ. وقال زيد بن الحباب: سمعت الثوري يقول: عجباً لمن يروي عن الكلبي! قال ابن أبي حاتم:

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٩. راجع أيضاً: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٧.

(٣) راجع الحديث في كتابي «غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام»: ص٧٤ ـ ٩٠.

فقلت لأبي: إن الثوري روى عنه. قال: كان لا يقصد الرواية عنه، ويحكي حكايته تعجباً، فيعلقه من حضره ويجعلونه رواية[١].

وقال الأصمعي: عن قرَّة بن خالد: كانوا يرون أن الكلبي يزرف ـ يعني يكذب ـ، وقال يزيد بن هارون: كبر الكلبي وغلب عليه النسيان. وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث لا يشتغل به. وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال علي بن الجنيد والحاكم أبو أحمد والدارقطني: متروك. وقال الجوزجاني: كذاب ساقط. وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وضعه. وقال الساجي: متروك الحديث، وكان ضعيفاً جدًّا لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمّه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع[٢].

يا سبحان الله، إنني في حالة ذهول ودهشة، ولا يحتاج الأمر مني إلى أدنى تعليق سوى التعجب الشديد من أولئك الذين رووا عن هذا الكلبي ووثقوا فيه وحاله بهذا السقوط وذلك التردي!!

ـ **وأما ثالث الثلاثة مقاتل بن سليمان البلخي، المفسر**، فقد ورد عنه في ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي[٣] وتهذيب التهذيب للحافظ بن حجر[٤] ما يلي:

قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه، حتى قال، إنه تعالى ليس بشيء. وأفرط مقاتل ـ يعني في الإثبات ـ حتى جعله مثل خلقه. وقال وكيع: كان كذاباً. وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجّال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب.

وقال عبد الله بن أبي القاضي الخوارزمي: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: أخرجَتْ خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير ـ يعني في

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٩.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ١٨٠.

(٣) راجع: ميزان الاعتدال، القسم الرابع: ص١٧٣ ـ ١٧٥.

(٤) راجع: تهذيب التهذيب الجزء العاشر: ص٢٧٩ ـ ٢٨٤.

البدعة والكذب ـ: جهم، ومقاتل، وعمر بن صبح. وقال خارجة بن مصعب: كان جهم ومقاتل عندنا فاسقين فاجرين. وقال إسحاق بن إبراهيم: قال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه.

وقال الحسين بن أشكاب: عن أبي يوسف: بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إليّ منهم: المقاتلية والجهمية. وقال العباس بن مصعب في تاريخ مرو: كان مقاتل لا يضبط الإسناد، وكان يقص في الجامع بمرو.

وقال الغلابي: عن ابن معين: ليس بثقة. وقال الدوري وغيره ـ عن ابن معين ـ: ليس بشيء. وقال عمرو بن علي: متروك الحديث كذاب. وقال ابن سعد: أصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث.

وقال النسائي: كذاب. وقال في موضع آخر: الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة، وذكر منهم مقاتل بخراسان.

وقال عبد الرحمن بن الحكم بن بشر بن سليمان: كان قاصاً ترك الناس حديثه. وقال ابن عمار الموصلي: لا شيء. وقال زكريا الساجي: قالوا: كان كذاباً متروك الحديث. وقال ابن عدي: عامة حديثه مما يتابع عليه. وقال الدارقطني: يكذب ـ وعده في المتروكين ـ. وقال العجلي: متروك الحديث. وذكره يعقوب بن سفيان في باب من يرغب عن الرواية عنهم، وكنت أسمع أصحابنا يضعفونهم.

وقال علماء الجرح والتعديل عنه الكثير، ولكنني أكتفي بأن أختم كلامهم عنه بقول ابن حبان عن مقاتل: «كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهاً يشبِّه الرب سبحانه وتعالى بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث». وقول أبي معاذ الفضل بن خالد المروزي: «سمعت خارجة بن مصعب يقول: لم أستحل دم يهود ولا ذمي، ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لا يرانا فيه أحد لقتلته». هذا ما ورد في التهذيب، وورد في الميزان قوله: «ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققت بطنه»!!!.

وهكذا يعلن أحد علماء الجرح والتعديل أن مقاتلاً كان يأخذ عن اليهود

والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وبذلك يتضح لنا مصدر هذه الرواية التي نقلها ورواها عنه الكثيرون وهو مصدر أو مستنقع الإسرائيليات الذي يحتوي على أكاذيب ومفتريات اليهود على سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، وسنشير إلى أقوال العلماء في ذلك ونبين أثر الإسرائيليات وخطرها.

ومن خلال ما نقلناه من أقوال وآراء علماء الجرح والتعديل في هؤلاء الثلاثة الذين كانوا من الرواة الأصليين لهذه الروايات يتبين لنا أنهم من الضعفاء والمجروحين المتروكين الذين لا يؤخذ برواياتهم ولا يحتج بأحاديثهم ولا يعتمد على أسانيدهم. وقد أشار الإمام السيوطي وهو يتحدث عن أوهى الطرق عن ابن عباس فذكر أن أوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي. ثم بين الإمام السيوطي أن الكلبي يفضل على مقاتل لما في مقاتل من المذاهب الردية(١).

* **وأما الرواية** التي نقلها الطبري وغيره عن سعيد عن مطر فإن كُلًّا منهما لا يؤخذ عنهما ولا يوثق في روايتهما.

ـ جاء في تهذيب التهذيب عن سعيد بن إياس الجريري ما يلي: قال أبو حاتم: تغير حفظه قبل موته، فمن كتب عنه قديماً فهو صالح. وقال أحمد بن حنبل: عن يزيد بن هارون: ربما ابتلانا الجريري، وكان قد أنكر.

وقال ابن معين ـ عن ابن عدي ـ: «لا نكذب الله، سمعنا من الجريري وهو مختلط». وقال ابن معين: قال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس: أسمعت من الجريري؟ قال: لا ترو عنه ـ يعني لأنه سمع منه بعد اختلاطه ـ. وقال الدوري عن ابن معين: سمع يحيى بن سعيد من الجريري، وكان لا يروي عنه.

وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، إلا أنه اختلط في آخر عمره(٢).

---

(١) راجع: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٨٩، نشر المكتبة الثقافية ـ بيروت.

(٢) تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر ٤/ ٥ ـ ٦.

ـ **أمَّا مطر بن طهمان الورَّاق**، فقد ورد عنه أيضاً في تهذيب التهذيب ما يلي: ليس بالقوي. وقال ابن سعد: كان فيه ضعف في الحديث. وقال الآجري عن أبي داود: ليس هو عندي بحجة ولا يقطع به في حديث إذا اختلف. ولما ذكره ابن حبان قال: ربما أخطأ، وكان معجباً برأيه. وقال أبو طالب: عن أحمد: كان يحيى بن سعيد يضعف حديثه عن عطاء. وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن مطر الورّاق فقال: كان يحيى بن سعيد يشبه حديث مطر الورّاق بابن أبي ليلى في سوء الحفظ قال: فسألت أبي فقال: ما أقربه من ابن أبي ليلى في عطاء خاصة، وقال: مطر في عطاء ضعيف. وقال عبد الله: وقلت ليحيى بن معين: مطر؟ فقال: ضعيف في حديث عطاء.

وقال أبو زرعة صالح، روايته عن أنس مرسلة لم يسمع منه[1].

* **وأمَّا الرواية التي رواها الطبري** وغيره: عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه اليماني؛ فيكفي أن فيها مجهولاً لم يعرف اسمه ولم يشر إليه، إلا أنه بعض أهل العلم؛ فالرواية غير متصلة السند بمن رواها وهو وهب بن منبه، وناهيك عن وهب هذا حيث كان معروفاً بالإسرائيليات وكثرة النقل عن أهل الكتاب، فقد قال عنه الذهبي: إنه كان كثير النقل من كتب الإسرائيليات[2].

ونلاحظ في أثناء عرض الرواية تكرار قول الراوي «فيزعمون» «ويزعمون» «فيما زعم أهل الكتاب» فالرواية مأخوذة من أهل الكتاب باعتراف الراوي، وبجانب ذلك فهو يشهد بأنها من مزاعمهم وليست من أخبارهم الصادقة.

وإذا كان فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسن الذهبي يدافع عن وهب بن منبه ويرى أنه كان ثقة ويرد على ما طعنه به الشيخ محمد رشيد رضا وغيره وينقل أقوال العلماء فيه وتعديلهم له وهو ما نوافق عليه إلا أنه لا ينكر ما عرف عنه من

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ١٦٧، ١٦٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٢.

كثرة نقله عن أهل الكتاب وروايته للإسرائيليات، بالإضافة إلى أن الدكتور الذهبي ذكر أن الرواة قد اختلقوا عليه وأضافوا إليه ما لم يقل(١).

وإنني لا أطعن في وهب بن منبه، فيكفي شهادة العلماء الموثقين له، ولكن أطعن في الرواية المذكورة.

ومن موجبات هذا الطعن: وجود المجهول في سند الرواية مع ذكر الراوي أن الرواية من مزاعم أهل الكتاب.

وهكذا، تبين لنا سقوط الرواية المرفوعة وبطلانها، وكذلك سقوط وبطلان الروايات الموقوفة من ناحية السند؛ حيث إن من رواتها: الضعفاء والمجروحين والمجهولين، ويكفينا أن الرواية المرفوعة غير متصلة السند بالنبي ﷺ، ويزيد الرقاشي ممن لا يحتج به ولا ينقل عنه.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾: «قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها من المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس (رضي الله عنه)، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله (عَزَّ وجَلَّ) فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً(٢).

وذكر في كتابه «قصص الأنبياء» أن كثيراً من المفسرين من السلف والخلف

---

(١) يذكر الدكتور الذهبي أنه وإن كان لا ينكر أن وهب بن منبه أكثر من الإسرائيليات وقص كثيراً من القصص إلا أنه لا يتهمه بشيء من الكذب، ولا ينسب إليه إفساد العقول والعقائد، ولا يحمله تبعة ذلك، لأن القوم الذين أفسدوا بإدخالهم في التفسير ما لا صلة له به وبالوضع عليه وعلى غيره. «التفسير والمفسرون ١/١٩٦ ـ ١٩٧». وراجع موقف الشيخ محمد رشيد رضا من وهب بن منبه كعب الأحبار في تفسير المنار ١/٩، دار المنار بمصر الطبعة الرابعة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/١٨٩، مطبعة المنار بمصر، ١٣٤٧هـ، طبع مع معالم التنزيل للنبوي.

قد ذكروا ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، اكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

وإذا كان الحافظ ابن كثير قد وقف هذا الموقف الحاسم ونطق بذلك القول الجازم في رفض هذه الروايات معلناً بأنها من الإسرائيليات، فإنني أعتب عليه مروره على القصة دون أن يدلي بدلوه في تفسير آياتها التفسير الصحيح الذي يراه والذي يتوافق مع عصمة الأنبياء ولا يتنافى مع نبوة سيِّدنا داود (عليه السَّلام). وليته فعل ذلك، إذن لكنا قد أفدنا رأياً وجيهاً وقولاً سديداً، ولكنه بتوقفه هذا قد أفقدنا الخير الكثير والعلم الغزير.

وذكر الثعالبي أن للقصاص في نازلة داود (عليه السَّلام) تطويلاً فلم يرَ سوق جميع ذلك لعدم صحته[٢].

وجاء في كتاب «الشفا» للقاضي عياض وشرحه لأبي علي القاري ونسيم الرياضي ما يلي: وأما قصة داود (عليه السَّلام) فلا يجب ولا يجوز ولا يصح أن يلتفت إلى ما سطره فيها ـ أي كتبه في كتبهم ـ الإخباريون أصحاب القصص الناقلون عن فجار أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بدّلوا وحرّفوا كتبهم وغيروا ما فيها، وإدخالهم ما لا أصل له هو علة لعدم جواز النقل كما رووه، ونقَلَهُ عنهم بعض المفسرين في تفاسيرهم اعتماداً على إخبارهم عن أخبارهم، وقد ورد أن من العلم جهلاً، وكان ينبغي لهم أن لا ينقلوه.

ولم ينص الله (تعالى) في قصته في القرآن على شيء من ذلك الذي ذكروه في قصصهم، ولا ورد عن النبي ﷺ في حديث صحيح موافق لما هنالك يعتمد على روايته، والمراد بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فإنه كثيراً ما يستعمله الفقهاء بهذا المعنى[٣].

---

(١) قصص الأنبياء ٢/ ٤٢٠.

(٢) تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن ٤/ ٣٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

(٣) الشفا ٢/ ٨٢٧؛ شرح الشفا ٤/ ١٩٢؛ نسيم الرياض ٤/ ١٩٢.

يقول القاضي عياض أيضاً وشارحاه: «وإلى نفي ما أضيف في الأخبار ـ أي ما نسب في الأخبار السابقة ـ إلى داود من ذلك الذي رووه ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين، وقال الداودي: ليس في قصة داود (عليه السَّلام) وأوريا خبر رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة يثبت وقال البرهان: لا أعلم فيه نقلاً، فلا يظن بنبي محبة قتل مسلم كما قالوه[١].

ويذكر القاسمي أن المرفوع إلى النبي ﷺ من هذه الروايات لم يأت من طريق صحيح، وأما الموقوف منها على الصحب والأتباع (رضي الله عنهم)، فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ، أو الثقة بمن حكى عنها، وينبني على ذلك ذهابهم إلى تجويز مثل هذا على الأنبياء[٢].

والأمر العجيب أن بعض المفسرين قد ذكر هذه القصة المزعومة دون أن ينبه إلى أنها مأخوذة من الإسرائيليات، بل إن هناك منهم من أورد عدة روايات كلها تؤيد ما ورد في الإسرائيليات دون أن يذكر رواية واحدة ينزه فيها سيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن هذه المفتريات.

ونختار من هؤلاء المفسرين الطبري والثعلبي والبغوي والقرطبي والسيوطي وهم الذين نقلنا عنهم هذه الروايات.

*** ونبدأ أولاً بالطبري:**

يقول القاسمي: «للمفسرين في هذا النبأ أقوال عديدة ووجوه متنوعة مرجعها إلى مذهبين: مذهب من يرى أنها تشير تعريضاً إلى وزر ألَمَّ به داود (عليه السَّلام) ثم غفر له. ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك.

فممَّن ذهب إلى الأول: ابن جرير، فإنه قال: هذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه، وذلك أن داود كانت له ـ فيما قيل ـ تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل ـ الذي أغزاه حتى قتل ـ امرأة واحدة، فلما قتل

---

(١) المصادر السابقة ٢/٨٢٨، ٤/١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) محاسن التأويل ٤/١٥٧.

نكح ـ فيما ذكر ـ داود امرأته، ثم لما قضى للخصمين بما قضى، علم أنه ابتُلِي، فسأل غفران ذنبه، وخر ساجدًا وأناب إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته. ثم أسند قصته مطولة من روايات عن ابن عباس والسدي وعطاء والحسن وقتادة ووهب ومجاهد ومن طريق عن أنس مرفوعاً، ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن[1].

وقد يتعجب المرء من الإمام الطبري ويتساءل: ما الذي حمله على ذكر هذه الروايات دون أن يحكم عليها ويبين درجتها من الصحة أو الضعف؟!

لكن الذي يعرف الطريقة التي سار عليها والمنهج الذي اتبعه سواء في تاريخه أو تفسيره يزول عنه العجب.

يذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم أن الطريقة التي سار عليها الطبري في كتابه[2] هي طريقة المحدثين، بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق، ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه، **لا يبدي في ذلك رأياً في معظم الأحيان.**

وقد كان اعتماده هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين، قالوا: إن سياقة الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرخ الناقد البصير. وإذا كانت طريقة رواية الخبر بذكر السند ـ ورجاله معروفون عند علماء الجرح والتعديل ـ تضمن صحة الأخبار وتمحيصها في الأخبار التي وقعت في الإسلام؛ فإن هذه الطريقة تقصر على ضمان صحة ذلك فيما قبل الإسلام، وخاصة وقد وقع في هذا التاريخ كثير من الأخبار الواهية والقصص الزائفة كالإسرائيليات وبعض أخبار الفرس. كما أورد أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة كالأحاديث الواردة في بدء الخلق وسير الأنبياء، مما لا يرتضيه المحدثون[3].

---

(١) محاسن التأويل ١٤/١٥٦.

(٢) يقصد كتابه «تاريخ الرسل والملوك» والمعروف بتاريخ الطبري، وتكاد تكون طريقته في التاريخ هي طريقته في التفسير فيما يتعلق بذكر الروايات بأسانيدها مع الفارق بين التاريخ والتفسير.

(٣) تاريخ الطبري، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر، مقدمة المحقق: ص٢٤ ـ ٢٥.

ويرى الشيخ الزرقاني أن من مزايا تفسير ابن جرير أنه حرر الأسانيد وقرَّب البعيد، وجمع ما لم يجمعه غيره، غير أنه قد يسوق أخباراً بالأسانيد غير صحيحة ثم لا ينبه على عدم صحتها وعلى ذلك فإنه لا يكفي الاعتماد على ذكر السند في هذا التفسير فقد يذكر ابن جرير أشياء غير صحيحة، ويسوق أسانيدها ثم لا يبين المجروح من رجال السند ولا المعدل فيهم[١].

ويذهب الدكتور الذهبي إلى أن ابن جرير وإن التزم في تفسيره بذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف، **لأنه كان يرى** ـ كما هو مقرر في أصول الحديث ـ **أن من أسند لك فقد حمَّلك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح**، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة[٢].

وقد عبر عن ذلك الإمام الطبري في مقدمة كتابه حيث يقول: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رأيت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أبناء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس».

وينتهي الإمام الطبري إلى القول: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدينا»[٣].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٧.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٢١٢.

(٣) مقدمة الطبري في تاريخه: ص٧ ـ ٨، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

ونستخلص من ذلك أن مجرد ذكر الروايات بأسانيدها في تفسير الطبري لا يعني كونها صحيحة أو معتمدة وإنما لا بد من الرجوع إلى علماء الجرح والتعديل ليتبين لنا موقفهم من أصحاب هذه الأسانيد.

وهذا هو ما فعلناه في تعقبنا لتلك الروايات التي نقلناها من تفسير الطبري وهو ما نبه عليه الشيخ الزرقاني، حيث يرى أن عذر الطبري في ما فعل أن أحوال الرجال كانت معروفة في ذلك، فيستطيعون أن يحكموا في ضوء هذه المعرفة بقبول الخبر أو برده، أما نحن في هذا الزمان المتأخر فقد أهملنا هذا الميزان، ولم نعن بمعرفة حال الأسانيد والرجال، فاللوم علينا لا على أولئك الأعلام، ولا معدِّي لنا عن استرشاد بكتب الجرح والتعديل في هذا المقام[١].

* **أمَّا الثعلبي**، الذي رجعنا إليه أيضاً عند ذكر الروايات في كتابه عن الأنبياء والمسمَّى بـ «العرائس» فإن الإمام ابن تيمية يقول عنه: «**والثعلبي**، هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل؛ ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع»[٢].

ويذكر الدكتور الذهبي أن الثعلبي قد توسع إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات بدون أن يعقب شيئاً من ذلك أو ينبه على ما فيه رغم استبعاده وغرابته، واحتوى تفسيره على قصص إسرائيلية نهاية في الغرابة. ويرى أن الثعلبي كان مولعاً بالأخبار والقصص إلى درجة كبيرة. ثم ذكر أن الثعلبي قد جر على نفسه وعلى تفسيره ـ بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات، وعدم الدقة في اختيار الأحاديث ـ اللوم المرير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هذا العيب على تفسيره[٣].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤٩٥.

(٢) كتاب مقدمة التفسير، الجزء الثالث، من مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية: ص٣٥٤، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طُبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

(٣) التفسير والمفسرون، راجع: ص٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

وقد أخذ عليه الإمام السيوطي إكثاره من الاعتماد على رواية السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهي كما قال: سلسلة الكذب[١].

* **أمَّا البغوي**، فقد اعتمد في ذكره للروايات على الثعلبي، وهو على ما هو عليه كما ذكرنا، ونقل هذه الروايات عن الثلاثة المشهورين بالكذب وهم: مقاتل والسدي والكلبي، وقد سبق أن بيَّنَّا أحوالهم.

* **أمَّا الإمام القرطبي**، فكنت أظن أنه يعرض لهذه الروايات فقط دون أن يعتقد ما فيها حتى ولو لم يعقب عليها بأنها من الإسرائيليات وبخاصة أنه نقل بعض آراء المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) كما سنرى وبين استحسانه لها بعكس الإمام الطبري الذي اقتصر على الروايات الموجبة على سيِّدنا داود وقوع الكبيرة منه، لكني وجدته في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ يقول: أي بالعدل وهو أمر على الوجوب، وقد ارتبط هذا بما قبله وذلك أن الذي عوتب عليه داود طلبه المرأة من زوجها وليس ذلك بعدل، فقيل له بعد هذا، فاحكم بين الناس بالعدل[٢].

ورأيته بعد أن أورد تلك الروايات المزعومة يستدل بها ويستنبط منها أنه ليس على الحاكم أن ينتصب للناس كل يوم، وأنه ليس للإنسان أن يترك وطء نسائه وإن كان مشغولاً بالعبادة؛ مما يعني إيمانه بصحة هذه الروايات وجواز الاستشهاد بها[٣].

* **وأخيراً فإن الإمام السيوطي** الذي شارك في رواية هذه الأكاذيب التي أوردناها في كتابه «الدر المنثور» قد بيَّن الدكتور الذهبي أنه في هذا التفسير قد سرد الروايات عن السلف بدون أن يعقب عليها، فلا يعدل ولا يخرج، ولا يضعف ولا يصحح، فهو كتاب جامع فقط، والسيوطي رجل مغرم بالجمع

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٨٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٨٩.

(٣) المصدر السابق ١٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

وكثرة الرواية. وهو مع جلالة قدره، ومعرفته بالحديث وعلله، لم يتحر الصحة فيما جمع في هذا التفسير، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل، فالكتاب يحتاج إلى تصفية حتى يتميز لنا غثه من سمينه[1].

وهكذا وجدنا أن كتب التفاسير التي رجعنا إليها واعتمدنا عليها في نقل هذه الروايات قد احتوت على كثير من الإسرائيليات، وتضمنت مرويات مكذوبة وقصصاً موضوعة وكان منها تلك الرواية التي ذكرناها وبيَّنَّا بطلانها من ناحية السند وأثبتنا أنها من مناكير الإسرائيليات وأكاذيبها.

يذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب أن كتب التفسير قد جاءت بمقولات من وراء دلالات الآيات القرآنية وأكثرها مأخوذ عن روايات إسرائيلية يرويها اليهود عن كتابهم الذي حرفوه، وألقوا فيه بأهوائهم الفاسدة وتصرفوا فيها كيف شاؤوا، ومن وراء ذلك اليهود، الذين يدسون على المسلمين أحاديث عن الرسول ﷺ يضعون لها سلسلة من الرواة الذين اشتهر عنهم الحديث عن رسول الله فتقع هذه الأحاديث المكذوبة من قلوب المسلمين موقعاً لا يجدون معه سبيلاً إلى دفعها، وإذا حصيلة هذه الأحاديث المكذوبة مجموعة من المتناقضات، يدفع بعضها بعضاً أو يكذب بعضها بعضاً فلا يدري المرء ماذا يأخذ منها وماذا يدع، وفي أكثر الأحوال ينتهي الأمر إلى الشك فيها جملةً إذا كانت لا تتصل بالعقيدة والشريعة[2].

ومن الواضح تماماً أن تفسير قصة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بما ورد في هذه الروايات المزعومة إنما هو منقول عن ما ورد في سفر صموئيل الثاني والذي اطلعنا عليه في الفصل الأول من هذا الكتاب وإن كانت الروايات لم تجرؤ على نسبة الزنا إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ومع ذلك فقد رمته بقتل زوج المرأة التي زعموا أنه أحبها وهويها وتعلق قلبه بها بعد أن رآها تغتسل وهي عارية إلخ ما ورد من كذب وافتراء.

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٢٣/ ١٠٧٠، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

وفسروا ما ورد في ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾، وما قاله أحد الخصمين: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ...﴾ بما ورد في سفر صموئيل الثاني على لسان «ناثان» حينما ساق إلى داود هذا المثل وما أعقب ذلك من تأنيب وتعنيف له على لسان المذكور «ناثان» واعتراف داود بخطيئته وما وقع له بعد ذلك، ولو لم تكن تلك الأكاذيب موجودة في أسفار اليهود لما خطر ببال أحد من المفسرين ولما دار في خلدهم أن يفسروا ذلك النبأ بتلك الروايات المزعومة والتي نقلوها من هذه الأكاذيب وتلك المفتريات.

يصف الإمام ابن حزم أصحاب الاتجاه الأول القائلين بهذه الروايات بأنهم مستهزؤون كاذبون، متعلقون بخرافات ولَّدها اليهود(١).

ويذكر الإمام البقاعي أن تلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، وبين أنه أخبره بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود (عليه السَّلام) لأن عيسى (عليه السَّلام) من ذريته ليجدوا السبيل إلى الطعن فيه(٢). وهو ما بيناه ونبهنا عليه من عداء اليهود لكل من سيِّدنا داود وسيِّدنا عيسى (عليهم السَّلام).

وهكذا تبين لنا من خلال نقد هذه الروايات بطلانها من ناحية السند حيث جرح العلماء رواتها وبينوا ضعفهم وعدم الاحتجاج بهم، وثبت من أقوال العلماء ومن خلال مقارنة ما تحتوي عليه هذه الروايات من الأكاذيب وما تضمنته من المفتريات على نبي الله سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أنَّ هذه الروايات من مناكير الإسرائيليات وأكاذيبها، وينبغي على العلماء ردها ورفض ما ورد فيها.

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن ننتهي من هذا المبحث حتى نتحدث عن الإسرائيليات باختصار ونشير إلى خطرها بإيجاز.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٣٩)، الطبعة المحققة، نشر مكتب عكاظ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) نظم الدرر ١٦/ ٣٦٢.

الإسرائيليات وخطرها على التفسير بالمأثور:

ولفظ الإسرائيليات ـ كما هو ظاهر ـ جمع مفرده: إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه نسب اليهود فيقال: بنو إسرائيل وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم منسوبين إليه في مواضع كثيرة من القرآن[١].

ولفظ الإسرائيليات ـ وإن كان يدل بظاهره على القصص التي تروى أصلاً عن مصادر يهودية ـ يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[٢].

بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسروا بها عقائد المسلمين[٣].

---

(١) راجع معنى كلمة إسرائيل وسبب إطلاقه على سيدنا يعقوب (عليه السَّلام) وإطلاق لقب «إسرائيلي» ولقب «يهودي» وتسمية اليهود بالعبرانيين والإسرائيليين في رسالتي للدكتوراه «تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة» مخطوط بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا أغسطس ١٩٨٧م من ص٣٧ إلى ص٥٥ تحت عنوان «تحديد أصول التسميات».

(٢) د/ محمد حسن الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص٢٢ ـ ٢٣، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. راجع أيضاً: د/ محمد بن محمد أبو شهبة: الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير: ص٢١.

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص٢٣، والحق كما يقول الدكتور أبو شهبة: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها من الأخلاق والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب: الإسرائيليات والموضوعات: ص٢٣ ـ ٢٤.

وهناك آراء كثيرة في التعريف بالإسرائيليات والمقصود بها، وهي متقاربة المعنى وإن كانت تتفاوت من حيث الشمول وعدمه.

وقد عرض الدكتور رمزي نعناعة لعدد من التعريفات المختلفة والمتنوعة لمصطلح «الإسرائيليات» وبين أنها متقاربة المعنى وإن تفاوتت من حيث الشمول وعدمه، وأخذ في بحثه للإسرائيليات بمفهومها الواسع بحيث يشمل كل دخيل في التفسير وبخاصة ما فيه مبالغة ودس وكذب وتخريف ولو كان مروياً عن إسرائيليين، أو متعلقاً بقصص غير إسرائيلي(١).

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهود على غيره، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي.

واليهود قوم بهت، وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للإسلام والمسلمين كما قال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾(٢) ولأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين أفواجاً(٣).

واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ماكرة خادعة(٤)، وعبد الله بن سبأ رأس الفتنة والضلال ومن ورائه سبئيون كثير،

---

(١) راجع الإسرائيليات وأثرها في التفسير: ص٧١ ـ ٧٥، نشر وتوزيع دار القلم بدمشق ودار الضياء ببيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) د/محمد حسن الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ١٦٥.

(٤) لمعرفة مزيد من التفصيلات حول اتصال اليهود بالمسلمين في المجتمع الإسلامي وكيدهم للإسلام في رسالتي للماجستير «غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام اليهودية ـ المسيحية ـ المجوسية» وقد طبعت في كتاب بنفس العنوان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٧٧ ـ ٣٨٨. ويتم طبعها الطبعة الثانية الآن في دار الآفاق العربية ـ القاهرة.

تظاهروا بالإسلام وتلفعوا بالتشيع لآل البيت[1] إمعاناً في المكر والخداع، ليعيثوا بين المسلمين فساداً، وفي عقائدهم ومقدساتهم إفساداً. وكان لهم نصيب كبير في هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ. ومن هذا كله غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير فأطلق عليه كله لفظ «الإسرائيليات»[2].

أقسام الإسرائيليات وروايتها:

يذكر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية أن الأحاديث الإسرائيلية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به، ولا نكذبه وتجوز حكايته بناءً على حديث النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[3].

---

(١) عن عبد الله بن سبأ اليهودي وكيده للإسلام وتظاهره بالتشيع وغلوه في الإمام علي ودوره في تأسيس الغلو الشيعي وموقف العلماء الباحثين منه، راجع كتابي «غلاة الشيعة»: ص٧٤ ـ ٩٠، وفي الكتاب تفصيلات كثيرة عن كثير من الفرق والطوائف التي تظاهرت بالإسلام وتلفعت بالتشيع وكان هدفها الكيد للإسلام والنيل منه والإفساد بين المسلمين.

(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص٢٥.

(٣) هذا الحديث رواه البخاري ٦/ ٣٦١ في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ورواه الترمذي في كتاب العلم رقم ٢٦٧١م باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل. راجع ابن الأثير في كتابه «جامع الأصول في أحاديث الرسول» حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط ٨/ ١٩، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ومطبعة الملّاح ومكتبة دار البيان، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وقد علّق ابن الأثير على نص الرواية المذكورة بقوله: «أخرجه البخاري والترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ ثم ذكر رواية أخرى عن أبي هريرة: «حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وقال: أخرجه أبو داود.

وبين أن غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك[١]. وقد ذكر الحافظ ابن كثير تلميذ الإمام ابن تيمية هذه التقسيمات في مقدمة تفسيره[٢].

وبعد أن تحدث الإمام ابن تيمية عن التفسير المنقول وبين أن منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه ذكر أن هذا القسم الثاني من المنقول وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه عامته مما لا فائدة فيه، فالكلام فيه من فضول الكلام، وأما ما لا يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً، فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك[٣]. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ ـ كاسم صاحب موسى أنه الخضر ـ فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك بل كان ممن يؤخذ عن أهل الكتاب ـ كالمنقول عن كعب ووهب وابن إسحاق وغيرهم[٤] ممن يأخذ عن أهل

---

(١) مقدمة التفسير الجزء الثالث من مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم وابنه محمد طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٨ ـ ٩، مطبعة المنار بمصر، ١٣٤٣هـ.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥، مقدمة في أصول التفسير: ص٥٥ ـ ٥٦، تحقيق: الدكتور عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، ١٣٩١هـ/ ١٩٨١م، الطبعة الأولى.

(٤) لم يتعرَّض شيخ الإسلام في كلامه هذا على هؤلاء الأعلام إلى موضوع تعديلهم أو الطعن في روايتهم، ولكنه أشار إلى ضرورة التوقف فيما ينقلونه من الإسرائيليات ـ على نحو ما أمرنا به ـ، وذلك فيما هو مسكوت عنه في شرعنا ولم يقم دليل على بطلانه ـ كما قيده علماؤنا ـ، وليس في هذا الوقف طعن في «صحة نقلهم» ولكن في

الكتاب ـ فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه»(١).

تسرُّب الإسرائيليات إلى التفسير بالمأثور:

يقسم بعض المفسرين التفسير إلى ثلاثة أقسام:

تفسير بالرواية ويسمَّى التفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمَّى التفسير بالرأي، وتفسير بالإشارة ويسمَّى التفسير الإشاري(٢).

ويهمنا هنا أن نشير إلى القسم الأول وكيف تسربت الإسرائيليات إليه:

يعرف التفسير بالمأثور بأنه ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ويسمَّى (تفسير القرآن بالقرآن)، وما نقل عن الرسول ﷺ من تفسير وتوضيح لآياته ويسمَّى (تفسير القرآن بالسُّنَّة)، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين في بعض الآراء ويسمَّى (تفسير القرآن

«مضمون» ما ينقلونه إذا اختلت فيه بعض الشروط. راجع: تفصيل ذلك في كتاب «التفسير والمفسرون» ١/ ١٨٣ ـ ٢٠١. د/عدنان زرزور، تحقيق: مقدمة في أصول التفسير: ص٥٧.

(١) جاء في جامع الأصول لابن الأثير أن البخاري أخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب بما يحدثونكم عن الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا، لأن الله تعالى أخبر أنهم كتبوا بأيديهم، وقالوا: هذا من عند الله»، وفي رواية أخرى قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب. . . وذكر الحديث» أخرجه البخاري في ٨/ ١٢٩ في تفسير سورة البقرة باب «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» وفي الاعتصام باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء». وفي التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها (جامع الأصول ١٠/ ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) راجع الشيخ الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٤٧٩، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثالثة.

بالموقوف على الصحابة والمروي عن التابعين)[1].

أما تفسير القرآن بالقرآن أو بما ثبت من السُنَّة الصحيحة فذلك مما لا خلاف في وجاهته وقبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف ولا يجد الشك إليه سبيلاً. وأمَّا ما أضيف إلى النبي ﷺ وهو ضعيف في سنده أو متنه، فذلك مردود غير مقبول ما دام لم تصح نسبته إلى النبي ﷺ. وأما تفسير القرآن بما يروى عن الصحابة والتابعين فقد تسرب إلى الكثير منه الخلل، وتطرق إليه الضعف[2].

ويرجع هذا الضعف في التفسير بالمأثور إلى الأسباب الآتية:

١ ـ ما دسه أعداء الإسلام مثل زنادقة اليهود والفرس في الرواية الإسلامية فقد أرادوا هدم هذا الدين المتين عن طريق الدس والوضع حينما أعيتهم الحيل في النيل منه عن طريق الحرب والقوة وعن طريق الدليل والحجة حيث دخلوا في الإسلام وتظاهروا به وهم يضمرون له الشر والعداوة والكيد، بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحب آل بيت النبي ﷺ[3] وتوصلوا إلى أغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع والاختلاق، والدس في المرويات الإسلامية عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

٢ ـ ما لفقه أصحاب المذاهب المتطرفة والفرق الغالية ترويجاً لتطرفهم وتأييداً لغلوهم، كغلاة الشيعة في الإمام علي الذين نسبوا إليه ما هو منه بريء[4] وكالمتزلفين الذي حطبوا في حبل العباسيين، فنسبوا إلى ابن عباس ما لم تصح نسبته إليه تملقاً لهم واستدراراً لدنياهم[5].

---

(١) راجع تفصيل ذلك في مناهل العرفان: ص٤٨٠ ـ ٤٨٢؛ التفسير والمفسرون ١/١٥٢؛ الإسرائيليات والموضوعات في التفسير والحديث: ص٦٤ ـ ٦٥.

(٢) مناهل العرفان ١/٤٩١؛ التفسير والمفسرون ١/١٥٦.

(٣) لمزيد من التفصيل عن دخول الفرس في الإسلام واتصالهم بالمسلمين وتظاهر الكثير منهم بالتشيع ودورهم في نشأة الغلو الشيعي ونشر الأفكار الغالية وبث العقائد الفاسدة راجع الفصل الثالث من الباب الثاني من كتاب «غلاة الشيعة» تحت عنوان «التأثير المجوسي».

(٤) راجع الفرق الغالية في الإمام علي رضي الله عنه في الكتاب المشار إليه «غلاة الشيعة».

(٥) مناهل العرفان ١/٤٩، د/أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات: ص١٢٢ ـ ١٢٣.

٣ ـ اختلاط الصحيح بغير الصحيح، ونقل كثير من الأقوال المعزوة إلى الصحابة والتابعين من غير إسناد ولا تحرٍّ، مما أدى إلى التباس الحق بالباطل والصحيح بالضعيف. زد على ذلك أن من يرى رأياً صار يعتمده دون أن يذكر له سنداً. ثم يجيء مَنْ بعده فينقله على اعتبار أن له أصلاً، ولا يكلف نفسه مؤنة البحث عن أصل الرواية، ولا من يرجع إليه القول[١].

٤ ـ أن تلك الروايات بالمأثور مليئة بالإسرائيليات، ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ولا برواية الآحاد، بل لا بد من دليل قاطع فيها[٢].

٥ ـ كثرة النقل فيها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وقد حمل هؤلاء الكثير من المرويات المكذوبة، والخرافات الباطلة، الموجودة في التوراة وشروحها، وكتبهم القديمة التي تلقوها عن أحبارهم ورهبانهم جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف ولم تكن هذه الإسرائيليات والمرويات مما يتعلق بأصول الدين والحلال الحرام، وهي التي جرى العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على التثبت منها، والتحري عن رواتها، وإنما كانت فيما يتعلق بالقصص وأخبار الأمم الماضية والملاحم والفتن وبدء الخلق وأسرار الكون وأحوال يوم القيامة[٣].

كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير بالمأثور:

لقد بين العلّامة ابن خلدون أسباب اللجوء إلى الإسرائيليات والاستكثار منها وكيفية تسربها إلى كتب التفسير بالمأثور فيذكر في مقدمته أن المتقدمين قد جمعوا في التفسير النقلي وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤٩١، الإسرائيليات والموضوعات: ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات: ص١٢٩ ـ ١٣٠.

والسبب في ذلك ـ فيما يرى ابن خلدون ـ أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأُمِّيَّة؛ فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية مثلهم، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأخبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم(١)، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخباراً موقوفة عليهم،

---

(١) يقول الشيخ الزرقاني: «إياك أن تفهم هنا من عبارة ابن خلدون أو ابن تيمية أو غيرهما ما يجعلك تخوض مع الخائضين في هؤلاء الأعلام الثلاثة: عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وكعب الأخبار، فقد ضل بعض الأدباء والمؤرخين من كبار الكتاب في هذا العصر حين زعموا ذلك»، وانتهى إلى أن هؤلاء الثلاثة عدول ثقات، ولكن يجب أن نفرق في هذا المقام بين ما يصح أن يقال فيهم وما يصح أن ينقل عنهم فأمَّا ما يصح أن يقال فيهم فهو الثقة والتقدير، وأما الذي ينقل عنهم فمنه الصحيح وغير الصحيح، ولكن عدم صحة ما لم يصح لا يعلل باتهامهم وجرحهم وإنما يعلل بأحد أمرين: **أولهما** رجال السند الذين ينقلون عنهم، فقد يكون بينهم متهم في عدالته أو ضبطه ولهذا يجب النظر في سلسلة الرواة عنهم رجلاً رجلاً، ولدينا من كتب الجرح والتعديل ما يفي بهذه الغاية، **وثانيهما**: أن يكون أولئك الثلاثة قد رووا ما رووه على أنه مما كان في الإسرائيليات، فتقبلها الآخذون على أنها من الإسلاميات. ولهذا يجب النظر في هذه المرويات، فإن كانت مما يقرره الإسلام قبلناها وإن كانت مما يرده رددناها، وإن كانت مما سكت عنه سكتنا عنها يقول ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» رواه البخاري. راجع مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦. راجع أيضاً: كلام الدكتور الذهبي حول هذا الموضوع في كتابه «التفسير والمفسرون» ١/ ١٨٣ ـ ٢٠١، وحديث الدكتور أبي شهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات: ص١٣٧ ـ ١٤٩. وراجع أيضاً د/ رمزي نعناعه: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: ص١٦٧ ـ ١٩٢.

وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بَعُد صيتهم، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذٍ[١].

مدى خطورة الإسرائيليات وخاصة المرفوع منها:

لا شك أن الإسرائيليات بما اشتملت عليه من خرافات وما حوته من أباطيل نسب الكثير منها إلى رسول الله ﷺ وإلى صحابته (رضوان الله عليهم)، واتخذها بعض المشتظين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم، تشكل ـ في صورتها هذه ـ خطراً بالغاً وشرًّا مستطيراً على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية:

١ ـ إنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتحسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وبما فيها من نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم في صورة استبدت بهم شهواتهم، ودفعتهم ملذاتهم ونزواتهم إلى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادي فضلاً عن أن يكون نبياً[٢].

٢ ـ إنها فتحت لأعداء الله من المبشرين والمستشرقين منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغرَّاء، وفي الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه عليه)، وذلك لأنا وجدنا أن هؤلاء اتخذوا من هذه الإسرائيليات الباطلة المبثوثة في كتب التفسير، وفي غيرها من الكتب دعامة من دعائم منهجهم في البحث لتشويه سمعة الإسلام عن قصد ووسمه وهو دين الحق والعقل والفطرة ـ بميسم الجهل والخرافات حتى يجعلوا منها حجاباً بين الإسلام ومن يريد أن يعتنقه وحتى

---

(١) راجع: مقدّمة ابن خلدون: ص٤٠٤، كتاب الشعب، دار الشعب ـ القاهرة.
(٢) راجع الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص٥١ ـ ٥٦.

ينفروا أبناءه منه، وفي كتب التفسير من هذه الإسرائيليات طامات وظلمات والكثير منها لم ينبه ناقلوه عن أصله، ولم يوقف على قائله، فكانت مثاراً للشك والطعن، والتقول على الإسلام ونبيه ﷺ[١].

٣ ـ إنها كادت تذهب الثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسند من هذه الإسرائيليات المنكرة شيء ليس بالقليل إلى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة، واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث واعتبروا من المصادر الدينية الهامة عند المسلمين، فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله[٢].

مدى خطورة المرفوع من الإسرائيليات:

ولو أن هذه الإسرائيليات ـ ولا سيما المكذوب والباطل منها ـ وقف بها عند قائليها، لكان الأمر محتملاً بعض الشيء ولكن الشناعة وكبر الإثم: أن بعض الزنادقة والوضاعين وضعفاء الإيمان قد رفعوا هذه الإسرائيليات إلى المعصوم ﷺ ونسبوها إليه صراحة!! وهنا يكمن الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام، والتجنِّي الآثم على النبي ﷺ؛ فإن نسبة الغلط أو الخطأ أو الكذب إلى الراوي ـ أيًّا كان ـ أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي ﷺ[٣].

❑❑❑

(١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص٤٢٨. راجع: الإسرائيليات والموضوعات: ص١٣٢.

(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص٥٧ ـ ٥٨.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات: ص١٣٣.

المبحث الرابع

بطلان هذه الروايات من ناحية المتن
وبيان منافاتها لعصمة الأنبياء

تمهيد:

بعد أن تبين لنا بطلان هذه الروايات الموقوفة والمرفوعة من ناحية السند وأثبتنا أنها من مناكير الإسرائيليات وأكاذيب اليهود وافتراءاتهم على نبي من أنبيائه الكرام؛ **نودّ في هذا المبحث أن نبين بطلان هذه الروايات من ناحية المتن**، وذلك بعرضها على مقياس النبوة ومعيار الرسالة، فهل يليق ما ورد في هذه الروايات من اتهامات شنيعة وتدابير سيئة وتصرفات خبيثة أن ينسب إلى نبي من أنبياء الله الأبرار؟! وهل يجوز أن يقع ما ورد فيها من رسول من رسل الله الأطهار؟! وقد سبق أن عقدنا مبحثاً خاصاً في بداية هذا الفصل من الكتاب لبيان نبوة سيِّدنا داود (عليه السَّلام)، وثبوتها في القرآن الكريم، وعرضنا بإيجاز للصورة الوضيئة والمشرقة والتي ظهرت لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) في الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ونود هنا في هذا المبحث أن نبين بطلان تلك الروايات من ناحية المتن وبيان منافاتها لعصمة الأنبياء، وسيِّدنا داود (عليه السَّلام) أحد هؤلاء الأنبياء المعصومين.

ولكن قبل أن نبين ذلك ينبغي أن نتحدث أولاً عن عصمة الأنبياء، ثم نبين بعد ذلك منافاة ما ورد في تلك الروايات لهذه العصمة.

إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر من أجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى، فلا يتم هذا الغرض، ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم.

ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والرذائل، وبالغ بعضهم فيها ـ فيما يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناءة[١].

وقبل أن نتحدث عن أقوال ومذاهب العلماء في عصمة الأنبياء (عليهم السَّلام) يحسن بنا أن نشير إلى معنى العصمة في اللغة واصطلاح العلماء.

التعريف بالعصمة لغة:

جاء في لسان العرب أن العصمة في كلام العرب تعني المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، عصَمة يعصِمه عصْماً: منعه ووقاه، وفي التنزيل: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، قال الأزهري، والحذاق من النحويين اتفقوا على أن قوله ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى لا مانع، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، أي يمنعني من تغريق الماء... واعتصم فلان بالله إذا امتنع به. والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله: إذا امتنعت بلطفه من المعصية[٢].

ويقول الراغب الأصفهاني: العصْم: الإمساك، الاعتصام: الاستمساك

---

(١) الوحي المحمدي: ص٥٠ ـ ٥١، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة عصم: ص٢٩٧٦، طبعة دار المعارف بمصر.

واستعصم: استمسك؛ كأنه طالب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة. وعصمة الأنبياء: حفظ الله إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[(١)].

ويذكر السيد الشريف أن العصمة هي: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها[(٢)].

وجاء في شرح المواقف أن حقيقة العصمة عندنا ـ أي عند الأشاعرة ـ على ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل المختار إبتداءً أن لا يخلق الله فيهم ذنباً، وهي عند الحكماء بناءً على ما ذهبوا إليه من القول بالإيجاب واعتبار استعداد القوابل: ملكة تمنع عن الفجور، وتحصل هذه الصفة النفسانية إبتداءً بالعلم بمثالب المعاصي، ومناقب الطاعات؛ فإنه الزاجر عن المعصية والداعي إلى الطاعة، وتتأكد وترسخ هذه الصفة فيهم بتتابع الوحي إليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغي، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي، والاعتراض على ما يصدر عنهم من الصغائر سهواً أو عمداً عند من يجوز تعمدها، ومن ترك الأولى والأفضل، فإن الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها أحوالاً أي غير راسخة ثم تصير ملكات أي راسخة في ملكها بالتدريج[(٣)].

وقال قوم: إن العصمة تكون خاصية في نفس الشخص أو في بدنه تمنع بسببها صدور الذنب. ويكذِّبُ هذا القولَ أنه لو كان صدور الذنب كذلك أي ممتنعاً لما استحق المدح بذلك أي بترك الذنب؛ إذ لا مدح ولا ثواب بترك ما هو ممتنع؛ لأنه ليس مقدوراً داخلاً تحت الاختيار[(٤)].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ص٣٣٦ ـ ٣٣٧، تحقيق محمد سيد كيلاني شركة ومكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
(٢) التعريفات: ص١٣١، مصطفى الحلبي، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
(٣) شرح المواقف ٣/ ٢١٥؛ المواقف: ص٣٦٦، نشر عالم الكتب ببيروت.
(٤) شرح المواقف ٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

وأيضاً فالإجماع منعقد على أنهم ـ أي الأنبياء ـ مكلفون بترك الذنوب مثابون به، ولو كان الذنب ممتنعاً عنهم لما كان الأمر كذلك؛ إذ لا تكليف بترك الممتنع ولا ثواب عليه أيضاً فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(١) يدل على مماثلتهم لسائر الناس فيما يرجع إلى البشرية، والامتياز بالوحي لا غير فلا يمتنع صدور الذنب عنهم كما كان عن سائر البشر(٢).

يذكر الإمام الرازي أن اختلاف العلماء في عصمة الأنبياء يرجع إلى أقسام أربعة:

القسم الأول: ما يقع في باب الاعتقاد.

القسم الثاني: ما يقع في باب التبليغ.

القسم الثالث: ما يقع في باب الأحكام والفتيا.

القسم الرابع: ما يقع في أفعالهم وسيرتهم(٣).

فالذي يتوهم صدوره عن الأنبياء من القبائح إما أن يكون منافياً لما تقتضيه المعجزة ـ وهو صدق الرسول في دعوى الرسالة وتبليغ الأحكام ـ، أو لا. فالأول: الكذب، والثاني إما أن يكون شركاً وكفراً أو معصية أخرى. وهذه المعصية إما أن تكون من الكبائر وإما أن تكون من الصغائر. فالمعاصي التي يتوهم صدورها من الأنبياء تنحصر في أمور الشرك والكفر، والكذب، أو باقي أفراد الكبائر والصغائر(٤).

أما الشرك والكفر، وهو ما يتعلق بباب الاعتقاد فلا يجوز صدوره من الأنبياء لا قبل البعثة ولا بعدها، عمداً أو سهواً، والدليل على ذلك إجماع أهل

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) شرح المواقف ٣/ ٣٦٦.

(٣) راجع تفصيل ذلك في عصمة الأنبياء: ص٣٩ ـ ٤٠، نشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٦م؛ الأربعين في أصول الدين: ص١١٥ ـ ١١٦، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦م؛ مفاتيح الغيب ٣/ ٧ ـ ٨.

(٤) راجع: شرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ١٤٢، مذكرات التوحيد للأستاذ (محمود أبو دقيقة): ص٢٦٥، مطبعة ومجلة الإرشاد، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

الشرائع والملل على وجوب عصمة الأنبياء منه مطلقاً[١]. يذكر الرازي أن الأمة أجمعت على أن الأنبياء معصمون من الكفر والبدعة[٢]. وجاء في شرح المواقف أن الأمة قد أجمعت على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك[٣].

ويذكر القاضي عياض أن قلوب الأنبياء معقودة على طريق التوحيد، والعلم بالله وصفاته، والإيمان به، وبما أوحي إليه، ولا بد أن يكونوا على غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك المريب أو الريب فيه، والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين. ويبين أن هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه[٤].

وأما الكذب فيستحيل صدوره عن الأنبياء عمداً، فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وتبليغ الأحكام قبل البعثة وبعدها، والدليل إجماع أهل الأديان على ذلك[٥].

---

(١) مذكرات التوحيد: ص٢٦٥.

(٢) عصمة الأنبياء: ص٣٩؛ الأربعين: ص١١٥ ـ ١١٦؛ التفسير الكبير ٣/ ٧. واستثنى الرازي الفضيلية من الخوارج حيث يجوزون الكفر على الأنبياء وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم واستثنى الروافض حيث يجيزون الكفر تقية.

(٣) غير أن الأزارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب عندهم كفر فلزمهم تجويز الكفر، بل يحكى عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله تعالى أنه يكفر بعد نبوته، وجوز الشيعة إظهار الكفر تقية عن خوف الهلاك لأن إظهار الإسلام حينئذٍ إلقاء للنفس للتهلكة وذلك باطل قطعاً لأنه يفضي إلى إخفاء الدعوة بالكلية وترك تبليغ الرسالة إذ أولى الأوقات بالتقية وقت الدعوة للضعف بسبب قلة الموافق أو عدمه وكثرة المخالفين وأيضاً ما ذكروه منقوض بدعوة إبراهيم وموسى عليهما السلام في زمن نمروذ وفرعون مع شدة خوف الهلاك. (شرح المواقف ٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥. راجع أيضاً: شرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ١٤٢).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٦٩٥.

(٥) مذكرات التوحيد: ص٢٦٥.

يقول الإيجي في المواقف وشارحه: «أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله إلى الخلائق.

إذ لو جاز عليهم التقول والافتراء في ذلك عقلاً لأدى إلى إبطال دلالة المعجزة، وهو محال[(١)].

وفي جواز صدوره ـ أي صدور الكذب ـ عنهم فيما ذكر على سبيل السهو والنسيان خلاف[(٢)]، يقول الشيخ أبو دقيقة: أما صدوره سهواً فالأكثر من علماء التوحيد على عصمتهم منه، وهو الحقّ الذي يجب على كل مكلف اعتقاده لأنه لو جاز الكذب في دعوى الرسالة وتبليغ الأحكام ولو سهواً لارتفعت الثقة بأخبارهم المتعلقة بما ذكر وتطرق إليها احتمال الكذب ويفوت ذلك الغرض المقصود من البعثة[(٣)].

ولذلك فإن القاضي عياض في حديثه عن عصمة النبي ﷺ في أقواله يذكر أنه في أقواله (عليه الصَّلاة والسَّلام) قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً وعمداً ولا سهواً وغلطاً، أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف، بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله فيما قال اتفاقاً، وبإطباق أهل الملة إجماعاً، وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ومن قال بقوله، ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك[(٤)].

وترك القاضي هذا الخلاف وانتهى إلى أن ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة، والإعلام بما أخبر به عن

---

(١) المواقف ٣/ ٢٠٤، طبعة اسطانبول.
(٢) المواقف ٣/ ٢٠٤. راجع أقوال العلماء واختلافهم في ذلك.
(٣) مذكرات التوحيد: ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٤) راجع: الشفا ٢/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦.

ربه، وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد، ولا على غير العمد، ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض[1].

ثم يقول القاضي إذا قامت المعجزة على صدقه، وأنه لا يقول إلا حقاً ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً، وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له: صدقت فيما تذكره عني، وهو يقول: إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم، فلا يصح أن يوجد من في هذا الباب خبر بخلاف مخبره، على أي وجه كان، ولو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره، ولا اختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي عن ذلك كله واجب برهاناً وإجماعاً[2].

وبعد أن تحدثنا باختصار عن عصمة الأنبياء من الكفر في الاعتقاد والكذب في التبليغ ننتقل إلى ما سوى ذلك مما يتوهم صدوره من الأنبياء فنتحدث عن عصمتهم من الكبائر والصغائر وهي ما تعنينا بالدرجة الأولى في بحثنا عن عصمة الأنبياء.

يذكر الإيجي أن ما سوى الكذب في التبليغ وغير الكفر يكون إما كبائر أو صغائر وكل منهما إما إن يصدر عمداً وإما أن يصدر سهواً فالأقسام أربعة وكل واحد منها إما قبل البعثة أو بعدها[3].

الكبائر في حال النبوة وقبلها عمداً أو سهواً:

أجمع علماء الكلام على عصمة الرسل من تعمد الكبائر بعد البعثة مطلقاً سواء أشعرت بخسة كالسرقة والزنا أو لا، كالقتل[4].

جاء في شرح المواقف: أن الجمهور من المحققين والأئمة قد منعوا صدور الكبائر عن الأنبياء عمداً وأنه لم يخالف فيه إلا الحشوية والأكثر من المانعين على

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٧٤٦ ـ ٧٤٧.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٧٤٧ ـ ٧٤٨.
(٣) المواقف: ص٣٥٩؛ شرح المواقف ٣/ ٢٠٥.
(٤) الشيخ محمود أبو دقيقة: مذكرات التوحيد: ص٢٦٦.

امتناعه سمعاً، حيث قال القاضي والمحققون من الأشاعرة: إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً، إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم عمداً مستفاد من السمع، وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين في ذلك[١].

ويذكر القاضي عياض أن المسلمين قد أجمعوا على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، وأن مستند الجمهور في ذلك هو الإجماع، وأن هذا هو مذهب القاضي أبي بكر، وقد منعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق[٢].

وقالت المعتزلة بناءً على أصولهم في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح يمتنع ذلك عقلاً، لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم عن القلوب وانحطاط رتبتهم في أعين الناس، فيؤدي إلى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم، ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة[٣].

يذكر القاضي عبد الجبار أنه إن جاز أن يرتكب النبي الكبائر فما الأمان أن يرتكب الكفر كعبادة الأصنام والأوثان وتعظيم غير الله (تعالى)، والكفر بنعمته، والاستخفاف بحقه. ومن هذا حاله كيف يوثق بأنه يؤدي الشرائع[٤]؟ ولأنه قد ثبت أنه تعالى بعث الرسل للتعريف بالمصالح التي لا تعرف إلا من قبلهم فبعثتهم مصلحة، من حيث لا تصح مصالح الأمة إلا بهم. ويستنتج من ذلك بعد كلام طويل أنه إذا كان النبي فيمن تجوز عليه الكبائر، فإن النفوس لا تسكن إلى القبول منه سكونها إلى من كان منزهاً عن ذلك، فيجب أن لا يجوز في الأنبياء

---

(١) شرح المواقف ٣/ ٢٠٥؛ المواقف: ص٣٥٩.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في الشفا ٢/ ٧٨٤ ـ ٧٨٥.

(٣) شرح المواقف ٣/ ٢٠٥.

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل: ص١٥؛ التنبؤات والمعجزات: ص٣٠٠ ـ ٣٠١، تحقيق د/ محمود الخضيري، ود/ محمود قاسم، الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

(عليهم السَّلام) إلا ما نقوله من أنهم منزهون عما يوجب العقاب والاستخفاف والخروج من ولاية الله (تعالى) إلى عداوته.

يبين ذلك أنهم لو بعثوا للمنع من الكبائر والمعاصي بالمنع والردع والتخويف فلا يجوز أن يكونوا مقدمين على مثل ذلك لأن المتعالم أن المقدم على الشيء لا يقبل منه منع الغير منه، للنهي والزجر والنكير وأن هذه الأحوال منه لا تؤثر، ومتى امتنع الممتنع عند قوله فلأمر يذكره بقوله، لا لأجل قوله لأن قوله لا يؤثر في هذا الباب، وهذا متقرر في الطباع في سائر الأفعال، ولذلك نرى الناهي غيره عن أمر يأتيه يعارض بفعله له، ويستخف بإنكاره.

ولو أن واعظاً انتصب يخوف من المعاصي من يشاهد مقدماً على مثلها لاستخف به وبوعظه[١].

ثم يتحدث القاضي عبد الجبار عن الذين يجيزون صدور الكبائر عن الأنبياء عمداً فيقول: «ومن عجيب أمورهم أنهم يؤمنون بأنهم ـ أي الأنبياء ـ بعثوا للزجر والتخويف عن المعاصي، ثم يرغبون في المعاصي بذكر ما ينسبون إليه، فكأنهم يجعلون أفعالهم ناقضة لأقوالهم لأن فعلهم يرغب في المعاصي وقولهم يزجر عنها، وهذا لا يقع من الرسول الذي بعثه الله (تعالى) مع حكمته لإكمال دينه وشريعته، ووعده ووعيده وزجره وترغيبه، وليس في كتاب الله (تعالى) ما يدل على نسبة كبيرة إلى أحد من الأنبياء (صلوات الله عليهم)، وإن كان فيه ما يدل على أن المعصية قد وقعت منهم مع الخوف الشديد الذي ثبت عنهم فيما واقعوه من المعصية، والبكاء الطويل، والحزن العظيم، الذي لا يليق بتجويز ارتكاب الكبائر عليهم[٢].

وأما صدور الكبائر عن الأنبياء سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل فيجوزه الأكثرون والمختار خلافه[٣].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٠٢.
(٢) المصدر السابق: ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٣) شرح المواقف ٣/ ٢٠٥.

فالمحققون من علماء التوحيد على منعه لأنه لو جاز عليهم فعل الكبيرة ولو سهواً أو خطأً في التأويل لزم أن تكون تلك الكبيرة مأموراً بفعلها لأن الله (تعالى) أمرنا بالاقتداء في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل إلا فيما ثبت اختصاصهم به، فلو صدر عنهم فعل الكبيرة ولو سهواً لكان فعلها طاعة مأموراً به مع كونها من الفحشاء والله لا يأمر بالفحشاء فيكون فعلها مأموراً به غير مأمور وهو محال لأنه جمع بين النقيضين[١].

وأما صدور الكبائر قبل النبوة فإن كان موجباً للنفرة كالفجور بالأمهات أو مشعراً بالخسة كالسرقة فهو ممنوع بإجماع علماء التوحيد وإن كان غير ذلك كالقتل فقد جوز صدوره علماء التوحيد وبعضهم منع صدور الكبيرة قبل البعثة مطلقاً كما منعها بعد البعثة وهو الظاهر[٢].

يقول القاضي عياض «وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم، وجوزها آخرون، والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة ـ أي وقوع الذنب منهم قبل النبوة ـ تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع[٣].

ويذكر الإمام ابن حزم أن كل نبي لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما قبل أن يتنبأ: إمَّا أن يكون متعبداً بشريعة نبي أتى قبله كما كان عيسى (عليه السَّلام) وأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا متعبدين بشريعة موسى (عليه الصَّلاة والسَّلام). وإمَّا أن يكون قد نشأ في قوم قد درست شريعتهم، ودثرت ونسيت كما في بعث محمد ﷺ في قوم قد نسوا شريعة إسماعيل وإبراهيم (عليهما السَّلام).

فإن كان النبي متعبداً بشريعة ما، فقد أبطلنا آنفاً[٤] أن يكون نبي يعصي ربه أصلاً. وإن كان نشأ في قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد، ولا مأمور بما لم

---

(١) مذكرات علم التوحيد: ص٢٦٦.
(٢) الشفا: ١/٧٩٣ وما بعدها.
(٣) راجع الفصل ٤/ ٥٠، ٥٨.

يأته أمر الله (تعالى) به بعد؛ فليس عاصياً لله (تعالى) في شيء يفعله أو يتركه[١].

إلا أننا ندري أن الله (عَزَّ وجَلَّ) قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به، لأن العيب أذى، وقد حرم الله (عَزَّ وجَلَّ) أن يؤذى رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٢].

ثم انتهى الإمام ابن حزم إلى أنه بيقين ندري أن الله (تعالى) صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغِيَّة أو من ولادة بغي، أو من بغايا، بل بعثهم الله (تعالى) في حسب قومهم فإذا كان لا شك في هذا فبيقين ندري أن الله (تعالى) عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغي، وأذى الناس في حريتهم وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء ويشتكي منه ويؤذي بذكره[٣].

الصغائر في حال النبوة وقبلها عمداً أو سهواً:

وأما الصغائر فقد جوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين[٤].

وقد احتج هؤلاء على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع، وهو ما لا يقول به مسلم، فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه، وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه، وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعاً، وكان الخلاف فيما احتجوا به قديماً، وقامت الدلالة على خطأ قولهم، وصحة غيره، وجب تركه، والمصير إلى ما صح[٥].

---

(١) المصدر السابق: ص٥٨.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٣) الفصل ٤/٥٨.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٧٨٦.

(٥) المصدر السابق ٢/٨٠٩ ـ ٨١٠، وقد قام القاضي عياض بالرد عليهم في الصفحات التالية: ص٨١٠ ـ ٨٤٠، حيث بيَّن الرأي الصواب والذي يتفق مع عصمة الأنبياء في =

وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأتِ الشرع قاطع بأحد الوجهين[1].

وجاء في شرح المواقف وغيره: أن الجمهور قد جوز وقوع الصغار عمداً إلا الجبائي فإنه ذهب إلى أنه لا يجوز صدور الصغيرة إلا بطريق السهو أو الخطأ في التأويل، وهذا التجويز منهم إنما هو فيما ليس من صغائر الخسة.

وأما صدور الصغائر سهواً فهو جائز اتفاقاً بين أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة إلا الصغائر الخسيسة وهي ما تلحق فاعلها بالأراذل والسفل، والحكم عليه بالخسة ودناءة الهمة كسرقة حبة أو لقمة فإنها لا تجوز أصلاً لا عمداً ولا سهواً، والاتفاق المذكور إنما هو فيما ليس منها كنظرة وكلمة سفه نادرة في خصام.

وقال الجاحظ: يجوز أن يصدر عنهم غير صغائر الخسة بشرط أن لا ينبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين من المعتزلة وبه يقول معشر الأشاعرة[2].

وقد لخص الشيخ أبو دقيقة رأي جمهور المتكلمين في وقوع الصغائر من الأنبياء قبل النبوة وبعدها عمداً أو سهواً فقال: وأما الصغائر فما كان مشعراً بخسة كسرقة لقمة فيستحيل صدوره منهم عمداً وسهواً قبل البعثة وبعدها لأن صدورها يوجب النفرة من أتباعهم، وما لم يكن مشعراً بخسة فالتحقيق أنهم معصومون من تعمده بعد البعثة لا من صدوره نسياناً، وأما صدوره قبل البعثة عمداً أو سهواً فلم يقم دليل على منعه[3].

= كل ما ورد عن الأنبياء في القرآن الكريم مما قد يتوهم فيه صدور الذنب عنهم، وإن شاء الله سنحاول تخصيص بحث لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام، وقد أنجزت بحمد الله تعالى بحثين عن عصمة الخليل إبراهيم (عليه السَّلام)، وبحثاً عن عصمة نبي الله سليمان بن داود، تم نشرها في حولية كلية أصول الدِّين بطنطا، وأقوم الآن بكتابة بحث عن عصمة يوسف (عليه السَّلام).

(١) الشفا ٢/ ٧٨٦.

(٢) شرح المواقف ٣/ ٢٠٥. راجع أيضاً شرح المقاصد ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣؛ شرح العقائد النسفية: ص١٣٦؛ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/ ١٧١.

(٣) مذكرات التوحيد للأستاذ محمود أبو دقيقة: ص٢٦٦، مطبعة ومجلة الإرشاد، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

وذهبت طائفة أخرى من المحققين والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك، وقول ابن عباس وغيره: إن كل من عصى الله به فهو كبيرة، وإنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه، ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة[1].

ويذكر الإمام ابن العربي أن جماعة قالوا: لا صغيرة في الذنوب. وهو صحيح، كما قالت طائفة: إن من الذنوب كبائر وصغائر، وهو صحيح.

وتحقيقه: أن الكفر معصية ليس فوقها معصية، كما أن النظرة معصية ليس دونها معصية، وبينهما ذنوب إن قارنتها بالكفر والقتل والزنا وعقوق الوالدين والقذف والغضب كانت صغائر وإن أضفتها إلى ما يليها في القسم الثاني الذي بعده من جهة النظر كانت كبائر[2].

ثم ينقل القاضي عياض عن بعض أئمة المالكية أنه لا يجب على القولين (العصمة عن الصغائر وعدمها) أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها، إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء والخساسة، فهذا أيضاً مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً، لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به، ويزري بصاحبه، وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك، بل يلحق بهذا ما كان من قبل المباح، فأدى إلى مثله، لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر[3].

---

(١) الشفا ٢/ ٧٨٦، وينقل قول القاضي أبي محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي ت٤٠٢هـ: لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر، ولا يكون لها حكم مع ذلك، بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء، والمشيئة في العفو عنها إلى الله (تعالى) ويذكر أن هذا هو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء: ص٧٨٧.

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٤.

(٣) الشفا ٢/ ٧٨٧ _ ٧٨٨.

ويذهب الإمام ابن حزم إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة، وأن هذا هو القول الذي يدين الله (تعالى) به، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه(١).

ثم يقول: إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله، والتقرب به منه، فيوافق خلاف مراد الله (تعالى) إلا أنه لا يقر على شيء من هذين الوجهين أصلاً، بل ينبههم على ذلك ولا بد إثر وقوعه منهم، ويظهر (عَزَّ وجَلَّ) ذلك لعباده، ويبين لهم، وربما عاتبهم على ذلك بالكلام، وربما يبغض المكروه في الدنيا، والأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) بخلافنا في هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه، ولا بما قصدنا به وجه الله عزَّ وجلَّ فلم يصادف مراده تعالى، بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجراً واحداً(٢).

ويتحدث القاضي عياض في الأعمال التي تكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به، وترك المؤاخذة عليه، فيذكر أن أحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به، وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء تأتي على نوعين **الأول**: مما طريقه البلاغ، وتقرير الشرع وتعلق الأحكام، وتعليم الأمة بالفعل، وأخذهم باتباعه فيه، **والنوع الثاني**: ما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه.

أمَّا الأوَّل: فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول وهو الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي ﷺ وعصمته من جوازه عليه قصداً أو سهواً، فكذلك قالوا: الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً، لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء، وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن.

---

(١) الفصل ٤/٦، الطبعة المحققة ويذكر أن هذا هو قول ابن مجاهد الأشعري شيخ ابن فورك والباقلاني.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الفصل ٤/٦ ـ ٧.

وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه ـ جائزة عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصَّلاة، وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها، وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها، ولا قادح في النبوة، بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر، وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال واتباع آثارهم وسيرهم مطلقاً، وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة، بل مطلقاً عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك[1].

ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال: فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم، إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعلة معصية، لا سيما على من يرى من الأصوليين تقديم الفعل على القول إذا تعارضا. وزاد القاضي عياض على هذا حجة فقال: من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا ﷺ مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل، وأنه متى رأى شيئاً فسكت عنه ﷺ دل على جوازه، فكيف يكون هذا حاله في حق غيره، ثم يجوز وقوعه منه في نفسه[2].

وعلى هذا المأخذ تجب عصمة الأنبياء من مواقعة المكروه أيضاً، إذا الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه.

وأيضاً فقد علم من دين الصحابة قطعاً الإقتداء بأفعال النبي ﷺ كيف توجهت، ومن كل فن كالاقتداء بأقواله والآثار في هذا أكثر من أن نحيط بها[3]،

---

(١) روى عن مالك إلتزام ذلك وجوباً، وهو قول أكثر أهل العراق وأكثر المالكية ويرى أكثر الشافعية أن ذلك ندب وذهبت طائفة إلى الإباحة (الشفا: ٢/ ٧٨٨).

(٢) الشفا ٢/ ٧٨٩.

(٣) ذكر منها القاضي عياض بعضها في: ص٧٩٠ ـ ٧٩٢.

لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا، ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك(١).

وأما المباحات فجائز وقوعها من الأنبياء، إذ ليس فيها قدح، بل هي مأذون فيها، وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها، إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة، واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الآخرة، فلا يأخذون من المباح إلا الضرورات مما يتقون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة، فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه (عليهم السَّلام) بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية(٢).

هذا وقد احتج المخالف الذاهب إلى جواز صدور الكبائر عن الأنبياء بعد البعثة سهواً وجواز الصغائر عمداً أيضاً بقصص الأنبياء التي نقلت في القرآن الكريم أو الأحاديث أو الآثار، وتلك القصص توهم صدور الذنب عنهم في زمان النبوة.

والجواب عن تلك القصص إجمالاً كما جاء في شرح المواقف وغيره من كتب علم الكلام أن ما كان منها منقولاً بالآحاد وجب ردها لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء وما ثبت منها تواتراً، فما دام له محمل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة وما لم يجد له محيصاً حملناه على أنه كان قبل البعثة أو كان من قبيل ترك الأولى أو من صغائر صدرت عنهم سهواً ولا ينفيه أي لا ينفي كونه من قبيل ترك الأولى أو الصغائر الصادرة سهواً تسميته ذنباً في مثل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾(٣) ولا الاستغفار منه ولا الاعتراف بكونه ظلماً منهم كما في قصة آدم (عليه السَّلام)

---

(١) الشفا ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩٢.
(٢) الشفا ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩٢.
(٣) سورة الفتح: الآية ٢.

يعني أن هذه الأمور الثلاث لا تنافي المحملين الآخرين، إذ لعل ذلك المذكور من التسمية والاستغفار والاعتراف لعظمه عنهم وعندهم ألا ترى أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فلذلك يسمَّى ترك الأولى منهم وكذا ارتكاب الصغيرة سهواً ذنباً ويستغفرون منه ويعترفون بكونه ظلماً أو بأن قصدوا به هضماً من أنفسهم وكسراً لها بأن ارتكبت ذنباً يحتاج فيه إلى الاستغفار والاعتراف به على سبيل الابتهال والتضرع كي يعفو عنه ربهم(١).

وذكر التفتازاني في «شرح المقاصد» أن المخالف قد احتج بما نقل من أقاصيص الأنبياء وما شهد به كتاب الله من نسبة المعصية والذنب إليهم ومن توبتهم واستغفارهم وأمثال ذلك والجواب عنه إجمالاً هو أن ما نقل آحاداً مردود وما نقل متواتراً أو منصوصاً في الكتاب محمول على السهو والنسيان أو ترك الأولى أو كونه قبل البعثة أو غير ذلك من المحامل والتأويلات(٢).

وذكر الإمام ابن حزم أن الطائفة التي تذهب إلى أن رُسُل الله ﷺ يعصون الله عزَّ وجلَّ في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشاً الكذب في التبليغ فقط يحتجون بآيات من القرآن وأخبار وردت، فأخذ يذكر هذه الآيات وتلك الأخبار وبيَّن غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية(٣).

وللإمام ابن العربي كلام نفيس وتحقيق جيد يرد فيه على من يستشهد بالقصص التي وردت في القرآن الكريم على نسبة الكبائر إلى الأنبياء ويذكر ما ينبغي أن يكون عليه المسلم تجاه الأنبياء يقول ابن العربي «والذي أوقع الناس

---

(١) شرح المواقف ٣/ ٢٠٧.
(٢) شرح المقاصد ٢/ ١٤٣؛ شرح العقائد النسفية: ص١٣٦ ـ ١٣٧.
(٣) الفصل ٤/ ٧٢٥، وقد قام الإمام ابن حزم بالرد على هؤلاء في كل قصة يتوهم منها صدور الذنب عن كل نبي ٤/ ٨ ـ ٥١، الطبعة المحقَّقة، وكذلك فعل صاحب المواقف وشارحه وشارح المقاصد ومن قبلهما فعل ذلك الإمام الرازي في كتابه عصمة الأنبياء وكتاب الأربعين في أصول الدين والتفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب. وإن شاء الله سنتحدث عن كل نبي من الأنبياء في بحث خاص حول عصمته وإبطال كل ما ورد عنه وأثير حوله مما يتوهم وقوع المعاصي منه.

في ذلك ـ يقصد نسبة الكبائر إلى الأنبياء ـ رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب لا قدر عند الله لمن اعتمدها روايات ومذاهب ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء (صلوات الله عليهم) ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا فإن إسبال الستر على الجار والولد والأخ والقبيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت على جارك حتى لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت على أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به ولا تلوثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والعلماء والصالحين.

فإن قيل: فقد ذكر الله أخبارهم. قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما: للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده، ويستر ويفضح ويعفو ويأخذ، وليس ينبغي للعبد أن ينبز في مولاه بما يوجب عليه اللوم، فكيف بما عليه فيه الأدب والحد وإن الله (تعالى) قد قال في كتابه لعباده في بر الوالدين ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، فكيف بما زاد عليه؟ فما ظنك بالأنبياء، وحقهم أعظم، وحرمتهم آكد، وأنتم تغمسون ألسنتكم في أعراضهم، ولو قررتم في أنفسكم حُرمتهم لما ذكرتم قصتهم.

الثاني: أن الحكمة في أن الله ذكر قصص الأنبياء فيما أتوا من ذلك علماً بأن العباد سيخوضون فيها بقدر، ويتكلمون فيها بحكمة، ولا يسأل عن معنى ذلك ولا من غيره فقد ذكر الله أمرهم كما وقع، ووصف حالهم بالصدق كما جرى، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يعني أصدقه، وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، وقد وصيناكم إذا كنتم لا بدّ آخذين في شأنهم، ذاكرين قصصهم ألا تعدوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم، ولا يقولن أحدكم: قد عصى الأنبياء فكيف نحن؟ فإن ذلك كفر[1].

---

(١) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٤ ـ ١٦٣٥.

أدلة القائلين بالعصمة من الكبائر والصغائر:

هذا وقد استدل القائلون بوجوب عصمة الأنبياء من الذنوب ـ الكبائر والصغائر ـ بهذه الحجج:

الحجة الأولى: لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلًا والعقاب آجلاً، أشد من حال عصاه الأمة!! وهذا باطل؛ فصدور الذنب عنهم ـ أيضاً ـ باطل. **وبيان الملازمة**: أن أعظم نعم الله على العباد إعطاؤهم نعمة الرسالة والنبوة: وكل من كانت نعم الله (تعالى) عليه أكثر، كان صدور الذنب عنه أفحش وصريح العقل يدل عليه.

ثم يؤكده من النقل ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾(2).

الوجه الثاني: أن المحصن يرجم وغيره يجلد.

الوجه الثالث: أن العبد يحد نصف حد الحر.

فتثبت بما ذكرنا أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الأمة، إلا أن هذا باطل بالإجماع، فإن أحداً لا يجوز أن يقول: إن الرسول أحسن حالاً عند الله وأقل مرتبة ومنزلة من كل واحد من اللصوص والزناة، وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم(3).

الحجة الثانية: لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ

---

(1) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(2) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

(3) راجع للإمام الرازي: عصمة الأنبياء: ص٤١؛ الأربعين في أصول الدين: ص١١٧، ١١٨؛ والتفسير الكبير ٨/٣، وشرح المواقف للإيجي والجرجاني ٣/٢٠٦.

﴿مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ﴾[1]، حيث أمرنا الله بالتثبت والتوقف في قبول شهادة الفاسق، إلا أن هذا باطل، فإن من لم تقبل شهادته في حال الدنيا، فكيف تقبل شهادته في الأديان الباقية إلى يوم القيامة؟! وأيضاً فإنه تعالى شهد بأن محمداً ﷺ شهيد على الكل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، ومن كان شهيداً لجميع الرسل يوم القيامة، فكيف يكون بحال لا تقبل شهادته في الجنة أو في الدنيا[3].

وجاء في التفسير الكبير «أن بتقدير إقدامه على الفسق وجب أن لا يكون مقبول الشهادة لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ لكنه مقبول الشهادة، وإلا كان أقل حالاً من عدول الأمة، وكيف لا نقول ذلك وأنه لا معنى للنبوة والرسالة إلا أنه يشهد على الله (تعالى) بأنه شرع هذا الحكم وذاك، وأيضاً فهو يوم القيامة شاهد على الكل لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4].

وورد في المواقف بشرحه: «لو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع ولقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ واللازم باطل بالإجماع، ولأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل بسرعة من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين القيم القائم إلى يوم القيامة»[5]؟

الحجة الثالثة: لو صدر الذنب عنهم، لوجب زجرهم، لأن الدلائل الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة، لكن زجر الأنبياء غير جائز، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[6]، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعاً[7].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) عصمة الأنبياء: ص٤١ ـ ٤٢، الأربعين في أصول الدين: ص١١٨.

(٤) التفسير الكبير ٣/ ٨.

(٥) شرح المواقف ٣/ ٢٠٦.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٧) عصمة الأنبياء: ص٤٢؛ الأربعين: ص١١٨.

وفي شرح المواقف: «إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم وإيذاؤهم حرام إجماعاً»(١).

الحجة الرابعة: لو صدر الفسق عن سيِّدنا محمد ﷺ ـ وحاشاه ـ؛ لكنّا إما أن نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا لا يجوز، أو لا نكون مأمورين بالاقتداء به، وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢)، ولقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾(٣) ولما كان صدور الفسق يفضي إلى هذين القسمين الباطلين كان صدور الفسق عنه محالاً(٤).

ويقول الرازي في تفسيره: «إن محمداً ﷺ لو أتى بالمعصية لوجب علينا الاقتداء به فيها لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ فيفضي إلى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال، وإذا ثبت ذلك في حق محمد ﷺ ثبت أيضاً في سائر الأنبياء ضرورة أنه لا قائل بالفرق»(٥).

الحجة الخامسة: أننا مندوبون إلى الاقتداء بالأنبياء (عليهم السَّلام) وإلى الاتساء بهم في أفعالهم كلها؛ قال الله (تعالى): ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(٧)؛ فصح يقيناً أنه لو جاز أن يقع من أحد الأنبياء (عليهم السَّلام) ذنب بعمد صغيرة أو كبيرة، لكان الله (عَزَّ وجَلَّ) قد حضنا على المعاصي وندبنا إلى الذنوب، وهذا ـ كما يقول ابن حزم ـ: «كفر مجرد ممن

---

(١) شرح المواقف ٣/ ٢٠٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٤) عصمة الأنبياء: ص٤٢؛ الأربعين: ص١١٨ ـ ١١٩.
(٥) مفاتيح الغيب ٣/ ٨.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

أجازه، وعلى ذلك صح يقيناً أن جميع أفعال الأنبياء التي يقصدونها خير وحق»[1]. وقال في موضع آخر: «ولو جاز من الأنبياء (عليهم السَّلام) شيء من المعاصي فقد ندبنا إلى الاتساء بهم وبأفعالهم، لكنا قد أبيحت لنا المعاصي ولكن لا ندري لعل جميع ديننا ضلال وكفر، ولعل ما عمله (عليه السَّلام) معاص، ولقد قلت يوماً لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد: أليس من الصغائر تقبيل المرأة الأجنبية وقرصها؟ فقال نعم: فقلت له: تجوز أنه يظن بالنبي ﷺ أن يقبل امرأة غيره متعمداً؟ فقال: معاذ الله من هذا؛ ورجع إلى الحق من حينه ـ والحمد لله رب العالمين»[2].

الحجة السادسة: لو صدرت المعصية عن الأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) لوجب أن يكونوا موعودين وبعذاب الله بعذاب جهنم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]، ولكانوا ملعونين لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. وبإجماع الأمة هذا باطل، فكان صدور المعصية عنهم باطلاً فقد أجمعت الأمة على أن أحداً من الأنبياء لم يكن مستحقاً للعن ولا للعذاب فثبت أنه ما صدرت المعصية عنه[5].

الحجة السابعة: أنهم كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصي، ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[6] وتحت قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[7] ومعلوم أن هذا في غاية القبح، وأيضاً أخبر

---

(١) الفصل ٤/ ٥٤ ـ ٥٥.
(٢) المصدر السابق: ص٥٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤.
(٤) سورة هود: الآية ١٨.
(٥) عصمة الأنبياء: ص٤٢ ـ ٤٣، الأربعين في أصول الدين: ص١١٩؛ مفاتيح الغيب ٣/ ٩.
(٦) سورة الصف: الآيتان ٢ ـ ٣.
(٧) سورة البقرة: الآية ٤٤.

الله (تعالى) عن رسوله «شعيب» (عليه الصَّلاة والسَّلام) أنه برأ نفسه من ذلك فقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[1]. فما لا يليق بواحد من وعاظ الأمة كيف يجوز أن ينسب إلى الأنبياء (عليهم السَّلام)؟[2].

الحجة الثامنة: قال الله (تعالى) في صفة الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السَّلام) والأنبياء الذين استجيبت دعوتهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3] والألف واللام في صيغة الجمع تفيد العموم، فدخل تحت لفظ «الخيرات» فعل كل ما ينبغي وترك كل ما لا ينبغي، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي، وينافي صدور الذنب عنهم[4].

الحجة التاسعة: قال الله (تعالى): ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[5] فاللفظان ـ قوله: «المصطفين» وقوله: «الأخيار» ـ يتناولان جميع الأفعال والتروك، بدليل جواز الاستثناء وصحته؛ إذ يجوز أن يقال: فلان من المصطفين إلا في كذا ومن الأخيار إلا في كذا، والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل؛ فدلت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الأخيار في كل الأمور، وهذا ينافي صدور الذنب عنهم.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7]، وقال في حق الخليل إبراهيم (عليه السَّلام): ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.
(٢) عصمة الأنبياء: ص٤٣؛ الأربعين: ص١١٩؛ مفاتيح الغيب ٣/ ٩.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٤) راجع: شرح المواقف ٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧؛ الأربعين في أصول الدين: ص١١٩؛ عصمة الأنبياء: ص٤٣؛ مفاتيح الغيب ٣/ ٩.
(٥) سورة صۤ: الآية ٤٧.
(٦) سورة الحج: الآية ٧٥.
(٧) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

﴿ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]، وقال في حق الكليم موسى (عليه السَّلام) ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[3].

ولا يقال: الاصطفاء لا يمنع من فعل الذنب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4]. قسم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق لأنا نقول الضمير في قوله: «فمنهم» عائد إلى قوله: «من عبادنا» لا إلى قوله: «الذين اصطفينا» لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى[5].

الحجة العاشرة: قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[6]. حيث استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله، وهم الأنبياء (عليهم السَّلام) ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم الصَّلاة والسَّلام) أنهم من المخلصين حيث قال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[7]، وقال في حق يوسف ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[8].

فلما أقر إبليس أنه لا يغوي المخلصين وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم، وذلك يوجب القطع بعدم صدور المعصية عنهم؛ فإذا ثبت وجوب العصمة في حق البعض ثبت وجوبها في حق الكل لأنه لا قائل بالفرق[9].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

(٣) سورة صٓ: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٥) مفاتيح الغيب ٩/٣؛ عصمة الأنبياء: ص٤٤؛ الأربعين: ص١١٩، ١٢٠؛ شرح المواقف: ص٢٠٧.

(٦) سورة صٓ: الآيتان ٨٢ ـ ٨٣.

(٧) سورة صٓ: الآية ٤٦.

(٨) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٩) شرح المواقف ٢٠٦/٣؛ عصمة الأنبياء: ص٤٥؛ الأربعين: ص١٢٠ ـ ١٢١؛ مفاتيح الغيب ٩/٣.

الحجة الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فأولئك الذين ما اتبعوه وجب أن يقال: إنه ما صدر الذنب عنهم وإلا فقد كانوا متبعين له، وإذا ثبت في ذلك الفريق أنهم ما أذنبوا فذلك الفريق إما الأنبياء أو غيرهم، فإن كانوا هم الأنبياء فقد ثبت في النبي أنه لا يذنب؛ وإن كانوا غير الأنبياء، فلو ثبت في الأنبياء أنهم أذنبوا لكانوا أقل درجة عند الله من ذلك الفريق؛ فيكون غير النبي أفضل من النبي، وذلك باطل بالاتفاق، فثبت أن الذنب ما صدر عنهم[2].

وهذا الذي ذكره الرازي ورد في شرح المواقف بصيغة أوضح: «فالذين لم يتبعوه إن كانوا هم الأنبياء فذاك مطلوبنا، وإلا ـ أي وإن لم يكونوا إياهم بل كانوا غيرهم ـ فالأنبياء أيضاً لم يتبعوه بالطريق الأولى فإنهم بذلك أحرى من سائر المؤمنين، أو نقول: لو كان ذلك الفريق غير الأنبياء عليهم باطل بالإجماع فوجب القطع بأن الأنبياء لم يتبعوه ولم يذنبوا[3].

الحجة الثانية عشرة: أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين أو إلى حزبين:

الأول: حزب الشيطان كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَٰنِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾[4].

الثاني: حزب الله كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5].

ولا شكّ أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يريد الشيطان ويأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان ولصدق عليهم ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَٰنِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾، وذلك لأن المطيع من حزب الله اتفاقاً،

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٠.

(٢) مفاتيح الغيب: ٣/ ٩.

(٣) شرح المواقف ٣/ ٢٠٦.

(٤) سورة المجادلة: الآية ١٩.

(٥) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

فلو كان المذنب منه أيضاً لبطل التقسيم فيكونون ـ أي الأنبياء المذنبون ـ خاسرين، مع أن الزهاد من أحاد الأمة داخلون في حزب الله وفي المفلحين، وحينئذٍ يلزم أن يكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء وذلك ما لا يقوله مسلم حيث إنه لا شك في بطلانه[١].

الحجة الثالثة عشرة: يقول الإمام الرازي: «إن أصحابنا رحمهم الله (تعالى) بينوا أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وثابت بالدلالة أن الملائكة ما قدموا على شيء من الذنوب، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[٢]. وإنما قلنا إنه لما كان كذلك وجب أن لا يصدر الذنب عن الرسول لأنه تعالى لأنه (تعالى) وصف الملائكة بترك الذنب فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾[٤]. فلو صدرت المعصية عن الرسول لا تمنع كونه أفضل من الملك[٥].

الحجة الرابعة عشرة: قال الله (تعالى) في حق الخليل (عليه الصَّلاة والسَّلام): ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٦]، والإمام هو من يؤتم ويقتدى به، فلو صدر الذنب عنه لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً وذلك باطل حيث إنه يقضي إلى التناقض[٧].

---

(١) عصمة الأنبياء: ص٤٦؛ الأربعين: ص٢١؛ مفاتيح الغيب: ص٩ـ١٠؛ شرح المواقف ٣/٢٠٦.
(٢) سورة صٓ: الآية ٢٨.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٧.
(٤) سورة النحل: الآية ٥٠.
(٥) مفاتيح الغيب ٣/ ١٠؛ الأربعين: ص١٢١ ـ ١٢٢؛ عصمة الأنبياء: ص٤٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٧) مفاتيح الغيب ٣/ ١٠؛ عصمة الأنبياء: ص٤٦؛ الأربعين: ص١٢٢.

الحجة الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]؛ فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه؛ لقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[2].

إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذي حكم الله (تعالى) بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان المراد عهد النبوة وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين، وإن كان المراد عهد الإمامة وجب أن لا تثبت الإمامة للظالمين، وإذا لم تثبت الإمامة للظالمين وجب أن تثبت النبوة للظالمين لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماماً يؤتم به ويقتدى به والآية على جميع التقريرات تدل على أن النبي لا يكون مذنباً[3].

وبتعبير آخر فإن ذلك العهد إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثاني فالمقصود أظهر، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصي، فبأن لا يصل إليه عهد النبوة أولى لأن من لا يستحق الأدنى لا يستحق الأعلى[4].

منافاة ما ورد في هذه الروايات لعصمة الأنبياء وعصمة سيّدنا داود

وبعد أن تحدثنا عن عصمة الأنبياء وبينا أنهم معصومون من الكبائر والصغائر نود أن نعرض لما ورد في تلك الروايات من اتهامات وأقاويل ونبين منافاته لعصمة الأنبياء بوجه عام وعصمة النبي داود (عليه السَّلام) بوجه خاص:

ومن خلال ما تحتوي عليه تلك الروايات الموقوفة والمرفوعة يتبين لنا منذ الوهلة الأولى أن ما ورد فيها لا يليق نسبته إلى الأنبياء والرسل المصطفين من عند الله رب العالمين، والمكرمين من لدن حكيم خبير، ويتنافى تماماً مع

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٢) سورة فاطرة: الآية ١٣٢.
(٣) مفاتيح الغيب ٣/ ١٠.
(٤) الأربعين: ص١٢٢؛ عصمة الأنبياء: ص٤٦ ـ ٤٧؛ شرح المواقف ٣/ ٢٠٦.

ما ذكرناه وبيناه من عصمة هؤلاء الأنبياء الأبرار والرسل الأخيار، وإذا كان سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أحد هؤلاء الأنبياء والرسل ويتبوأ مكانته بينهم عند الله (تبارك وتعالى) ويتمتع لديه سبحانه بالمنزلة الكبرى، والدرجة العالية والمكانة الرفيعة ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

فإن ما ورد في هذه الروايات بجانب كونه من مفتريات وأكاذيب الإسرائيليات يتنافى مع عصمة النبي الأواب سيِّدنا داود (عليه السَّلام). وهو ما يشير إليه ابن الجوزي حين يذكر أن ما ورد في هذه الروايات لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى لأن الأنبياء منزهون عنه[١].

وسيتبين لنا ذلك من خلال بيان هذه الأمور:

الأمر الأول:

يذكر الإمام الرازي أن هذه الحكاية التي رواها المفسرون عن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) والتي ينسبون فيها صدور الكبيرة عنه (عليه السَّلام) لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها واعتبرها أمراً منكراً، والرجل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه إليها، بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكراً. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه فهو أمر لا يليق أبداً بالأنبياء الذين عصمهم الله[٢].

وفي ذلك يقول الزمخشري: «فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء»[٣].

ويقول الخازن تحت عنوان «فصل في تنزيه داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) عما لا يليق به وما ينسب إليه»: اعلم أن من خصه الله (تعالى) بنبوته وأكرمه

---

(١) زاد المسير ٧/ ١١٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٩؛ عصمة الأنبياء: ص١١١.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٦.

برسالته، وشرَّفه على كثير من خلقه، وائتمنه على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه: لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك[١].

ويذكر القاضي عبد الجبار أن ما ورد في تلك الروايات يرويه من لا معرفة له بأحوال الأنبياء ﷺ فلا معتبر به، حيث إن الله (تعالى) لا يبعث إلا من هو منزه عن هذه المعاصي حتى إنهم لا يقدمون على كبيرة ولا على صغيرة يعرفونها قبيحة[٢].

يذكر الدكتور محمد أبو شهبة أنه لا يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود (عليه السَّلام). ويرى أن مثل هذا التدبير السيء والاسترسال فيه على ما رووا لو صدر عن رجل من سوقة الناس وعامتهم لاعتبر هذا أمراً مستهجناً مستقبحاً فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس زكت نفسه، وطهرت سريرته وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم[٣]!!.

ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود ولنفرت منه الناس ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل وكيف يكون على هذه الحال من قال الله (تعالى) في شأنه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[٤].

ويقول الأستاذ سيد قطب: «وخاضت بعض التفاسير مع الإسرائيليات حول هذه الفتنة خوضاً كبيراً تتنزه عن طبيعة النبوة ولا تتفق إطلاقاً مع حقيقتها»[٥].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٥.
(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن: ص٣٠١.
(٣) راجع: الإسرائيليات والموضوعات: ص٢٧٣.
(٤) راجع: المصدر السابق.
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ٣٠١٨.

ويذهب الأستاذ أحمد مصطفى المراغي إلى «أن ما ورد في الروايات يقتضي نسبة الكبائر إلى الأنبياء، فيجب علينا أن نطرحه، إذ يبطل الوثوق بالشرائع، إلى ما فيه من مطعن لأرباب الأديان الأخرى على المسلمين، إذ نسبوا إلى الأنبياء ما يجل مقامهم عنه ويأباه عامة الناس فضلاً عن الأنبياء الذين اصطفاهم الله لرسالاته»[١]. ويرى الأستاذ عبد الكريم الخطيب: «أن ما تقول به توراة اليهود، وما تلقاه عنهم المفسرون، ودعموه بالأحاديث من أن داود وقع في حب امرأة قائد... إلخ هو قول فيه جرأة على مقام هذا النبي، الأمر الذي لا يتورع عنه اليهود مع أنبياء الله، أحياءً وأمواتاً أو قتلى بأيديهم فضلاً عن أن هذا العمل المشين مدفوع بأكثر من دفع إلى حسب ما جاء في القرآن الكريم منطوقاً ومفهوماً»[٢].

الأمر الثاني:

يذكر الإمام ابن حزم في رده لهذه القضية المفتراة على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أن أصحابها مستهزؤون وكاذبون ومتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم يقول: «وتالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره، ثم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه!! هذه أفعال السفهاء، المهتوكين، الفساق، المتمردين، لا فعل أهل البر، والتقوى، فكيف برسول الله داود ﷺ؟؟ الذي أوحى إليه كتابه، وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزهه الله (عَزَّ وجَلَّ) عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله[٣].

الأمر الثالث:

يقول الإمام أبو حيان في تعليقه على ما رواه هؤلاء القصاص: «ويعلم قطعاً أن الأنبياء (عليهم السَّلام) معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في

---

(١) تفسير المراغي ٢٢/ ١١١.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ٢٣/ ١٠٧٥.
(٣) الفصل في العلل والأهواء والنحل ٤/ ٣٩ ـ ٤٠.

شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكى الله (تعالى) في كتابه يمر على ما أراده تعالى وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه، ونحن كما قال الشاعر:

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة إذا آثر الأخبار جلاس قصاص[1]

الأمر الرابع:

إن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته:

أما الأول فأمر منكر قال ﷺ: «من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[2].

وأيضاً لو فعل ذلك لكان ظالماً فكان يدخل تحت قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وأما الثاني، فمنكر عظيم قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[4]. وإن أوريا ـ بناءً على هذه الروايات ـ لم يسلم من سيِّدنا داود لا في روحه ولا في منكوحه[5].

---

(١) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ٧/ ٣٩٣، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض.

(٢) جاء في الترغيب والترهيب للمنذري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله» رواه ابن ماجه والأصبهاني ورواه البيهقي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أعان على دم امرىء مسلم... كتب بين عينيه يوم القيامة...» ٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، دار الحديث ـ القاهرة.

(٣) سورة هود: الآية ١٨.

(٤) من حديث رواه الشيخان.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٩، ١٩١ ـ ١٩٢.

الأمر الخامس:

إن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته، فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف[1]؟ وهو أن القائلين بهذا القول ذكروا في روايتهم أن داود (عليه السَّلام) تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقال: رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله، وتمنى أن يحصل في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب، فأوحى الله إليه أنهم إنما وصلوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود (عليه السَّلام) إبتلاء، فأوحى الله إليه بأنك لمبتلًى في يوم كذا، فاحترس وبالغ في الاحتراز ثم وقع فيما وقع فيه. . . إلى آخر القصة.

يعقب الرازي على ذلك فيذكر أن أول حكايتهم يدل على أن الله (تعالى) يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب إخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة؟! وبذلك يثبت أن الحكاية التي ذكروها يناقض أولها آخرها[2].

وأن السورة من أولها إلى آخرها في محاجة منكري النبوة، فكيف يلائمها القدح في بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح[3].

الأمر السادس:

روي أن رجلاً ذكر ذلك الأمر وحكى تلك القصة عند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وكان عنده رجل من أهل الحق، فكذَّب المحدِّث وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله (تعالى) فما ينبغي أن نلتمس خلافها، وإن كان على ما ذكرت، وكفَّ الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه،

---

(١) عصمة الأنبياء: ص١١١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/١٩١؛ عصمة الأنبياء: ص١١٣ ـ ١١٤.

(٣) عصمة الأنبياء: ص١١١.

ثم إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يستر تلك الواقعة على داود (عليه السَّلام)، فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك ذلك الستر بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر، فقال عمر: «سماعي هذا الكلام أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»[(١)].

ويذكر الإمام الرازي واقعة شبيهة بهذه وقعت له فيقول: «حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يريد أن يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك، فقلت له: لا شك أن داود (عليه السَّلام) كان من أكابر الأنبياء والرسل، ولقد قال الله (تعالى): ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٢)]، ومن مدحه الله (تعالى) بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نبالغ في الطعن فيه. وأيضاً فبتقدير أنه ما كان نبياً ـ وهذا افتراض جدلي ـ، فلا شك أنه كان مسلماً، ولقد قال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير». ثم على تقدير أنا لا نلتفت إلى شيء من هذه الدلائل إلا أن نقول: إن من المعلوم بالضرورة أنه بتقدير أن تكون القصة التي ذكرتموها حقيقية صحيحة فإن روايتها وذكرها لا يوجب شيئاً من الثواب لأن إشاعة فاحشة إن لم توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب، وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة فإن ذاكرها يستحق أعظم العذاب، والواقعة التي هذا شأنها وصفتها، فإن صريح العقل يوجب السكوت عنها، فثبت أن الحق ما ذهبنا إليه وأن شرح تلك القصة محرم محظور. فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكت، ولم يذكر شيئاً»[(٣)].

الأمر السابع:

روى سعيد بن المسيّب والحرث الأعور عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه أنه قال: «من حدثني بحديث داود (عليه السَّلام) على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة»[(٤)].

---

(١) عصمة الأنبياء: ص١١٥؛ مفاتيح الغيب: ص١٩٢؛ الزمخشري: الكشاف ٣/ ٣٦٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩١.
(٤) الزمخشري: الكشاف ٣/ ٣٦٦؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٢؛ عصمة الأنبياء: ص١١٥؛ تفسير الخازن ٤/ ٣٥؛ نسيم الرياض وشرح الشفا ٤/ ١٩٤؛ تفسير أبو السعود ٤/ ٢٨٨.

وحكى السدي عنه أنه قال: «لو سمعت رجلاً يذكر أن داود (عليه السَّلام) قارف من تلك المرأة محرماً لجلدته ستين ومائة لأن حد قاذف الناس ثمانون، وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة، ذكره الماوردي والثعلبي أيضاً»[١].

وقال الثعلبي: وقال الحرث الأعور عن علي: «من حدث بحديث داود ـ على ما يرويه القصاص معتقداً ـ جلدته حدين؛ لعظم ما ارتكب برمي من قد رفع الله محله، وارتضاه من خلقه رحمة للعاملين وحجة للمجتهدين»[٢].

وممَّا يقوي هذا ـ كما يقول الرازي ـ أنهم لما قالوا إن المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك، وأما الرابع فإنه لم يقل بأني رأيت ذلك العمل، يعني: فإن عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة، لأجل أنهم قذفوا، وإذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك، فكيف الحال مع داود (عليه السَّلام) مع أنه من أكابر الأنبياء (عليهم السَّلام)[٣].

وما قاله الإمام علي رضي الله عنه اجتهاد منه (كرّم الله وجهه)، ووجهُ مضاعفة الحد على الأحرار أنهم (عليهم السَّلام) سادة السَّادة، وهو وجه مستحسن كما قال الألوسي [٤]، إلا أن الزين العراقي ذكر أن الخبر نفسه لم يصح عن الأمير (كرّم الله وجهه)[٥]. وقال ابن العربي: وهذا مما لم يصح عن علي فإن قيل: فما حكمه عندكم؟ قلنا أما من قال نبياً زنى فإنه يقتل، وأما ما نسب إليه ما دون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف نقل الناس في ذلك، فإن صمم أحد على ذلك فيه ونسبه إليه قتلته، فإنه يناقض التعزير المأمور به[٦].

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ١٨١؛ النكت والعيون تفسير الماوردي ٣/ ٤٤١.
(٢) المصدر السابق: ص١٨١.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٢.
(٤) روح المعاني ٢٣/ ١٨٥؛ حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٧/ ٣٠٧، دار صادر ـ بيروت.
(٥) حاشية الشهاب ١/ ٣٠٧؛ روح المعاني ١٨٥٢٣.
(٦) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٩. راجع أيضاً: تفسير القرطبي ٥/ ١٨١.

الأمر الثامن:

أن الله (تعالى) وصف داود (عليه السَّلام) قبل ذكر هذه القصة بصفات حميدة وكثيرة، ووصفه أيضاً بعدها بصفات كثيرة وحميدة، وكل هذه الصفات تنافي كونه (عليه السَّلام) موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

جاء في شرح المواقف أن هذه القصة على الوجه الذي اشتهرت به مختلقة أي مفتراة إذ لا يليق إدخال الذم الشنيع في أثناء المدائح العظام(١).

ويقول الخازن: إن الله (تعالى) أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم، ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء، ولقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه أثناء مدحك وإن الله (تعالى) منزه عن مثل هذا في كلامه القديم(٢).

الصفات الحميدة التي ذكرت قبل القصة:

أما الصفات الحميدة الأولى التي ذكرت قبل القصة فهي:

الصفة الأولى: وهي أنه تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يقتدي بداود (عليه السَّلام) في المثابرة والمكابدة، ولو قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرىء مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله؟

الصفة الثانية: وهي أنه وصفه بكونه عبداً له، والمقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تماماً في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات. ولو قلنا إن داود (عليه السَّلام) اشتغل

---

(١) شرح المواقف ٣/ ١٢٠. راجع: مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٩.
(٢) تفسير الخازن ٤/ ٣٥، ٣٦.

بتلك الأعمال الباطلة فحينئذٍ لا يكون داود كاملاً في عبوديته لله (تعالى) بل يكون كاملاً في طاعة الهوى والشهوة وحاشاه (عليه السَّلام)(١).

الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي ذا القوة، ولا شك أن المراد منه القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، وما استحقوا بها مدحاً، إنما المستحق للمدح هو القوة في الدين، إذ لا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات، والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن يملك نفسه عن القتل والفجور والرغبة في زوجة المسلم(٢).

الصفة الرابعة: أنه لما ثبت كونه موصوفاً بالقوة في الدين، ولا معنى للقوة في الدين إلا العزم الشديد على أداء الواجبات واجتناب المحظورات؛ فكان داود (عليه السَّلام) من أُولي العزم، وقد قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(٣)، وأمر محمداً ﷺ بالاقتداء بأُولي العزم، فإذا لم يكن داود (عليه السَّلام) من أُولي العزم ما كان قد أمر محمداً بالاقتداء به (عليهما السَّلام) وهذه درجة لا توازيها درجة(٤).

الصفة الخامسة: إنه (سبحانه) وصفه بكونه «أواباً»، والأواب هو الرجاع أو كثير الرجوع إلى الله (تعالى)، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفاً بالقتل والفجور، فيستحيل على الأواب أن يكون مواظباً على أعظم الكبائر(٥).

الصفة السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٦). أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة إلى القتل

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٩، ١٩٠.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٠؛ عصمة الأنبياء: ص١١١؛ شرح المواقف ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
(٤) عصمة الأنبياء: ص١١٢.
(٥) عصمة الأنبياء: ص١١٢؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٠؛ شرح المواقف ٣/ ٢١١.
(٦) سورة صٓ: الآية ١٨.

والفجور؟ ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾ قيل: أنه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير، فكانت الطيور تأمنه، فكيف يجوز في العقل أن تأمنه الطير ولا يأمنه المسلم على زوجته ولا ينجو منه على روحه ومنكوحه[1]؟!!

هذا من ناحية، وقد طرقها الإمام الرازي، ومن ناحية أخرى فإن من سخرت له الجبال وحشرت له الطير يسبحن معه بالعشي والإشراق، وإن من يقول ربه عنه ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ لا يمكن أن يدور بخلده ولا يطرأ على ذهنه مطلقاً أن يفعل ما يقوله عنه اليهود، وهل من بلغ تلك القمة السامقة وارتقى هذه المنزلة العالية وارتفع فوق هذه الدرجة السامية يهبط إلى هذا الدرك الأسفل من التفكير وينزل بنفسه إلى هذا المستنقع الموحل بعد أن منَّ الله عليه ورفعه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً؟!!

وحول ذلك يذكر الأستاذ أحمد بهجت: أنه ليس أبعد عن تصرفات داود (عليه السَّلام) من هذه القصة المختلفة والمريبة التي نسجتها أساطير اليهود، ويرى أن إنساناً يتصل قلبه بأبعد نجوم السماء ويتصل تسبيحه بتسبيح الكائنات والجمادات، يستحيل عليه أن يرى أو يلاحظ جمالاً بشرياً محصوراً في وجه امرأة أو جسدها. إن من يرى الجمال الأصيل في الكون ويتصل مباشرة به ويخضعه لتسبيحه يستحيل عليه أن يخضع لغريزة اقتناء امرأة. كان داود عبداً لله ـ وحده ـ ولم يكن ممكناً أن يصير عبداً لغرائزه كما تحكي الإسرائيليات عنه[2].

الصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾[3] ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شدد ملكه بالمال والعسكر مع كونه مسلماً من طريق الدنيا وبأسبابها لا من طريق الدين؛ لأن ذلك سبيل الملوك والكفار بل المراد أنه تعالى شدد ملكه بما يقوي الدين وأسباب سعادة الآخرة، والمراد أيضاً تشديد ملكه في الدنيا والدين، ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٠؛ عصمة الأنبياء: ص١١٢؛ شرح المواقف: ص٢١١.
(٢) راجع: أنبياء الله: ص٢٦٩، دار الشروق، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
(٣) سورة صٓ: الآية ٢٠.

الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[1] والحكمة: اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً، فكيف يجوز أن يقول الله (تعالى): ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ مع إصراره على ما يستنكف منه الخبيث الشيطان من مزاحمة أخلص أصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب وبأن ما ذكروه عنه باطل[2].

الصفات المذكورة بعد ذكر القصة:

وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة أو النبأ فهي:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[3]، وذكر هذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله، أما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لائقاً به[4].

يقول الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، أي وإن له يوم القيامة لزلفى ـ وهي القربة التي يقربه الله بها ويدنيه من حظيرة قدسه بسببها ـ، وحسن مرجع ـ، وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه ـ كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم وما ولوا»[5].

وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا يحيى بن آدم وحدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم

---

(١) سورة صٓ: الآية ٢٠.
(٢) عصمة الأنبياء: ص١١٢ ـ ١١٣؛ مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٠؛ شرح المواقف ٣/ ٢١١.
(٣) سورة صٓ: الآية ٢٥.
(٤) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٠.
(٥) رواه مسلم والنسائي: الترغيب والترهيب ٣/ ١٦٧.

القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر»[١].

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد بن سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قال: يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول: يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا، فيقول: وكيف وقد سلبته، فيقول: إني أرده عليك اليوم قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان[٢].

الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]. وهذا القول الكريم يدل على كذب تلك القصة من وجوه:

الوجه الأول: إن الملك الكبير إذا حكي عن بعض عبيده أنه قصد دماء الناس وأقوالهم وأزواجهم، فبعد فراغه من شرح القصة على ملأ من الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي ونيابتي، وذلك لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب الزجر والحجر، فأما جعله نائباً وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق.

الوجه الثاني: أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فلما حكى الله (تعالى) عنه تلك الواقعة القبيحة، ثم قال بعده: إنا جعلناك خليفة في الأرض؛ أشعر هذا بأن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٩٥؛ قصص الأنبياء ٢/ ٤٢٢، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: «وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق وقال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وجاء في الترغيب إن هذا الحديث رواه الترمذي والطبراني في الأوسط مختصراً وقال الترمذي: حديث حسن غريب. (الترغيب والترهيب ٣/ ١٦٧)».

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١٩٦؛ قصص الأنبياء ٢/ ٤٢٢؛ روح المعاني ٢٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) سورة صٓ: الآية ٢٦.

الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المنكرة، ومعلوم أن هذا فاسد. أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله (تعالى) فحينئذٍ يناسب أن يذكر عقيبه ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فثبت أن هذا الذي نختاره أولى[1].

وجاء في شرح المواقف أن الله سبحانه مدحه بعد قصة النعجة بأن جعله خليفة في الأرض وهذا من أجل المدايح وإذا كان الأمر كذلك لم يصح أن تحمل هذه القصة على أنها إشارة إلى القصة المشهورة في حق داود (عليه السَّلام)[2].

وعلى ذلك فإن تفويض الله (تعالى) لداود بالخلافة في الأرض بعد تمام الكلام في شرح القصة يعد من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة لأن من البعيد جدًّا أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في سفك دماء المسلمين راغباً في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقيبه أن الله (تعالى) فوض خلافة الأرض إليه[3].

جاء في البحر المحيط: أنَّ جَعْله (تعالى) داود خليفة في الأرض يدل على مكانته (عليه السَّلام) واصطفائه ويدفع في صدر من نسب إليه شيئاً مما لا يليق بمنصب النبوة[4].

هذا خطاب من الله (تعالى) مع داود، والمراد ولاة الأمور وحكام الناس فهي وصية من الله (عَزَّ وجَلَّ) لهم أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده (تبارك وتعالى) لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وضل عن سبيله يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد وقد كان داود (عليه السَّلام) هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل، وكثرة

---

(١) عصمة الأنبياء: ص١١٣؛ مفاتيح الغيب: ص١٩٠ ـ ١٩١؛ شرح المواقف: ص٢١١.
(٢) شرح المواقف: ص٢١١.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٩.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٣٩٥.

العبادة وأنواع القربات، حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً كما قال (تعالى): ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1].

فقوله (تعالى): ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أمر بالديمومة وتنبيه لغيره ممن ولي أمور الناس، فمن حيث هو معصوم لا يحكم إلا بالحق أمر أولاً بالحكم، ولما كان الهوى قد يعرض لغير المعصوم أمر باجتنابه وذكر نتيجة اتباعه وهو إضلاله عن سبيل الله[2].

وعلى نحو هذا يخرج النبي ـ فيما يقول الألوسي ـ في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ فإن اتباع الهوى مما لا يكاد يقع من المعصوم. وظاهر السياق أن المراد ولا تتبع هوى النفس في الحكومات، وعمم بعضهم فقال: أي في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا[3].

وفيه: أن اتباع الهوى وحكمه بغير ما شرع الله (تعالى) غير مناسب لمقامه لا سيما وقد أخبر الله (تعالى) قبل الإخبار بمسألة المتحاكمين أنه آتاه الحكم وفصل الخطاب فليس هذا إلا إرشاداً لما يقتضيه منصب الخلافة وتنبيهاً لمن هو دونه (عليه السَّلام)[4].

الوجه الثالث: وهو أنه لما كانت مقدمة الآية دالة على مدح داود (عليه السَّلام) وتعظيمه، ومؤخرتها أيضاً دالة على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعايب لجري مجرى أن يقال: فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق، وقد جعله الله خليفة في أرضه وصوب أحكامه، وكما أن هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا، ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب العيوب[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٩٧؛ قصص الأنبياء ٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣.
(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٥.
(٣) روح المعاني ٣/ ١٨٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩١.

الأمر التاسع:

أن داود (عليه السَّلام) قال للخصمين: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾. وقد خصَّ سيِّدنا داود الخلطاء ببغي بعضهم على بعض مع أن غير الخلطاء قد يفعلون ذلك، لأن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك لأنهما إذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الأشياء النفيسة إذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك إلى زيادة المخاصمة والمنازعة، فلهذا السبب خص داود (عليه السَّلام) الخلطاء بزيادة البغي والعدوان ثم استثنى من هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن مخالطة هؤلاء لا تكون إلا لأجل الدين وطلب السعادات الروحانية فلا جرم مخالطتهم لا توجب المنازعة، وأما الذين تكون مخالطتهم لأجل حب الدنيا لا بد وأن تصير مخالطتهم سبباً لمزيد البغي والعدوان(١).

يقول الإمام الرازي «اعلم أن هذا الاستثناء يدل على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يبغي بعضهم على بعض، فلو كان داود (عليه السَّلام) قد بغى وتعدَّى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود أن لا يكون هو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومعلوم أن ذلك باطل، فثبت أن قول من يقول المراد من واقعة النعجة قصة داود قول باطل»(٢).

❏❏❏

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٧/٢٦.

(٢) المصدر السابق ١٩٧/٢٦؛ عصمة الأنبياء: ص١١٤.

المبحث الخامس

الاتجاه الثاني في تفسير فتنة داود
«القائلون بارتكابه (عليه السَّلام) للصغيرة» وبطلان قولهم

تمهيد:

وبعد أن تبين لنا بطلان هذه الروايات من ناحية السند وأنها من مناكير وأكاذيب الإسرائيليات، وفسادها من ناحية المتن حيث إنها تتنافى تماماً مع عصمة الأنبياء والرسل، وإذا كان داود (عليه السَّلام) من هؤلاء الأنبياء والرسل فإن ما ورد في حقّه وما نسب إليه في هذه الروايات لا يليق به كنبي ولا يتفق مع العصمة التي أنعم الله بها عليه كرسول.

بعد أن تبين لنا ذلك في المبحثين السابقين نود في هذا المبحث أن نعرض للاتجاه الثاني في تفسير الفتنة التي استغفر منها داود ربه وخر راكعاً وأناب.

وسنرى أن أصحاب هذا الاتجاه يقولون بأن الآيات الكريمة تفيد ارتكاب سيِّدنا داود (عليه السَّلام) للصغيرة وفسروا فتنته (عليه السَّلام) الواردة في القصة القرآنية بعدة تفسيرات داخل هذا الإطار.

وسنلاحظ على هؤلاء القائلين أنهم بالرغم من اتفاقهم على رفض الروايات الموقوفة والمرفوعة وبيان بطلانها وفساد القول بها وينكرون وقوع الكبيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بالرغم من ذلك فإننا نجدهم لا يرفضون الروايات رفضاً باتاً وإنما يقومون بتلطيفها وتخفيف ما ورد فيها ويحاولون التوفيق بين ما فيها من افتراءات وبين ما يؤمنون به من عصمة الأنبياء وتنزيه المرسلين وينتهون إلى أن سيِّدنا داود لا بد أن يكون قد ارتكب ذنباً وأن هذا

الذنب ليس بكبيرة من الكبائر وإنما هو صغيرة من الصغائر وأن هذه الصغيرة لا تقدح في عصمته كنبي ولا تنال من درجته كرسول.

والعجيب أنهم يصرون على أن هذا الذنب يتعلق بامرأة ويتصل بالنساء وتتراوح نظراتهم في تقدير هذا الذنب وتحديده بالنسبة للمرأة ما بين قائل بأنه خطب امرأة أوريا وهي مخطوبة له، وقائل بأنها كانت زوجة له وفي عصمته ورآها داود فأعجب بها لكنه طلب منه التنازل عنها فطلقها حتى صارت زوجاً له فاستوجب هذا الفعل العتاب من ربه إلى آخر ما سنجد من مبررات وتأويلات للتدليل على ما يذهبون إليه من آراء وأقوال.

وسوف نلاحظ أيضاً أن المرأة المذكورة في التوراة والتي ذكرت في الروايات الموقوفة والمرفوعة هي نفسها المشار إليها عند هؤلاء المبررين أو الملطفين ولكنهم هنا خففوا الأمر فبدلاً من كونها زوجة هناك تكون هنا مخطوبة وبدلاً من قتل زوجها والاحتيال في قتله هناك نجد هنا الطلب من الزوج التنازل عنها أو إحساس بالسعادة وشعور بالسرور لقتله أو تبييت النية لقتله والتخلص منه، ولكنه يموت وحده إلى آخر ما سنجد من صور، أستطيع أن أقول مقدماً: إنها لن يرضى عنها القارىء ولن يتقبلها في حق النبي الأواب سيِّدنا داود (عليه السَّلام).

أصحاب الاتجاه الثاني
(وهم القائلون بما يوجب وقوع الصغيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) ولا يوجب وقوع الكبيرة)

لقد تعددت آراء القائلين بهذا القول وتنوعت الوجوه التي بنوا عليها آراءهم وكلها تفيد أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد ارتكب الصغيرة.

وهذه الوجوه هي:

الوجه الأول:

ويتلخص في أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد خطب هذه المرأة على خطبة أوريا، فكان ذنبه أنه خطب على خطبة أخيه المؤمن مع علمه

بذلك من ناحية، وكثرة نسائه من ناحية أخرى، وهناك من يرى أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) لم يكن يعلم بخطبتها.

يذكر القرطبي أن المفسرين قد اختلفوا في الذنب الذي استغفر منه داود، ومن هذه الأقوال أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليه فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته، فاغتم لذلك أوريا فعتب الله على داود إذ لم يتركها وهي واحدة لخاطبها وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة[١].

وجاء في «روح المعاني» للألوسي أن أوريا لم يكن قد تزوجها بل كان قد خطبها، ثم خطبها داود فآثره (عليه السَّلام) أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن، وفي بعض الآثار أنه فعل ذلك ولم يكن عالماً بخطبة أخيه فعوتب على ترك السؤال هل خطبها أحد أو لا؟[٢].

يقول الكيا الطبري في أحكامه: ذكر المحققون الذين يرون تنزيه الأنبياء (عليهم السَّلام) عن الكبائر، أن داود (عليه السَّلام) كان قد أقدم على خطبة امرأة قد خطبها غيره، يقال: هو أوريا، فمال القوم إلى تزويجها من داود راغبين منه، وزاهدين في الخاطب الأول ولم يكن بذلك داود عارفاً، وقد كان يمكنه أن يعرف ذلك فيعدل عن هذه الرغبة، وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك حيث أعجب بها إما وصفاً أو مشاهدة على غير تعمد، وقد كان لداود (عليه السَّلام) من النساء العدد الكثير وذلك الخاطب لا امرأة له، فنبهه الله (تعالى) على ما فعل بما كان من تسور الملكين، وما أورداه من التمثيل على وجه التعريض لكي يفهم من ذلك موقع العتب ليعدل عن هذه الطريقة ويستغفر ربه من هذه الصغيرة[٣].

ويذكر القاضي عبد الجبار أن الصحيح في تفسير الآيات المذكورة أن تلك المرأة التي رغب فيها داود (عليه السَّلام) قد صارت أيما بلا زوج فخطبها،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٨٠ ـ ١٨١. راجع أيضاً: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٥٥.
(٢) روح المعاني ٢٣/ ١٨٥.
(٣) عماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراس ٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦، تحقيق موسى محمد علي د/ عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة بمصر، بدون تاريخ.

وكان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت إليه ولم يفتش عن ذلك فصار ذلك ذنباً صغيراً وعلى هذا الوجه نهى ﷺ أن يخطب المرء على خطبة أخيه ويدل على ذلك قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ فنبه بذلك على ما ذكرناه، وإنما عاتبه الله (تعالى) ونبهه من حيث صار غافلاً عن خطبة متقدمة كان يمكنه أن يفتش عنها فلا يقدم على الخطبة بعد تلك الخطبة[١].

ويذكر ابن الجوزي أن القاضي أبا يعلى قد اختار هذا القول، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ قال: فدل هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج الآخر، فعوتب داود (عليه السَّلام) لشيئين ينبغي للأنبياء التنزه عنهما: **أحدهما**: خطبته على خطبة غيره، **والثاني**: الحرص على التزويج مع كثرة نسائه ولم يعتقد ذلك معصية، فعاتبه الله عليها[٢].

ويرى العلَّامة سعد الدين التفتازاني أنه لم يثبت في قصة داود (عليه السَّلام) سوى أنه خطب امرأة كان خطبها أوريا فزوجها أولياؤها داود دون أوريا[٣]. ولا أدري من أين استقى التفتازاني هذا الكلام وعلام اعتمد في إثباته حتى يقول: فلم يثبت سوى ذلك.

ويرى الإمام أبو بكر بن العربي أن قول البعض ـ إنه خطب على خطبة أوريا فمال إليها ولم يكن بذلك عارفاً ـ قول باطل يرده القرآن الكريم والآثار التفسيرية كلها[٤].

الوجه الثاني:

ويتلخص هذا الوجه في أنهم قالوا: إن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد وقع بصره على هذه المرأة فمال قلبه إليها وافتتن بها، وكان هذا هو كل ذنبه الذي استغفر منه ربه.

---

(١) راجع: تنزيه القرآن عن المطاعن: ص٣٠١، المكتبة الأزهرية بمصر، ١٣٢٩هـ.
(٢) راجع: زاد المسير في علم التفسير ٧/ ١١٦.
(٣) راجع: شرح المقاصد ٢/ ١٤٤.
(٤) راجع: أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٩. راجع أيضاً: شرح الشفا للإمام أبي علي القاري ٤/ ١٩٣. راجع أيضاً: نسيم الرياض ٤/ ١٩٣.

جاء في كتب التفسير أن من أقوال المفسرين في الذنب الذي استغفر منه داود (عليه السَّلام) قولهم: إنه نظر إلى المرأة حتى شبع منها. ونقل عن سعيد بن جبير قوله: إنما كانت فتنته النظرة، وقال أبو إسحاق: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة لكنه عاود النظر إليها فصارت الأولى له والثانية عليه[١].

وجاء في «زاد المسير» لابن الجوزي أنه لما وقع بصره عليها أشبع النظر إليها حتى علقت بقلبه[٢].

يقول ابن العربي: «وأما من قال إنه نظر إليها حتى شبع» فلا يجوز ذلك عندي بحال: لأن طموح البصر لا يليق بالأولياء المتجردين للعبادة، فكيف بالأنبياء الذين هم الوسائط المكاشفون بالغيب[٣].

ثم ذكر رواية أشهب عن مالك قال: بلغني أن الحمامة أتت فوقفت قريباً من داود، وهي من ذهب، فلما رآها أعجبته، فقام ليأخذها، ففرت من يده،ثم صنع مثل ذلك مرتين، ثم طارت فأتبعها بصره، فوقعت عينه على تلك المرأة وهي تغتسل ولها شعر طويل، فبلغني أنه قام أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأما النظرة الثانية فلا أصل لها[٤].

---

(١) أحكام القرآن ٤/١٦٣٨؛ تفسير القرطبي ١٥/١٨٠؛ مفاتيح الغيب ٢٦/١٩٢، وغيرها من التفاسير.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٧/١١٦؛ النكت والعيون للماوردي ٣/٤٤٣، حقَّقه خضر محمد خضر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. والعجيب أن الإمام ابن القيم (رحمه الله) يقول في كتابه «الداء والدواء»: «فنكاح المعشوقة هو دواء العشق الذي جعله الله دواء شرعاً، وقد تداوى به داود ﷺ، ولم يرتكب نبي الله محرماً، وإنما تزوّج المرأة وضمّها إلى نسائه لمحبّته لها، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلوّ مرتبته، ولا يليق بنا المزيد على هذا»، ويقول أيضاً: «وهذا داود (عليه السَّلام) كان عنده تسع وتسعون امرأة فأحب تلك المرأة وتزوجها فكمل المائة». «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ص٢٦٠، ٢٦١، مكتبة الإيمان ـ المنصورة، مصر.

(٣) أحكام القرآن ٤/١٦٣٨ ـ ١٦٣٩.

(٤) المصدر السابق.

ويقول القرطبي: «فأما قولهم: إنه وقع بصره على امرأة تغتسل عريانة، فلما رأته أسبلت شعرها فسترت جسدها، فهذا لا حرج عليه فيه بإجماع من الأمة، لأن النظرة الأولى تكشف المنظور إليه ولا يأثم الناظر بها، فأما النظرة الثانية فلا أصل لها»[١].

ويرد الإمام الرازي على من يقول بهذا القول كنوع من الحجاج له فيذكر أن قولهم إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها ليس له في هذا ذنب البتة، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب أيضاً وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً لأن هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفاً به[٢].

ومن الواضح أن أصحاب هذا الوجه الذين يفسرون ذنب داود (عليه السَّلام) بأنه نظر إلى المرأة التي كانت تغتسل إلخ لم يستندوا إلى دليل واحد في قولهم، وهم قد اخترعوا هذا القول كنوع من التلطيف والتخفيف في قصة المرأة المشهورة فوجدوا أن النظر هو ذنبه الذي استغفر منه. بل إن بعضهم يزعم أنه كان في عبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وهو نظر مباح فمالت نفسه ميلاً طبيعياً إليها فشغل عن بعض نوافله فعوتب لذلك[٣].

وهكذا فإنهم لا يريدون أن يخرجوا في تفسير الذنب عن دائرة المرأة والنساء دون أن يكون لديهم سند واحد في قولهم.

الوجه الثالث:

وأما الوجه الثالث فهو قولهم إنه لما اتفق أنه قتل زوج المرأة لم يتأذ سيِّدنا داود (عليه السَّلام) تأذياً عظيماً بسبب قتله لأجل أنه طمع أن يتزوج بتلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ص١٥، ١٨١، راجع ابن العربي: أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٦.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٢.
(٣) حكى هذا الزعم الإمام الألوسي بصيغة «قيل» ضمن الأقوال التي ذكرها في تفسيره روح المعاني ٢٣/ ١٨٥.

الرجل[1]. ذكر كل من القرطبي والبغوي أن القائلين من المفسرين بتنزيه الأنبياء في هذه القصة رأوا أن ذنب داود (عليه السَّلام) إنما كان أن تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت، فهي عظيمة عند الله[2].

وقيل ـ في هذا الوجه أيضاً ـ إنه أضمر في نفسه إن قتل أوريا تزوج بها وإليه مال ابن حجر في تحفته كما يقول الألوسي[3].

وجاء في معالم التنزيل للبغوي أن بعضهم قد ذكر أنه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر[4].

وجاء في نسيم الرياض أن الذي عتب الله عليه سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أنه أحب بقلبه أن يستشهد أوريا ليتزوج بامرأته لا أنه صرح به وباشر أسبابه، وهو ميل قلبي لا يؤاخذ به لأنه خطر بقلبه أنه لو استشهد تزوجها لأنها أعجبته[5].

وذكر صاحب شرح الشفا أنه قيل بل أحب بقلبه وهذا مما لا يعرفه غير ربه أن يستشهد أي أوريا ليأخذ امرأته بعده ولعله كان خطرة من غير إصرار عليه[6].

ويذكر ابن العربي أن قولهم: إنه نوى إن مات زوجها تزوجها فلا شيء فيه إذ لم يعرضه للموت[7].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ١٨١؛ تفسير البغوي ١/ ٥٤ ـ ٥٥. راجع أيضاً: الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧؛ قصص الأنبياء المسمَّى بالعرائس للثعلبي: ص١٥٨.
(٣) روح المعاني ٢٣/ ١٨٥. راجع أيضاً: النكت والعيون تفسير الماوردي ٣/ ٤٤٣.
(٤) ٤/ ٥٣.
(٥) نسيم الرياض ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٦) شرح الشفا ٤/ ١٩٣.
(٧) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٩. راجع: تفسير القرطبي ١٥/ ١٨١.

الوجه الرابع:

وأما الوجه الرابع في تفسير القصة على تقدير ارتكاب الصغيرة فهو كما صوره الرازي بقوله: «كان أهل زمان داود (عليه السَّلام) يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته حتى يتزوجها، وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة فاتفق أن عين داود (عليه السَّلام) وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأل زوجها النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقيل له: هذا وإن كان جائزاً في ظاهر الشريعة إلا أنه لا يليق بك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين[(١)].

ويشير الألوسي إلى هذا الرأي فيذكر أنه قيل إنه (عليه السَّلام) رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمني قومه ـ وفي بعض الآثار أنه وزيره ـ، فمال قلبه إليها، فسأله أن يطلقها، فاستحيا أن يرده، ففعل فتزوجها وهي أم سليمان، وكان ذلك جائزاً في شريعته، معتاداً فيما بين أمته، غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وقد كان الرجل من الأنصار في صدر الإسلام بعد الهجرة إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين، لكنه (عليه السَّلام) لعظم منزلته وارتفاع مرتبته، وعلو شأنه، نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه، بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعي ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به[(٢)].

وقد روي هذا القول عن الإمامين عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)؛ ورد في تفسير الطبري عن مسروق قال: قال عبد الله في قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ ما زاد داود على أن قال انزل لي عنها. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد على أن قال انزل لي عنها[(٣)]. وجاء في

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٣.

(٢) روح المعاني ٢٣/ ١٨٥.

(٣) جامع البيان ٢٣/ ١٤٤، دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

معالم التنزيل للبغوي أنه روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأة[١]. وقال أبو جعفر النحاس: فأما قول العلماء الذين لا يدفع قولهم ـ منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس ـ فإنهم قالوا: ما زاد داود (صل الله على نبينا وعليه) على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك. قال أبو جعفر: فعاتبه الله عزَّ وجلَّ على ذلك ونبهه عليه، وليس هذا بكبير من المعاصي، ومن تخطى إلى غير هذا فإنما يأتي بما لا يصح عن عالم، ويلحقه فيه إثم عظيم، كذا قال: في كتاب «إعراب القرآن». وقال: في كتاب «معاني القرآن» له بمثله[٢]. قال (رضي الله عنه): قد جاءت أخبار وقصص في أمر داود (عليه السَّلام) وأوريا وأكثرها لا يصح ولا يتصل إسناده ولا ينبغي أن يجترأ على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها، وأصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: ما زاد داود (عليه السَّلام) على أن قال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾، أي أنزل لي عنها[٣]. وروى المنهال عن سعيد بن جبير قال: ما زاد داود ﷺ على أن قال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾، أي تحول لي عنها وضمها إليَّ. قال أبو جعفر: فهذا أجل ما روي في هذا. والمعنى عليه أن داود (عليه السَّلام) سأل أوريا أن يطلق امرأته، كما يسأل الرجل الرجل أن يبيعه جاريته، فنبهه الله (عزَّ وجلّ) على ذلك، وعاتبه لما كان نبياً وكان له تسع وتسعون أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا بالتزيد منها، فأما غير هذا فلا ينبغي الاجتراء عليه[٤].

قال أهل التفسير: كان ذلك مباحاً لهم غير أن الله (تعالى) لم يرض له ذلك لأنه كان ذلك منه رغبة في الدنيا وازدياداً للنساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها[٥].

---

(١) معالم التنزيل ١/ ٥٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٧٥.
(٣) جاء في مجمع الزوائد للهيثمي أن قول ابن مسعود المشار إليه رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف ٧/ ٩٩.
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٥) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٥٣.

ومن أهل التفسير هؤلاء الذين حملوا راية هذا الرأي وتحمسوا له ودافعوا عنه مفسرون قدامى أذكر منهم: الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وابن العربي (٥٤٤هـ) والبيضاوي (٦٩١هـ) والخازن (٧٤١هـ) وأبا السعود (ت٨٩٣هـ). ومفسرون محدثون أختار منهم (الشوكاني ت١٢٥٠هـ) وابن عاشور (تولى القضاء ١٣٣١هـ).

الزمخشري:

يذكر الزمخشري بعد أن بين بطلان نسبة الكبيرة إلى سيِّدنا داود أن الذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته (عليه السَّلام) ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب حيث إن أهل زمان داود (عليه السَّلام) كان يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته إذا أعجبته فيتزوجها، وقد روى مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود (عليه السَّلام) على امرأة أوريا فأعجبته، فسأله إيثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها، فتزوجها وأولدها سليمان، فقيل له: إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى[١].

ثم نبه الزمخشري على مجيء الإنكار على سيِّدنا داود والعتاب له على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكناً من قلبه، وأعظم أثراً فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه، وادعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحاً مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة[٢].

ثم يقول الزمخشري: ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا جاءت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأمَّلها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له، لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله ومقياساً لشأنه، فيتصور قبح

---

(١) راجع: الكشاف ٣/ ٣٦٥.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٣٦٦.

ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد من حجاب الحشمة.

وبين الزمخشري أن ذلك كان على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ حتى يكون محجوباً بحكمه ومعترفاً على نفسه بظلمه[١].

فإن قلت ما معنى ذكر النعاج؟ يجيب الزمخشري بقوله: كان تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً، لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا، وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود (عليه السَّلام) والاحتفاظ بحرمته.

ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة، ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها، وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، والدليل عليه قوله ـ «وإن كثيراً من الخلطاء» وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة[٢].

فإن قلت: الملائكة (عليهم السَّلام) كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم؟ **يقول الزمخشري**: هو تصوير للمسألة وفرض لها فصورها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل[٣].

فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى؟ **يجيب الزمخشري بقوله**: يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة، والمعنى وصفها بالعرافة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها، ألا ترى إلى وصفهم لها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٦٩.

(٣) زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما، فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمر سبد ولا لبد، وتقول أيضاً في تصويرها لي أربعون شاة ولك أربعون وخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها (الكشاف ٣/ ٣٦٩).

بالكسول والمكسال وقوله: فتور القيام قطيع الكلام، وقوله: تمشي رويداً تكاد تنغرف[١].

فإن قلت: ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام؟ **قلت**: قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة، وأن يكره إليهم الظلم واعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم، وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطة وأن له في أكثر الخلطاء أسوة[٢].

ابن العربي:

وأما القاضي ابن العربي فإنه بعد أن قام بإبطال الاتجاه الأول ورد على القائلين به والزاعمين بأن داود (عليه السَّلام) قد ارتكب الكبيرة أخذ يفسر القصة الواردة في القرآن الكريم بشأن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) بقوله: «وإنما كان من الأمر أن داود قال لبعض أصحابه: انزل لي عن أهلك، وعزم عليه في ذلك، كما يطلب الرجل من الرجل الحاجة برغبة صادقة كانت في الأهل أو المال[٣].

ثم يستشهد بقول سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف حين آخى الرسول ﷺ بينهما: ولي زوجتان، أنزل لك عن إحداهما وما يجوز فعله ابتداء يجوز طلبه[٤].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٧١.
(٣) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٦.
(٤) المصدر السابق، ولقد حاول البعض ومنهم ابن العربي وغيره ممن سيأتي قولهم أن يخلطوا بين ما يزعمون من أن داود قد طلب المرأة من زوجها وأن ذلك كان عادة في عصره، وبين ما روي عن الأنصار والمهاجرين ويقولون إنهم كانوا يتنازلون لبعضهم عن الزوجات والحقيقة أن ذلك لم يحدث، وكل ما روي في ذلك فإنما هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنه قد دعا لمن عرض عليه بالبركة في ماله وأهله ولم يأخذ منه شيئاً.

ثم يقول ابن العربي: وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان، فعن من يروي هذا ويسند؟ وعلى من نقله يعتمد؟ وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد، ثم يستدرك على ذلك بقوله: أما إن في سورة الأحزاب نكتة تدل على أن داود قد صارت له المرأة زوجة وذلك قوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾(١). يعني في أحد الأقوال تزويج المرأة التي نظر إليها، كما زوج النبي ﷺ بعده بزينب بنت جحش(٢)، إلا أن تزويج زينب كان من غير سؤال للزوج في فراق، بل أمره بالتمسك بزوجتيها.

وكان تزويج داود المرأة بسؤال زوجها فراقها، فكانت هذه العنقبة لمحمد ﷺ على داود مضافة إلى مناقبه العلية، ولكن قد قيل إن معنى قوله (تعالى) ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ تزويج الأنبياء بغير صداق من وهبت نفسها من النساى بغير صداق، وقيل: أراد به أن الأنبياء فرض لهم ما يتمثلونه في النكاح وغيره وهذا أصح الأقوال(٣).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

(٢) هناك كثيرون من المفسرين وغيرهم من يخلط بين قصة السيدة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وتزويج الله سبحانه وتعالى لها من رسول الله ﷺ وبين القصة المزعومة عن سيدنا داود (عليه السَّلام)، ومن فهم قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب رضي الله عنها أدرك من أول وهلة أنه لا صلة بينها مطلقاً وبين القصة المفتراة على سيدنا داود (عليه السَّلام). وسأقوم بعون الله بكتابة بحث خاص عن تزويج النبي ﷺ بالسيدة زينب وعلاقة ذلك بإلغاء التبني وإبطال ما ورد في الإسرائيليات وما نعق به المستشرقون والمبشرون فأسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، والحمد لله فقد كتبت بحثاً بعنوان: جهود العلماء المعاصرين في نقص مزاعم المستشرقين والمنصرين حول زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش وقدّمته إلى المؤتمر السنوي لكلية الشريعة جامعة الشارقة بعنوان «الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم»، بتاريخ ٤ ـ ٥ مايو ٢٠٠٥م، وتمّ نشره ضمن أعمال المؤتمر من الجزء الثاني من كتاب الوقائع، أصدره مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة ٢٠٠٦م، سلسلة النشر العلمي (٣٦).

(٣) أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٧.

وينتهي ابن العربي إلى أن الذنب الذي أخبر الله عنه هو سؤال سيِّدنا داود (عليه السَّلام) زوجة وعدم القناعة بما كان من عدد النساء عنده، والشهوة لا آخر لها، والأمل لا غاية له، فإن متاع الدنيا لا يكفي الإنسان وحده في ظنه، ويكفيه الأقل منه، والذي عتب الله فيه على داود تعلق باله إلى زوج غيره، ومد عينه إلى متاع سواه حسبما نص الله عنه(١).

البيضاوي:

يذهب القاضي البيضاوي في تفسير قصة الآيات الخاصة بسيِّدنا داود (عليه السَّلام) إلى أن أقصى ما فيها الإشعار بأنه (عليه الصَّلاة والسَّلام) ودَّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه(٢).

يفسر شهاب الدين خفاجي قول البيضاوي هذا بأنه ليس في هذه القصة ما يضر بمقام النبوة، فإن ما ذكر فيه محصله ما ذكر وليس فيه ما يخالف الشرع ولكنه من أجل عصمته رآه منكراً فلذا استغفر ربه وتاب(٣).

وقد يظن أن البيضاوي بذلك القول لا يعد من المفسرين الذين فسروا ارتكاب الصغيرة من داود بأنه طلب امرأة من زوجها وعلى هذا فليس لقوله هنا مجال.

لكن من يقرأ ما ورد بعد ذلك من كلامه وما ذكره الشهاب صاحب الحاشية يجد أنه يدخل معنا في هذا الإطار.

يذكر الشهاب أن ما وقع في رواية بعض القصاص من إسناد ما لا يليق بالأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) إليهم إما مفتري أو مؤول(٤).

---

(١) المصدر السابق ٤/ ١٦٣٩.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٣٠٨، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٣) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧، دار صادر ـ بيروت.

(٤) حاشية الشهاب ٧/ ٣٠٧.

فلذا قال البيضاوي: «وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان إن صح غلطه خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى، وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل زوجها هراءً وافتراءً»[(١)].

الخازن:

بعد أن بين الخازن بطلان ما ورد في هذه القصة من نسبة الكبيرة إلى سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وتنزيهه عن ذلك عرض لهذا التساؤل: فإن قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾[(٢)]. ويجيب الخازن عليه بقوله: ليس في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك، وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها، فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله (تعالى) على ذلك وغفره لهم كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين[(٣)].

فإن قلت: فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الآية، **قلت**: ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود (عليه الصَّلاة والسَّلام) ما زاد على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله (تعالى) على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا[(٤)].

أبو السعود:

بعد أن قام العلَّامة أبو السعود بإبطال ما ورد في الإسرائيليات بشأن سيِّدنا

---

(١) أنوار التنزيل ٢/٣٠٨.
(٢) سورة صٓ: الآية ٢٤.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/٣٥ ـ ٣٦، دار الفكر.
(٤) المصدر السابق.

داود (عليه السَّلام) ذكر أن أصل القصة هو أن داود (عليه السَّلام) رأى امرأة رجل يقال له أوريا فمال قلبه إليها، فسأله أن يطلقها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان ويبرر ذلك بأنه كان جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته[١].

ويواصل المغالطة أيضاً حينما يستشهد بما كان الأنصار في صدر الإسلام يفعلونه حيث كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير كما يقول، وهو في هذا يقول ما قاله ابن العربي والبيضاوي وغيرهما.

ثم يذكر أبو السعود أن داود (عليه السَّلام) لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به[٢].

الشوكاني:

ومن المفسرين المحدثين الذين اختاروا هذا الرأي الإمام الشوكاني الذي يرى أن الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضاً لداود (عليه السَّلام) أنه طلب من زوج المرأة الواحدة أن ينزل له عنها ويضمها إلى نسائه.

ويذكر أن ذلك لا ينافي العصمة الكائنة للأنبياء، فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بإرسال ملائكته إليه ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر وتاب وقد قال الله (سبحانه): ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[٣]، وهو أبو البشر وأول الأنبياء، ووقع لغيره من الأنبياء ما قصه الله علينا في كتابه،

---

(١) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٧/ ٢٨٧، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، المطبعة المصرية بالأزهر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة طه: الآية ١٢١.

ثم أخبر (سبحانه) أنه قبل استغفاره وتوبته فقال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾، أي ذلك الذنب الذي استغفر منه[1].

ابن عاشور:

ومن المفسرين المعاصرين أيضاً الإمام الطاهر ابن عاشور الذي يرى أن سوق هذا النبأ عقب التنويه بداود (عليه السَّلام) ليس إلا تتميماً للتنويه به لدفع ما قد يتوهم أنه ينقض ما ذكر من فضائله مما جاء في كتاب صموئيل الثاني من كتب اليهود في ذكرى هذه القصة من أغلاط باطلة تنافي مقام النبوة فأريد بيان المقدار الصادق منها وتذييله بأن ما صدر عن داود (عليه السَّلام) يستوجب العتاب ولا يقتضي العقاب، ولذلك ختمت بقوله (تعالى) ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[2].

ويذهب إلى أن هذا النبأ الذي تضمنته الآية يشير به القرآن الكريم إلى قصة تزوج داود (عليه السَّلام) زوجة أوريا الحثي من رجال جيشه وكان داود رآها فمال إليها ورام تزوجها فسأله أن يتنازل له عنها، وكان في شريعتهم مباحاً أن الرجل يتنازل عن زوجه إلى غيره لصداقة بينهما فيطلقها ويتزوجها الآخر بعد مضي عدتها وتحقق براءة رحمها كما كان ذلك في صدر الإسلام[3].

ويذكر أن زوجها أوريا قد خرج في إحدى الغزوات وقتل في الحرب وكان اسم المرأة (بتشبع بنت أليعام وهي أم سليمان) ويرى أن القرآن الكريم قد حكي القصة اكتفاءً بأن نبأ الخصمين يشعر بها لأن العبرة بما أعقبه نبأ الخصمين في نفس داود فعتب الله على داود أن استعمل لنفسه هذا المباح، فعاتبه بهذا المثل

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١/ ٤٢٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ٢٢/ ٢٣٧.

(٣) لا يزال الربط قائماً بين ما وقع من داود (عليه السَّلام) حسب زعمهم وبين ما وقع بين الأنصار والمهاجرين وإنه لأمر غريب.

المشخص، أرسل إليه ملكين نزلا من أعلى سور المحراب في صورة خصمين وقصا عليه القصة، وطلبا حكمه وهديه، فحكم بينهما بما ورد في الآيات لتكون تلك الصورة عظة له، ويشعر أن كان الأليق بمقامه أن لا يتناول هذا الزواج وإن كان مباحاً لما فيه من إيثار نفسه بما هو لغيره، ولو بوجه مباح لأن الشعور بحسن الفعل أو قبحه قد لا يحصل عليه حين يفعله، فإذا رأى أو سمع أن واحداً عمله شعر بوصفه[١].

هذا وقد اعتنق هذا الرأي أيضاً بعض العلماء من غير المفسرين أذكر منهم القاضي عياض والعلّامة التفتازاني.

أما القاضي عياض فإنه بعد أن بين رفضه لما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول وأرجع قولهم إلى ما سطره فيها الإخباريون أصحاب القصص من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين بعد أن بين هذا ذكر أن الذي نص الله عليه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[٢]. وفسر قوله: «فتناه» بمعنى اختبرناه، وقوله: «أواب» بأنه مطيع وذكر أن هذا التفسير أولى[٣].

ثم نقل عن كل من الإمامين ابن عباس وابن مسعود قولهما: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله على ذلك، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، وانتهى إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره[٤].

وأما العلّامة سعد الدين عمر التفتازاني فإنه يرى في قصة داود (عليه السَّلام) أنه سأل أوريا أن ينزل عن زوجته فيطلقها وكان ذلك عادة في عهده، واعتبر ذلك زلة منه لاستغنائه بتسعة وتسعين، وبناءً على هذا فإنه يرى أن

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) سورة صۤ، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٣) الشفا ٢/ ٨٢٧، ونقل هذا التفسير عن قتادة.

(٤) المصدر السابق. راجع: شرح الشفا ونسيم الرياض ٤/ ١٩٣.

الخصمين كانا ملكين أرسلهما الله (تعالى) إليه لينبهاه، فلما تنبه استغفر ربه وخر راكعاً وأناب[١].

واستشهد على ذلك بأن سياق الآيات يدل على كرامته عند الله ونزاهته عما ينسب إليه إلا أنه بالغ في التضرع والتحزن والبكاء والاستغفار إستعظاماً للزلة بالنظر إلى ما له من رفيع المنزلة[٢].

وعلى ذلك فتقرير الملكين تمثيل وتصوير للقصة لا إخبار بمضمون الكلام ليلزم الكذب ويحتاج إلى ما قيل إن المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقة فلما رآهما اخترعا الدعوى، أو كانا راعيي غنم ظلم أحدهما الآخر والكلام على حقيقته[٣].

ومن الواضح أن القائلين بهذا القول الذي أوجبوا به وقوع ارتكاب الصغيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) إنما يحاولون بذلك تخفيف الذنب وملطفين للخطيئة اللذين وقعا من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في تصورهما فعلى الرغم من نقدهم للروايات الموقوفة والمرفوعة التي عرضنا لها وبينا رفضهم ورفض غيرهم لها، إلا أنهم حاولوا جاهدين تفسير الآيات الكريمة التي تحدثت عن فتنة داود (عليه السَّلام) تفسيراً يوفقون به بين ما ورد في الروايات وبين ما توحي به الآيات وتشير إلى وقوع ذنب من داود استوجب الاستغفار ثم خر راكعاً وأناب، فغفر الله له هذا الذنب.

فتارة يذكرون أن ذنبه يتمثل في خطبته للمرأة وهي مخطوبة لغيره ولا بد أن تكون المرأة هي التي وردت في الروايات ولكن بدلاً من أن تكون زوجة لأوريا صارت بقول هؤلاء مخطوبة له.

وتارة أخرى يزعمون أنه نظر إليها فوقعت في قلبه فطلب من زوجها التنازل

---

(١) شرح المقاصد ٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٥.

(٣) المصدر السابق.

عنها وتطليقها لتكون زوجة له، وحاش لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) أن يفعل هذا بأي حال من الأحوال، فهذا أمر غير مقبول على وجه الإطلاق ثم يزيدون الطين بلة فيقولون: إن ذلك كان عادة في أهل عصره: ويستشهدون بما وقع بين الأنصار والمهاجرين وقد بينا أنهم مغالطون تماماً في هذه النقطة وتارة ثالثة ورابعة بين النظر والإعجاب والسعادة والشماتة بقتل زوجها وتمنى موته وهلاكه ليصفو له الجو وينفرد بمحبوبته المزعومة إلى آخر هذه الصور السخيفة والمنكرة والتي تتنافى مع عصمة الأنبياء ويكفي أنهم يعترفون بأنها صغيرة والصغائر لا يجوز وقوعها بهذا الشكل من الأنبياء (عليهم السَّلام) وخلاصة الأمر أن هؤلاء الملطفين والمبررين لم يستطيعوا التخلص من آثار تلك الروايات الإسرائيلية تخلصاً تاماً، ولم يتمكنوا من الفكاك منها حيث بقوا يحومون حولها ويقتربون منها، فهم بالرغم من إنكارهم للمفتريات على سيِّدنا داود إلا أنهم لم يصلوا إلى تنزيهه تنزيهاً تاماً فهم في درجة وسطى بين المفترين والمنزهين وإن كانوا إلى التنزيه أقرب.

والإمام الألوسي حينما عرض للآراء المختلفة في فتنة داود نجده يقرر أن ترك الأخبار بالكلية في القصة مما لا يكاد يقبله المنصف، ثم يستدرك فيقول: «نعم لا يقبل منها ما فيه إخلال بمنصب النبوة ولا يقبل تأويلاً يندفع معه ذلك» ولذلك فهو يرى أن للقصاص كلاماً مشهوراً لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه (عليه السَّلام) وبعد عرضه لعدد من الآراء يعلق عليها بقوله: «والمقبول من هذه الأقوال ما بعد من الإخلال بمنصب النبوة» وينتهي إلى أنه لا بد من القول بأنه لم يكن منه (عليه السَّلام) إلا ترك ما هو الأولى بعلى شأنه والاستغفار منه وهو لا يخل بالعصمة[1].

فالإمام الألوسي بالرغم من تقريره بأن ما ورد في الروايات يخل بمنصب النبوة وينافي عصمة الأنبياء إلا أنه لا يقطع بعدم صحتها فيقول: «لا يكاد يصح» وبالرغم من انتهائه إلى أن داود (عليه السَّلام) لم يكن منه (عليه السَّلام) إلا ترك

---

(١) راجع روح المعاني ٢٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦.

ما هو الأولى إلا أنه لم يبين لنا كيف كان ذلك، ولذلك فهو لم يكن له رأي واضح في الوجه الذي اعتمد عليه في تنزيه داود ويتفق مع عصمة الأنبياء وظاهر الآيات القرآنية الكريمة من سورة (صٓ).

وفي نهاية هذا المبحث بقي لنا أن نستعرض رأياً لعالمين من علمائنا المعاصرين خرجا فيه في تفسير الفتنة عن حدود المرأة وإن بقي الأمر كما هو يدين سيِّدنا داود في أنه تطلع إلى ما في يد غيره وهو ما لا نوافقهما عليه من حيث المبدأ.

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: «وحاصل ما يفهم من هذه القصة أن داود (عليه السَّلام) كان يرى بعض الأشياء عند غيره فيستحسنها وتقع من نفسه موقعاً ويتمنى لو كانت له، وهذه الأشياء أعم من أن تكون المرأة أو سواها، وهو لا يريد بذلك أن يكون له الشيء إلا من وجه حل طبعاً، فأراد الله (تعالى) أن ينبهه على القناعة بما عنده من أمثال ما يستحسن مما أنعم الله به عليه، فأرسل الملكين بهيئة متخاصمين فلما أفتاهما وتحقق بعد ذلك أنهما ملكان، ظن أن الله (تعالى) ابتلاه وأنهما معاتبان في الواقع، وليسا بخصمين فاستغفر الله (تعالى) وأناب إليه[1].

وكذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب فإنه يذكر أن داود (عليه السَّلام) سلطان يملك دنيا عريضة، ولهذه الدنيا إغراؤها وشهواتها، وإنه نبي كريم، وللنبوة خطرها، وجلالها وسموها والمطلوب منه هنا، هو أن يجمع بين السماء والأرض أن يلبس الملك والنبوة معاً، فلا يرى في حال من أحواله إلا ملكاً نبياً، أو نبياً ملكاً إنه ملك من عند الله، ونبي من عند الله، يسوس الملك بالنبوة، ويؤيد النبوة بالملك[2].

---

(١) قصص الأنبياء: ص٣٧٢، مطبعة النصر بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
هذا وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن هناك رأياً أولى من هذا الذي قاله وسأذكره في الاتجاه الثالث عند الحديث عن المنزهين لسيدنا داود ـ عليه السلام ـ.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٢٣/ ١٠٧٣.

ولا شك أن هذا فضل عظيم، ولكنه ابتلاء عظيم أيضاً ولهذا كان هذا الإلفات السماوي لداود أن يأخذ حذره، إذ يقول له الحق (جلّ وعلا): ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

ولهذا أيضاً كان تقبل الله (سبحانه) لداود وتجاوزه عن ذنبه، إذ كان إنما حمل أمراً عظيماً، تغتفر له فيها الهنات، وتقال فيه العثرات!

ثم يقول: فما هي هفوة هذا النبي الكريم وما هي عثرته؟ ويجيب: إنها ـ والله أعلم ـ ملففة في ستر من ألطاف الله ورحمته فيما كان تلك القضية التي عرضها عليه الخصمان.

إن القضية تمثل صراعاً بين قوي وضعيف، بين من يملك الكثير الكثير ومن لا يملك إلا القليل القليل، بين صاحب سلطان يعتز بسلطانه، ويمضي الأمور بكلمة تصدر من فمه، وبين من لا يملك الكلمة يقولها أمام هذا السلطان[1]!

وداود (عليه السَّلام) يمثل السلطان في أعز مكان، وأقوى سلطان.. وبكلمة منه إلى أحد رعاياه نزل له هذا الرعية عن شيء ـ هو أعز ما يملك ـ كانت نفس داود قد مالت إليه، ورغبت فيه ولم يستطع هذا «الرعية» أن يقول: لا.. توقيراً وهيبةً، أو خوفاً وإشفاقاً[2].

وماذا أخذ «داود» من هذا الإنسان؟ إنه شيء ما، عزيز على هذا الإنسان، مستغن به، قد يكون فرساً، يضمه داود إلى مقتنياته من جياد الخيل وقد يكون مزرعة بين مزارع داود... وليس من الحتم أن يكون امرأة، كما ذهب إليه أكثر المفسرين، مستندين في هذا إلى ما جاء في قضية الخصمين، وإلى أن النزاع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ويذكر أن في قوله (تعالى): ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ إشارة إلى أن كلمة «داود» كانت حكماً قاطعاً، وقضاءً نازلاً لم يستطع له هذا «الرعية» رداً. التفسير القرآني للقرآن ٢٣/ ١٠٧٤.

كان بينهما على «نعجة»[١].

وينتهي الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أن هذه هي القصة أو القضية وقد أدين فيها داود، أدان نفسه وحكم عليها بهذا اللوم الصارخ وهذا الاستغفار الدائب والضراعة السابحة في دموع الندم. . ولعل هذا الصوت الشجي، المحمل بزفرات الحسرة، ونسيج الحرقة الذي كان يسبح به داود، ويتلو به آيات الزبور، على أنغام مزاميره، فتهتز له الجبال، وتصغي إليه الطير لعل هذا الصوت كان من مواليد هذه المحنة، التي ولدت لداود أكثر من مولود ورفدته بأكثر من عطاء من عطايا الله ومننه[٢].

فقد أدرك داود (عليه السَّلام) أن هذين الخصمين، إنما هما ابتلاءً من الله (سبحانه وتعالى) له، ليكشفا له عن أمر كان منه، فيه مشابه كثيرة من هذه القضية التي بين يديه، فيذكر هذا الأمر، ويكون له من ذكره امتحان وابتلاء حيث يلتمس السبل في تخليص نفسه مما وقع فيه، فلا يجد إلا التوبة إلى الله، والاستغفار لذنبه، وهو في ذلك المقام يتقلب على جمر من الحسرة والندم قد كربه الكرب واستبد به الجزع على ما فرط في جنب الله، إنه أعرف بربه وبجلاله وعظمته وقدرته، وبالنعم السابغة التي أضفاها عليه، ثم هو أعرف بما لله من غيرة على حرماته كما هو أعرف بما لله من حساب لأوليائه على صغائرهم، وهم في هذا المقام الكريم، الذي أنزلهم فيه[٣].

---

(١) والنعجة تطلق في لسان العرب على المرأة! ولو سلمنا بهذا، لكان لنا أن نقول: إن هذا مثل تراد دلالته، ولا تراد صورته. . . فلو ذهبنا نأخذ صورة المثل هنا، لكان من الحتم أن يكون لداود تسع وتسعون امرأة، وهذه الكثرة في النساء، إن فرض التسليم بها، فلم يوقف بها عند هذا العدد بالذات ولماذا لا تزيد أو تنقص؟
إن دلالة التسع والتسعين فيما يقول هي دلالة على أمرين: **أولاً**: كثرة الشيء ووفرته. **وثانياً**: نقص هذه الكثرة، وحاجاتها لشيء يبلغ به تمامها حتى تكون مائة. (التفسير القرآني للقرآن: ص١٠٧٤).

(٢) المصدر السابق ٢٣/ ١٠٧٤ ـ ١٠٧٥. ولمزيد من التفاصيل راجع من: ص١٠٦٥ إلى ١٠٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٦٩.

ومن هنا كان داود في فتنة قاسية وابتلاء عظيم بعد أن كشفت له تلك القضية عن حال من أحواله، لا يرضاه عنه ربه، فغامت نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وقد ظل هكذا في كرب وبلاء عظيمين، يستغفر ربه، ويذرف دموع الندم، إلى أن تلقى إشارة السماء بمغفرة الله سبحانه وتعالى له ورضوانه عنه، وإحسانه إليه!!.

وينتهي الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أنها هفوة من هفوات النفس البشرية، وهي في حساب الناس لا تكاد تعد شيئاً، بل حتى لا تحسب من اللمم المعفو عنه ولكنها في مقام الأنبياء والرسل شيء عظيم، وذنب كبير[١]!.

❑❑❑

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢٣/١٠٦٩ ـ ١٠٧٠.

المبحث السادس

الاتجاه الثالث في تفسير فتنة داود
المنزهون لسيّدنا داود عن ارتكاب الكبيرة والصغيرة

يتمثل هذا الاتجاه في تنزيه سيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن الكبيرة والصغيرة وأصحاب الاتجاه هم المنزهون لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) والمنكرون لوقوع الكبيرة منه والرافضون لصدور الصغيرة عنه، والمتفقون مع أصحاب الاتجاه الثاني بأن القول بصدور الكبيرة عن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) هو من مناكير الإسرائيليات وأكاذيبها ويتنافى مع عصمة الأنبياء فهو باطل من جهة النقل والمعنى والسند والمتن.

الاختلاف في وجوه التنزيه ونتائجه:

وهؤلاء رغم اتفاقهم على تنزيه داود (عليه السَّلام) قد اختلفوا في وجوه التنزيه ونتج هذا الاختلاف عن اختلافهم في تحديد هوية الخصم الذين تسوروا المحراب وحقيقتهم، وتفسير الفتنة التي استغفر داود منها ربه وخر راكعاً وأناب:

ـ فمنهم من يرى أنهم كانوا من الملائكة وأن الخصمين اللذين بغى بعضهم على بعض وعرض أحدهما شكواه ومظلمته على سيِّدنا داود كانا ملكين في صورة إنسيين.

ـ ومنهم من يرى أن الخصم كانوا من الإنس وأن الخصمين المذكورين كانا إنسيين وليسا ملكين.

* **أما الذين رأوا أنهم كانوا من الملائكة**، فقد قالوا إنهم جاؤوا لتنبيه داود وتعليمه وتدريبه على الحكم والقضاء بين الناس، وأن الخصومة بينهم لم تكن حقيقة وإنما كانت على وجه التمثيل، ولذلك فهم لم يأتوا إلى داود ولم يدخلوا عليه من أجل التقاضي أمامه والتحاكم إليه.

ومن هؤلاء الإمام برهان الدين البقاعي والأستاذ سيد قطب ومعهما الأستاذ أحمد بهجت وقد سميتهم بفريق البقاعي وأحياناً أشير إلى رأيهم بأنه قول البقاعي ومن معه أو ومن ذهب مذهبه وهؤلاء إنما هم يرفضون تماماً ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول وأصحاب الاتجاه الثاني، وإن كانوا يتفقون معهم في نقطة واحدة وهي أن الخصم كانوا من الملائكة ولكن شتان بين تصور هؤلاء وتصور أولئك فهؤلاء منزهون وأولئك مفترون، وشتان بين التنزيه والافتراء وسوف نلاحظ أن تفسير هؤلاء المنزهين وللفتنة التي استغفر منها داود سوف يتفق مع أصحاب الرأي الأخير من المنزهين ولم يفترقوا إلا في تحديد هوية الخصم فبينما يرى هؤلاء أنهم كانوا ملائكة نجد أن أصحاب الرأي الأخير يرون أنهم كانوا من الإنس.

* **وأما الذين قالوا إن الخصم كانوا من الإنس،** فإنهم رغم اتفاقهم في هذه النقطة إلا أنهم قد اختلفوا في هوية هؤلاء الإنسيين وتفاوتت أنظارهم في تحديد حقيقة هؤلاء الآدميين، وأدى اختلافهم في ذلك إلى اختلافهم في نوعية الفتنة التي استغفر منها داود ونوعية البلاء الذي ابتلي به وتفسير قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، والسبب الذي حمل داود على الاستغفار والأمر الذي غفر الله له وأشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾.

وهم يتوزَّعون كالآتي:

* **فريق منهم** يرى أن الخصم رغم أنهم كانوا من البشر إلا أنهم لم يأتوا لسيِّدنا داود للتقاضي أمامه والتحاكم إليه، وإنما دخلوا عليه فجأة بعد أن تسوروا المحراب بقصد اغتياله وقتله والقضاء عليه، لكنهم حينما فشلوا في تحقيق مآربهم وأخفقوا في تنفيذ مخططهم اخترع إثنان منهم الخصومة اختراعاً، فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

ثم يذكر هؤلاء أن داود (عليه السَّلام) قد هم بالانتقام منهما لكنه استغفر ربه من هذا الهم وعفا عنهما فغفر الله له هذا الهم.

ويتزعم هذا الفريق الإمام الرازي وتابعه على رأيه وذهب مذهبه كل من عضد الدين الإيجي في المواقف والسيد الشريف الجرجاني في شرحه، والأستاذ مصطفى المراغي صاحب تفسير المراغي الذي نقد رأي الإمام أبي حيان وانتصر لرأي الإمام الرازي وإن كان لم يشر إليه.

* **وفريق آخر** يرى أن الخصم جاؤوا إلى داود (عليه السَّلام) للتقاضي والتحاكم، ولكنهم حين دخلوا عليه فجأة ومن غير المدخل وفي غير وقت القضاء فزع منهم ظاناً أنهم جاؤوا لاغتياله، فلما تبين له أنهم ليسوا كذلك استغفر ربه من هذا الظن وخر راكعاً وأناب.

ويتزعم هذا الفريق الإمام أبو حيان وذهب مذهبه الشيخ محمود أبو دقيقة والدكتور محمد أبو شهبة.

* **وفريق ثالث** يرى أنهم كانوا من البشر وأن الخصومة كانت بينهما حقيقة وأنهم جاؤوا للتقاضي والتحاكم، ولكن الفتنة التي استغفر منها داود لم تكن لها علاقة بالخصومة ولا بالاغتيال وإنما كانت تتعلق بالملك والحكم، وتغليب الحكم على العبادة أو تغليب العبادة على الحكم، ومن هؤلاء الإمام ابن حزم والإمام السبكي.

* **وفريق رابع** يرى أنهم كانوا من الإنس وأن الخصومة حقيقية ولكن الفتنة تتمثل في أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قضى لأحد الخصمين بمجرد سماع دعواه دون أن يسأل الآخر ويسمع منه، وبذلك فإنه تعجل في الحكم وتسرع في القضاء وقد أطلقت على هذا الفريق أصحاب الرأي الأخير من المنزهين وهم يتفقون في تفسير الفتنة مع فريق البقاعي، وهؤلاء هم السمرقندي وأبو مسلم والنحاس وصاحب الانتصاف وأرى من الواجب عليّ ومن حق هؤلاء المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن الكبيرة والصغيرة أن نعرض آراءهم بالتفصيل كما عرضنا آراء وأقوال أصحاب الاتجاهين السابقين.

أولاً: القائلون بأن الخصم كانوا من الملائكة:

فريق الإمام البقاعي:

يتفق هؤلاء المنزهون القائلون بذلك في تحديد هوية الخصم والغرض الذي جاء من أجله والفتنة التي استغفر منها داود وربه وإن تنوعت طريقة عرضهم: يذكر الأستاذ/ سيد قطب أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد تعرض للفتنة والابتلاء، وكانت عين الله عليه لترعاه وتقود خطاه، وكانت يد الله معه تكشف له ضعفه وخطأه، وتوقيه خطر الطريق وتعلمه كيف يتوقاه[(١)].

ويرى الأستاذ أحمد بهجت: أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) رغم قربه من الله وحب الله له كان يتعلم دائماً من الله، وقد علمه الله يوماً ألا يحكم أبداً إلا إذا استمع لأقوال الطرفين المتخاصمين[(٢)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ يذهب الإمام البقاعي إلى أنه لما كان السياق للتدريب على الصبر والتثبيت الشافي والتدبر التام والابتلاء لأهل القرب، وكان المظنون بمن أوتي فصل الخطاب أن لا يقع له لبس في حكم ولا عجلة في أمر، وكان التقدير: هل أتتك هذه الأنباء، عطف عليه ـ مبيناً عواقب العجلة معلماً أن على من أعطي المعارف أن لا يزال ناظراً إلى من أعطاه ذلك سائلاً له التفهيم، استعجازاً لنفسه متصوراً لمقام العبودية التي كرر التنبيه عليها في هذه السورة بنحو قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ في سياق ظاهره الاستفهام وباطنه التنبيه على ما في ذلك من الغرابة والعجب لتعظم الرغبة في سماعه فيوعي حق الوعي فقال سبحانه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾[(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن الجزء الثالث والعشرون المجلد الخامس: ص٣٠١٧، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أنبياء الله: ص٢٦٨.

(٣) برهان الدين أبو الحسن البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن بالهند، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

وقصة هؤلاء الخصم تتمثل في أن داود النبي الملك، كان يخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس، فكان حراسه لا يسمحون لأحد بالدخول عليه أو إزعاجه وهو يصلي[١].

ولكنه ذات يوم فوجىء بهؤلاء الخصم يتسورون عليه المحراب ثم دخلوا عليه ففزع منهم، يبين الإمام البقاعي أن تسورهم المحراب هو كناية عن أنهم جاؤوه في يوم العبادة من غير الباب، فخالفوا عادة الناس في الأمرين، وكأن المحراب الذي تسوروه كان فيه باب من داخل باب آخر[٢]. فقال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾.

ويشير البقاعي إلى الله سبحانه قد صرح باسم داود رفعاً للبس وإشعاراً بماله من قرب المنزلة وعظيم الود فقال: «على داود» ابتلاء منا له مع ماله من ضخامة الملك وعظم القرب منا، وبين أن ذلك كان على وجه يهول أمره إما لكونه في موضع لا يقدر عليه أحد أو غير ذلك بقوله: (ففزع منهم) أي ذعر وفرق وخاف منهم أي مع ما هو فيه من ضخامة الملك وشجاعة القلب وعلم الحكمة وعز السلطان[٣].

ويذكر الأستاذ سيد قطب أن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد فزع منهم حينما تسورا المحراب المغلق ودخلا عليه حيث إنه لا يتسور المحراب هكذا مؤمن ولا أمين، فبادرا يطمئنانه: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وجئنا للتقاضي أمامك ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾، وبدأ أحدهما فعرض خصومته: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، فقال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾، (أي اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي) ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، أي شدد عليّ في القول وأغلظ[٤].

---

(١) في ظلال القرآن ٢٣/٣٠١٨؛ أنبياء الله: ص٢٦٨.

(٢) نظم الدرر ١٦/٣٥٦.

(٣) المصدر السابق ١٦/٣٥٧.

(٤) في ظلال القرآن ٢٣/٣٠١٨.

والقضية ـ كما عرضها أحد الخصمين ـ تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضى يحكم قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[1]. أي قال: على تقدير صحة ما قلت، وذلك أنه فيما يذكر البقاعي ـ لما رأى الخصم قد سكت ولم ينكر مما قال المدعي شيئاً، وربما أظهر هيئة تدل على تصديقه قال ذلك فعوتب، وإن كان له مخرج، كل ذلك تدريباً على التثبت في القضاء وأن لا ينحى نحو القرائن، وأن لا يقنع فيه إلا بمثل الشمس[2].

ثم عطف على ذلك أمراً كلياً جامعاً لهم ولغيرهم واعظاً ومرغباً ومرهباً، ولما كانت الخلطة موجبة لظن الألفة لوجود العدل والنصفة واستبعاد وجود البغي معها، أكد قوله واعظاً للباغي إن كان وملوحاً بالإغضاء والصلح للمظلوم فقال: «وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم»[3].

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان كما لو كانا سحابة تبخرت في الجو، وأدرك داود أن الرجلين ملكان أرسلهما الله إليه ليعلماه درساً فلا يحكم بين المتخاصمين من الناس إلا إذا سمع قولهم جميعاً، فربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة معه الحق[4].

يذكر الأستاذ سيد قطب أن الملكين جاءا لامتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، وقد اختار أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة، ولكن القاضي عليه ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد، قبل أن يمنح

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نظم الدرر ١٦/ ٣٥٩.

(٣) المصدر السابق ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٤) في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٨؛ أنبياء الله: ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه وينكشف الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً[1]!

ويذكر الإمام البقاعي إلى أن الخصم الداخلين على داود حينما ذهبوا ولم يرَ منهم أحداً وقع في نفسه أنه لا خصومة، وأنهم إنما أرادوا أن يجربوه في الحكم ويدربوه عليه، وأنه يجوز للشخص أن يقول ما لم يقع إذا انبنى عليه فائدة عظيمة تعين ذلك الكلام طريقاً للوصول إليها[2].

وعند هذا تنبه داود (عليه السَّلام) إلى أنه الابتلاء: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، وهنا أدركته طبيعته... ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾... ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

يقول الإمام البقاعي: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾، أي بذهابهم قبل فصل الأمر وقد دهمه من ذلك أمر عظيم من عظمة الله لا عهد له بمثله ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، أي اختبرناه بهذه الحكومة في الأحكام التي يلزم الملوك مثلها ليتبين أمرهم فيها، وعلم أنه بادر إلى نسبة المدعى عليه إلى أنه ظلم من قبل أن يسمع كلامه، ويسأله المدعي الحكم فعاتبه الله على ذلك، والأنبياء (عليهم السَّلام) لعلو مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا، وهو من قصر الموصوف على الصفة قلباً، أي هذه القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة[3].

ثم يذكر البقاعي مؤكداً هذا بقوله: ولو كان المراد ما قيل من قصة المرأة التي على كل مسلم تنزيهه وسائر إخوانه (عليهم السَّلام) عن مثلها لقيل: «وعلم داود» ولم يقل «وظن» كما يشهد بذلك كل من له أدنى ذوق في المحاورات[4].

ولمَّا ظن هذا، سبب له تحقيق ما وصفه الله به من الأوبة فعبر عن ذلك بقوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ﴾، ولما استغرقته العظمة التي هذا مخزها، رجع إلى ذكر الإحسان واللطف فقال: ﴿رَبَّهُۥ﴾، أي طلب الغفران من مولاه الذي أحسن إليه

---

(١) في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٨.

(٢) نظم الدرر ١٦/ ٣٦٠.

(٣) راجع نظم الدرر ١٦/ ٣٦١.

(٤) المصدر السابق: ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

بإحلاله ذلك المحل العظيم من أن يعود للحكم الأول بدون أن يسمع الآخر[١].

﴿وَخَرَّ﴾، أي سقط من قيامه توبة لربه عن ذلك ﴿وَأَنَابَ﴾، أي تاب أي رجع عن أن يعود لمثلها.

ولما كان الحال قد يشكل في الإخبار عن المغفرة لو عبر بضمير الغائب لإيهام أن ربه غير المتكلم، وكان الغفران لا يحسن مع القدرة عاد إلى مظهر العظمة إثباتاً للكمال ونفياً للنقص، ﴿فَغَفَرْنَا﴾، أي: بسبب ذلك في أثره على عظمتنا وتمام قدرتنا غفراناً يناسب مقداره ما لنا من العظمة ﴿لَهُ ذَالِكَ﴾، أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع كلامه[٢].

وينتهي البقاعي إلى أن هذه الدعوى وتلك القصة كانت تدريباً لداود (عليه السَّلام) في الأحكام، وذكرها للنبي ﷺ تدريباً على الأناة في جميع أموره على الدوام ولما كان ذكر هذا ربما أوهم شيئاً في مقامه ﷺ سبق في أسلوب التأكيد قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ﴾ أي مع الغفران وعظم ذلك بمظهر العظمة لأن ما ينسب إلى العظيم لا يكون إلا عظيماً فقال: ﴿عِندَنَا﴾ وزاد في إظهار الاهتمام بذلك نفياً لذلك الذي ربما توهم فأكد قوله: ﴿لَزُلْفَىٰ﴾، أي قربة عظيمة ثابتة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي مرجع في كل ما يؤهل من الخير[٣].

والتعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة، ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾. فهي الخلافة في الأرض والحكم بين الناس بالحق، وعدم اتباع الهوى واتباع الهوى فيما يختص بنبي هو السير مع الانفعال الأول وعدم التريث والتثبت والتبين.. مما ينتهي مع الاستطراد فيه إلى الضلال[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٢) نظم الدرر ١٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٣٦٥.

(٤) راجع: في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٨.

وفوق ذلك فهذا معلم، ولا بد بأن هذه القضية لم يجرَّ إلى ذكرها إلا الترقية في رتب الكمال لا غير ذلك، وأدل دليل على ما ذكرته ـ وأن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم لا بامرأة ولا غيرها، وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر، فكم من باطل مشهور مذكور هو عين الزور ـ: قوله تعالى عقبها على هيئة الاستثمار منها صارفاً القول عن مظهر العظمة إلى المواجهة بلذيذ الخطاب على نحو ما يجري بين الأحباب: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾[١].

ومن رعاية الله لعبده داود، أنه نبهه عند أول لفتة، ورده عند أول اندفاعة، وحذره النهاية البعيدة، وهو لم يخط إليها خطوة! وذلك فضل الله على المختارين من عباده، فهم ببشريتهم قد تعثر أقدامهم أقل عثرة، فيقيلها الله ويأخذ بيدهم ويعلمهم، ويوفقهم إلى الإنابة، ويغفر لهم، ويغدق عليهم بعد الابتلاء[٢].

وما ذهب إليه هؤلاء ـ فريق البقاعي ـ في تنزيههم سيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن ارتكاب الصغيرة والكبيرة وتفسيرهم للفتنة التي استغفر منها وخر راكعاً لربه وأناب فهو أمر محمود وكلام نفيس وتحقيق جيد واستنتاج طيب، وكدت أميل إلى هذا الرأي وتستريح له نفسي لولا أنهم يقولون إن الخصمين كانا ملكين ولم يكونا إنسيين وأنهما جاء لامتحان داود وتدريبه على الحكم وابتلائه به حتى استغفر ربه فغفر له ما كان منه وأناب.

والحقيقة فإن في النفس شيئاً من جعل الخصمين ملكين، والذي يتفق مع ظاهر الآيات أن يكون الخصمان من الإنس وليسا من الملائكة وهو ما يراه هؤلاء المنزهون الذين سأعرض الآن أقوالهم.

ثانياً: القائلون بأن الخصم كانوا من الإنس:

رغم اتفاق هؤلاء المنزهين القائلين بأن الخصم كانوا من الإنس فإنهم قد اختلفوا في وجوه التنزيه من خلال اختلافهم في تفسير الفتنة التي استغفر داود

---

(١) نظم الدرر ١٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٢) راجع: في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٠١٩.

منها ربه وخر راكعاً وأناب، وهؤلاء المنزهون الذين سنتحدث عنهم هنا هم: **فريق الإمام الرازي، فريق الإمام أبي حيان، فريق الإمام ابن حزم والإمام السبكي، وأصحاب الرأي الأخير.**

*** الفريق الأول فريق الإمام الرازي:**

يذكر الإمام الرازي أن الذي يدين به ويذهب إليه ويقطع به هو عدم دلالة هذه الآيات الكريمة على صدور الكبيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وأن كل ما رواه هؤلاء أصحاب الاتجاه الأول باطل، ثم إنه يفسر هذه القصة أو هذا النبأ على وجه لا يلزم إلحاق الكبيرة والصغيرة بسيِّدنا داود (عليه السَّلام) بل يوجب إلحاق أعظم أنواع المدح والثناء به(١).

وهذا التفسير هو كما يقول: روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود (عليه السَّلام) وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذباً فقالوا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى آخر الآيات الخاصة بالقصة(٢).

وذكرها الإمام الرازي بصيغة أخرى في كتابيه «الأربعين في أصول الدين» «وعصمة الأنبياء» فقال: قال كثير من أهل الحق ـ في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ـ: إنها حكاية عن جماعة تسوروا قصره قاصدين قتله والإساءة إليه في أهله وماله، تسوروا قصره في وقت ظنوا أنه غافل، فما رآهم داود (عليه السَّلام) خافهم، لما تقرر في العرف أنه لا يتسور أحد دار غيره من غير أمره إلا لسوء يريده من قتله أو لمكاره على أهله أو سرقة ماله خصوصاً إذا كان صاحب الدار شخصاً معظماً، فلما رأوه مستيقظاً انتقض عليهم تدبيرهم وخافوا، فاخترع بعضهم ـ عند ذلك الخوف ـ خصومة لا أصل لها وزعم: أنهم إنما قصدوه لأجلها دون ما توهمه فقالوا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ثم ادعى

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٨٩؛ عصمة الأنبياء: ص١١١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٣.

أحدهما على الآخر مالاً فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، قال داود (عليه السَّلام): ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[1].

ثم يقول الرازي: واعلم أن حمل الآيات على ما ذكرناه: حمل الكلام على ظاهره، أما حملها على القصة المشهورة فإنه يقتضي العدول عن الظاهر من وجهين: **الأول**: أن الملائكة لما قالوا: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾، كان هذا كذباً، لأنه لم يبغ أحد من الملائكة على الآخر، وإسناد الكذب إلى اللصوص، أولى من إسناده إلى الملائكة.

الثاني: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، هذا أيضاً كذب، والقوم يحملون النعاج على النسوان، وهو عدول عن الظاهر، وأما على قولنا فقد نسبنا هذا الكذب إلى اللصوص، وهو أولى من نسبته إلى الملائكة[2].

وبالجملة، فليس في هذه الآيات لفظ يشهد بصحة ما ذكروه من القصة ويمكن أن يحتج به في إلحاق الذنب بسيِّدنا داود (عليه السَّلام) إلا ألفاظ أربعة:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وذلك لأن لفظ الفتنة يوهم الابتلاء.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ وذلك يوهم صدور الذنب منه.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَأَنَابَ﴾.

ورابعاً: وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾.

وهذه الألفاظ لا يدل شيء منها على أقوالهم وعلى ما ذكروه من نسبة الكبيرة إليه[3]. وتقرير ذلك من وجوه:

---

(١) الأربعين في أصول الدين: ص١٤٩؛ عصمة الأنبياء: ص١١٥ ـ ١١٦.

(٢) الأربعين: ص١٤٩ ـ ١٥١.

(٣) مفاتيح الغيب: ص١٩٣؛ الأربعين في أصول الدين: ص١٥١.

الوجه الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود (عليه السَّلام) ذلك دعاه الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام منهم، إلا أنه مال إلى الصفح والتجاوز عنهم طلباً لرمضاة الله، قال: وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، فمعنى قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أنا امتحناه واختبرناه، فإنه لما أساء الظن بهم، فهل يعاجلهم بالعقوبة أولاً؟ ثم إنه (عليه السَّلام) مع كمال سلطته وقوة مملكته لم يعاجلهم بالعقوبة ولم ينتقم منهم، ولم يَضْرِبْهم، فكان ذلك سبباً لازدياد منصبه في الحكم والدين، ثم إنه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم، وتاب عن ذلك الهم وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم[1].

الوجه الثاني: إنه وإن غلب على ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه، إلا أنه ندم على ذلك الظن، وقال: لما لم تقم دلالة ولا أمارة على أن الأمر كذلك، فبئسما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الرديء فكان هذا هو المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ منه فغفر الله له ذلك: فمعنى قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أنا امتحناه واختبرناه، فإنه لما أساء الظن بهم، فهل يعاجلهم بالعقوبة أو لا؟ ثم إنه (عليه السَّلام) مع كمال سلطته وقوة مملكته لم يعاجلهم بالعقوبة ولم ينتقم منهم ولم يضربهم، فكان ذلك سبباً لازياد منصبه في الحكم والدين[2].

الوجه الثالث: ليس في الآية الكريمة أن ذلك الاستغفار كان لنفسه أو لغيره، ألا ترى أنه تعالى حكى عن الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3]. وقال أولاد يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾[4].

---

(١) راجع الأربعين: ص١٥١؛ التفسير الكبير ٢٦/ ١٩٣.
(٢) راجع المصدرين السابقين.
(٣) سورة غافر: الآية ٧.
(٤) سورة يوسف: الآية ٩٧.

ومن هنا فإن دخولهم عليه كان فتنة لداود (عليه السَّلام) إلا أنه (عليه السَّلام) استغفر لذلك الداخل العازم على قتله، كما قال في حق محمد ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[١] فداود (عليه السَّلام) استغفر لهم وأناب أي رجع إلى الله (تعالى) في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل[٢].

فقوله (تعالى): ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن يكون المراد: فغفرنا لأجل حرمته ولبركة شفاعته ذلك الفعل المنكر، الذي أتى به أولئك المتسورون[٣].

ثم ينتهي الرازي إلى أن هذا التأويل ينطبق عليه القرآن، ولا نحتاج فيه إلى إسناد الكذب إلى الملائكة، وحمل النعاج على النسوان ثم إنه يليق به أن يذكر عقيبه قوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾[٤].

فمن بلغت رحمته وشفقته على الرعية إلى هذا الحد، كان اللائق برحمة أرحم الراحمين، تفويض خلافة الأرض إليه، ويليق به أن يأمر محمداً ﷺ عند تأذيه من قومه بأن يقتدى به، وهو قوله في أول الآيات ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ . . .﴾. وينتهي الإمام الرازي إلى أنه ثبت بهذه البيانات أنا إذا حملنا هذه الآيات على هذا الوجه فإنه لا يلزم إسناد شيء من الذنوب إلى داود (عليه السَّلام) بل ذلك يوجب إسناد أعظم الطاعات إليه[٥] ومن طلب الحق وأنصف علم أن ما ذكرناه هو الحق الصريح[٦].

ثم يقول الرازي: وحمل الآية على هذا التفسير أولى لوجوه:

الأول: أن الأصل في حال المسلم البعد عن المناهي، لا سيما وهو رجل من أكابر الأنبياء والرسل.

---

(١) سورة محمد: الآية ١٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٣.

(٣) الأربعين في أصول الدين: ص١٥٢.

(٤) سورة صٓ: الآية ٢٦.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٤.

(٦) الأربعين في أصول الدين: ص١٥٢.

الثاني: أنه أحوط.

الثالث: أنه (تعالى) قال في أول الآية لمحمد ﷺ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾[١] فإن قوم محمد (عليه السَّلام) لما أظهروا السفاهة حيث قالوا: (إنه ساحر كذاب) واستهزأوا به حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾[٢] فقال (تعالى) في أول الآيات: «اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل وتحلم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود»، فهذا الذكر إنما يحسن، إذا كان داود (عليه السَّلام) قد صبر على إيذائهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب، وهذا المعنى إنما يحصل إذا حملنا الآية على ما ذكرناه أما إذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضاً فاسداً[٣].

والرابع: أن تلك الرواية إنما تتمشى إذا قلنا إن الخصمين كانا ملكين، ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخاصمة وما بغى أحدهما على الآخر كان قولهما: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ كذباً. فهذه الرواية لا تتم إلا بشيئين:

أحدهما: إسناد الكذب إلى الملائكة.

الثاني: أن يتوسل بإسناد الكذب إلى الملائكة إلى إسناد أفحش القبائح إلى رجل كبير من أكابر الأنبياء.

فأما إذا حملنا الآية على ما ذكرناه استغنينا عن إسناد الكذب إلى الملائكة، وعن إسناد القبيح إلى الأنبياء فكان قولنا أولى.

فهذا ما عندنا في هذا الباب والله أعلم بأسرار كلامه[٤].

---

(١) سورة صٓ: الآية ١٧.
(٢) سورة صٓ: الآية ١٦.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٤.
(٤) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٤.

وجاء في شرح المواقف أن التفسير الصحيح للآيات الخاصة بسيِّدنا داود (عليه السَّلام) أنه قد تسور قوم قصره للإيقاع به، فلما رأوه مستيقظاً اخترع أحدهم الخصومة المذكورة في القرآن، وزعموا أنهم إنما قصدوه لأجلها لا لسوء به من قتل النفس أو سرقة المال[1].

ونسبة الكذب إلى اللصوص أولى من نسبته إلى الملائكة، وعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ اختبرناه في أنه حين أساء الظن باللصوص مع قدرته عليهم، فهل يعاجلهم بالعقوبة أو لا؟ فلما لم يعاقبهم كان غاية في الحلم والاستغفار ولا يجب أن يكون لذنب منه بل جاز أن يكون طلباً لعفو الله عنهم وأن يغفر لهم مبالغة في الحلم والشفقة، وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ أي غفرنا لأجل حرمته وبركة شفاعته ذلك الفعل المنكر الذي أتى به أولئك المتسورون، وحينئذٍ لا يحتاج إلى نسبة الكذب إلى الملائكة وحمل النعاج على النسوان وخلط المذمة البليغة بأوصاف الكمال[2].

ومن الواضح جدًّا أن الإيجي صاحب المواقف والسيد الجرجاني شارحه قد تأثرا في هذا الرأي تماماً بالإمام الرازي والشارح لا يخفي ذلك وإنما ينهي كلامه بقوله: «قال الإمام الرازي: من أنصف علم أن الحق الصريح ما ذكرناه وأن تلك القصة كاذبة باطلة على الوجه الذي تروى عليه»[3].

*** الفريق الثاني: فريق الإمام أبي حيان:**

وأما الإمام أبو حيان ومن قال بقوله؛ فإنهم يتفقون مع الإمام الرازي في أن الخصم كانوا من الإنس لكنهم يختلفون معه في هويتهم والهدف من تسورهم المحراب والدخول على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) حتى فزع منهم، حيث يرون أنهم جاؤوا للتقاضي وكان بين الخصمين خصومة حقيقية، على حين أن الرازي يرى كما سبق ـ أنهم دخلوا عليه لاغتياله وليس للتقاضي.

---

(١) شرح المواقف ٣/ ٢١١؛ المواقف: ص٣٦٣.

(٢) شرح المواقف ٣/ ٢١١؛ المواقف: ص٣٦٣.

(٣) راجع المصدر السابق ٣/ ٢١١.

وبذلك اختلفت وجهة نظر أبي حيان ومن معه عن وجهة نظر الرازي في حقيقة الفتنة ومعنى قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، فإذا كان الإمام الرازي قد ذكر أنه حينما تبين لداود (عليه السَّلام) أنهم جاؤوا لاغتياله هم بالانتقام منهم وهذا الهمّ هو الفتنة التي وقعت له، ثم استغفر ربه من هذا الهم وخر راكعاً وأناب بعد أن استغفر لهم وعفا عنهم، فإن الإمام أبا حيان يرى ـ كما سنذكر ـ أن فتنة داود تتمثل في أنه كان قد اعتقد أنهم جاؤوا لاغتياله، لكنه حينما اتضح له أنهم جاؤوا للتقاضي استغفر ربه وخر راكعاً وأناب.

فلننظر ماذا قال الإمام أبو حيان ومن تابعه مثل الشيخ أبي دقيقة والشيخ أبي شهبة: يذكر الإمام أبو حيان أنه لما كان (تعالى) قد كمل نفس نبيه داود بالحكمة أردفه ببيان كمال خلقه في النطق والعبادة فقال: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾.

ويرى أنه لما أثنى (تعالى) على داود (عليه السَّلام) بما أثنى ذكر قصته هذه ليعلم أن مثل قصته لا يقدح في الثناء عليه، والتعظيم لقدره وإن تضمنت استغفاره ربه، وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه، وما زال الاستغفار شعار الأنبياء المشهود لهم بالعصمة ومجيء مثل هذا الاستفهام إنما يكون لغرابة ما يجيء معه من القصص كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، فيتهيأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتي بعده ويصغي لذلك[(١)].

ثم يقول: «وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا على ذلك صفحاً وتكلمنا على ألفاظ الآية»[(٢)].

ويذكر الشيخ محمود أبو دقيقة أن هذه الآيات المذكورة في سورة «صٓ» تشير بجملتها إلى قصة وحادثة تتعلق بسيِّدنا داود (عليه السَّلام) وآخرين ترتب عليها أن داود طلب المغفرة من الله (تعالى) فغفر الله له ما صدر منه.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) المصدر السابق: ص٣٩١.

ويرى أن الروايات الكثيرة التي نقلها الكاتبون في تعيين هذه القصة تؤدي إلى نسبة أمر لسيِّدنا داود قام الدليل العقلي على عصمته منه، كما أنها تؤدي إلى التجوز في لفظة النعجة بدون مقتضى، فالواجب غض الطرف عن هذه الروايات حيث كانت تؤدي إلى ما ذكر والمصير إلى ما يعطيه ظاهر الآية ويتفق مع ما قضى به العقل(١).

والذي دل عليه ظاهر ما ذهب إليه الإمام أبو حيان من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس دخلوا من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومته وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قضى الله (تعالى) وأن داود (عليه السَّلام) ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ(٢) من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه، وخر ساجدًا أو رجع إلى الله (تعالى) فغفر له ذلك الظن، ولذلك أشار بقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ ولم يتقدم سوى قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾(٣).

ويوضح هذا الشيخ أبو دقيقة فيقول: «روي أن داود (عليه السَّلام) وزع أعماله على الأيام، خص كل يوم بعمل فجعل يوماً للعبادة لا يشتغل بغيرها، ويوماً للقضاء وفصل الخصومات، ويوماً للاشتغال بشؤون نفسه ويوماً لوعظ بني إسرائيل وتخويفهم من الضار وترغيبهم في النافع، ففي يوم العبادة بينما كان في محرابه مشتغلاً بعبادة ربه منفرداً وحده دخل عليه قوم من الإنس متخاصمون مع بعضهم بغير استئذان ولم يكن دخولهم من الباب المعتاد، بل تسلقوا سور محراب المسجد ونزلوا إليه، والذي دعاهم إلى هذا التسلق أنهم أرادوا الدخول من الباب المعتاد فمنعهم الحرس الموجود على الباب(٤).

---

(١) مذكرات التوحيد: ص٢٨٠.

(٢) ذكر الإمام الألوسي كلمة «ابتلاء» بدل «إنقاذ» حينما نقل نص الإمام أبي حيان. روح المعاني ٢٣/ ١٨٥.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

(٤) مذكرات التوحيد: ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

لما رأى داود منهم ذلك فزع وظن أن مجيئهم على ذلك الوجه الذي لم يؤلف وفي غير يوم القضاء يكون الحامل عليه في الغالب هو التعدي عليه فقالوا: لا تخف، نحن فوجان جار بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تتجاوزه واهدنا إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى مناهج العدل ثم تصدى لشرح الحادثة التي جاؤوا لأجلها إثنان فقال أحدهما يشير إلى الثاني ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ في الصداقة أو النسب أو الدين ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ هي الأنثى من الغنم ﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، فقال صاحب العدد الكثير المالك النعجة الواحدة ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ تحول لي عنها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ جاء بحجج لم أتمكن من ردها فقال داود للآخر ما تقول: فأقر بما قاله المدعي ووافقه ولم يحك في القرآن اعتراف المدعى عليه لأنه معلوم من الشرائع كلها أنه لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعي وبعد أن سمع داود كلام الخصمين قال للمدعي: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ﴾ وتعدى عليك بطلبه هذا ضم ﴿نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[1].

ويلخص هذا الدكتور أبو شهبة فيذكر أن التفسير الصحيح للآيات يتمثل في أن داود (عليه السَّلام) كان قد وزع مهام أعماله، ومسؤولياته نحو نفسه، ونحو الرعية على الأيام، وخص كل يوم بعمل، فجعل يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، وفصل الخصومات، ويوماً للاشتغال بشؤون نفسه وأهله، ويوماً لوعظ بني إسرائيل[2].

ويذكر أنه في يوم العبادة، بينما كان مشتغلاً بعبادة ربه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسوروا عليه من السور، ولم يدخلا من المدخل المعتاد فارتاع منهما، وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه ورعايته، وظن بهما سوءاً، وأنهما جاءا ليقتلاه أو يبغيا به شرًّا، ولكن تبين له: أن الأمر على خلاف ما ظن، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه، فلما قضى بينهما، وتبين له أنهما بريئان مما

---

(١) المصدر السابق: ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات: ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.

ظنه بهما، استغفر ربه وخر ساجدًا لله (تعالى) تحقيقاً لصدق توبته، والإخلاص له، وأناب إلى الله غاية الإنابة[1].

فالذنب الذي طلب داود من الله أن يغفره له هو ظنه في بادىء الأمر أن القوم دخلوا عليه ليقتلوه حيث دخلوا في غير يوم القضاء وبدون استئذان، وتسلقوا سور المحراب، فلما اتضح له أنهم جاؤوا للتحاكم وبرز منهم اثنان لشرح قضيتهم رجع عما كان يظنه أوّلًا من أنهم يريدون قتله، ورأى أنه ما كان ينبغي أن يتعجل بذلك الظن فاستغفر ربه من ذلك الظن الذي تعجل به فغفر له ذلك الظن[2].

ومثل الأنبياء في علو شأنهم، وقوة ثقتهم بالله والتوكل عليه ألا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة، إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى والأليق بهم، وقديماً قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[3].

ويذكر الشيخ أبو دقيقة أن مثل ذلك الظن إن عد ذنباً في جانب سيِّدنا داود لعلو منزلته وقربه من الله فهو من الصغائر التي لا تخل بعصمة الأنبياء[4].

وينتهي كل من الشيخ أبي دقيقة والشيخ أبي شهبة إلى أن الرجلين خصمان حقيقة وليسا ملكين كما زعموا، والنعاج أيضاً على حقيقتها، وليس ثمة رموز ولا إشارات، وأن هذا هو ما يعطيه ظاهر الآية ولا مقتضى للعدول عنه حيث إنه يوافق نظم القرآن ويتفق وعصمة الأنبياء، فهو الذي ينبغي أن يفهم من الآيات ولا يلتفت إلى غيره، والواجب: الأخذ به، ونبذ الخرافات والأباطيل التي هي من صنع بني إسرائيل وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز بين الغث والسمين[5].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٧٦.

(٢) الشيخ أبو دقيقة مذكرات التوحيد: ص٢٨٢.

(٣) الدكتور أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات: ص٣٧٦.

(٤) مذكرات التوحيد: ص٢٨٢.

(٥) راجع المصدرين السابقين.

ومما يؤخذ على هذا الرأي الذي نادى به الإمام أبو حيان وتابعه فيه كل من الشيخ أبي دقيقة والشيخ أبي شهبة ما ذكره الأستاذ أحمد مصطفى المراغي حيث إنه يرى أن ظن داود في الخصمين وقد دخلا عليه في مثل هذا الوقت ومن غير الباب لإرادة الاغتيال ـ ظن له ما يؤيده من الدلائل وشواهد الحال، فلا يمكن أن يكون إثماً حتى يطلب من ربه المغفرة عليه وبجانب ذلك فإن هذه الخصومة التي ترافعا إليه فيها وطلبا منه الحكومة ليست من معضلات المشاكل التي يحتاج فيها إلى حكم داود بالإضافة إلى أنه قد كان لهما مندوحة منها بأن ينتظر إلى اليوم التالي حتى يجلس للقضاء ولا يضيع عليهما حق إذا هما تأخرا يوماً آخر لأن هذه الواقعة إن كانت على الوضع الذي قالاه، فليس فيها ما يدعو إلى المبادرة والتقاضي في غير موعد القضاء والوصول إلى القاضي على تلك الحال المريبة(١).

وينتهي الأستاذ المراغي إلى أنه لا بد أنهما قد كانا يريدان غرضاً آخر أخفياه غير ما كان قد ظهر منهما، ذلك الغرض هو إرادة الاغتيال، ما منعهما من تنفيذه إلا يقظة الحراس والخدم والحشم وإحاطته بهما فاخترعا سبباً لمجيئهما إليه، وهو مجيئهما للاستفاء فيما خفي عليهما، ولأجله تسورا المحراب(٢).

ومما يرشد إلى هذه النية المبيتة نية الاغتيال أن تهجم الناس على البيوت للتقاضي ليس بالمألوف ولا المعروف في أي عصر، إلى أن هذه الفتوى لا تحتاج إلى مثل داود، فهي فتوى جاءت بنت ساعتها لم يفكرا فيها من قبل، والذي ألجأهما إليها يقظة الحرس، وظنهما أنهما هالكان لا محالة إذا لم يذكرا سبباً يسوغ لهما دخول القصر في ذلك الحين(٣).

وحين علم داود غرضهما وتظاهرت عليه الأدلة هم أن ينتقم منهما

---

(١) تفسير المراغي ٢٢/ ١٣٠، نشر مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص١١٠.

ويجازي السيئة بمثلها ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ﴾[1] ولكنه رأى أن مقام النبوة أمثل به الصفح والعفو كما قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[2] ومن ثم استغفر ربه لما كان قد عزم عليه من الانتقام تأديباً لهما ولأمثالهما[3].

والأستاذ المراغي بذلك إنما ينتصر لما ذهب إليه الإمام الرازي وتابعه عليه عضد الدين في مواقفه والسيد الشريف الجرجاني في شرحه.

ويؤكد على ما ذهب إليه بأن ما جاء في بعض كتب التفسير من أن المراد بالنعاج النساء كما جاء كناية عن ذلك في كلام العرب يتوقف على أن كلمة «نعجة» في اللغة العبرية تستعمل كناية عن المرأة كما هي في العربية ويذكر أن كلمة «الخلطاء» تأبى أن تكون النعجة كناية عن المرأة[4].

ويرى أن ما يقال من أن الخصمين كانا ملكين تأباه كلمة «تسوروا» لأن الملائكة أجسام نورانية لا أجسام كثيفة فلا حاجة إلى التسور إلى أن ما جاء من القصص عن ذكر السبب في مجيء الملكين مما يخل بمنصب النبوة[5].

*** الفريق الثالث: فريق الإمامين ابن حزم والسبكي:**

ويرى كل من العلَّامة ابن حزم في كتابه الفصل والشيخ تقي الدين السبكي كما نقل عنه السيوطي أن الخصمين كانا من الإنس وكان بينهما خصومة حقيقية وأنهما جاء للتقاضي ولم يأتيا للاغتيال ولم يظن داود فيهما ذلك وإنما الأمر يتعلق بالحكم والملك والعبادة وظن أن الفتنة في ملكه، أو في انشغاله بالحكم عن العبادة أو بالعكس.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٣) تفسير المراغي ٢٢/ ١١١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

* ابن حزم:

يعلق الإمام ابن حزم على الآيات الخاصة بقصة سيِّدنا داود (عليه السَّلام) من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ بأن هذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤون الكاذبون، المتعلقون بخرافات ولدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم ولا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر بنص الآية.

ثم يذكر أن من قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله (عَزَّ وجَلَّ) وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب على الله (عَزَّ وجَلَّ) وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة، لأن الله (تعالى) يقول: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قط خصماً [وهذا تكذيب مجرد لله (تعالى) وهذا كفر محض](1).

وأقر على نفسه أنهم كانوا ملائكة وأنهم قالوا: ﴿خَصْمَانِ﴾ قال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾، فأعجبوا لما يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم؟ ونعوذ بالله من الخذلان(2).

وينعي ابن حزم على هؤلاء حيث قالوا قولهم ذلك كله بلا دليل، بل اعتمدوا على الدعوى المجردة، ويقسم بقوله، «وتالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه، وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره، ثم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المهتوكين، الفساق، المتمردين لا فعل أهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود ﷺ الذي أوحى إليه كتابه، وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزهه الله (عَزَّ وجَلَّ) عن أن يمر

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٣٩؛ الطبعة المحققة؛ والطبعة القديمة ٤/١٨، نشر دار الفكر ـ بيروت.

(2) المصدر السابق.

مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله[1].

وبناءً على رأيه هذا يرى ابن حزم أن استغفاره (عليه السَّلام) وخروره ساجداً ومغفرة الله (تعالى) له أمور طبيعية فالأنبياء (عليهم السَّلام) أولى الناس بهذه الأفعال، والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذنب، ولا من غير مذنب، فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة كما قال الله (تعالى): ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

ويفسر الإمام ابن حزم الظن والغفران في قوله (تعالى): ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ بأن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد ظن أن يكون ما آتاه الله (عَزَّ وجَلَّ) من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله ﷺ يدعو أن يثبت الله قلبه على دينه، فاستغفر الله (تعالى) من هذا الظن، فغفر الله له هذا الظن، إذ لم يكن ما آتاه الله (تعالى) من ذلك فتنة[3].

وقد أشار القاضي عياض إلى مثل هذا الرأي فذكر أن ذنب داود الذي استغفر منه أنه كان قد خشي على نفسه، وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا وأن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم، على ظاهر الآية[4].

* السبكي:

ويذكر السيوطي في كتابه «الإكليل» أنه نقل خط الشيخ تقي الدين السبكي[5] قوله في كتابه: «القول المحمود في تنزيه داود»:

---

(١) المصدر السابق: ص٣٩ ـ ٤٠، ص١٨ ـ ١٩.
(٢) سورة غافر: الآية ٧.
(٣) المصدر السابق: ص٤٠ و١٩.
(٤) الشفا ١/ ٨٢٨.
(٥) ينقل البعض هذا القول على أنه رأى السيوطي دون الإشارة إلى أنه نقله كما يقول من خط الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه المذكور وهذا خطأ كما هو واضح.

تكلم الناس في قصة داود وأكثروا، وذلك مشهور جدًّا وذكروا أموراً منها ما هو منكر عند العلماء، ومنها ما ارتضاه بعضهم وهو عندي منكر.

ثم يذكر السبكي أنه بعد أن تأمل القرآن ظهر له وجه خلاف ذلك كله حيث يقول: «فإني نظرت قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾. فوجدته يقتضي أن المغفور في الآية يعني الإشارة بذلك فطلبته فوجدته أحد ثلاثة أمور: إما ظنه، وإما اشتغاله بالحكم عن العبادة وإما اشتغاله بالعبادة عن الحكم كما أشعر به قوله: «المحراب» وذلك أنه صح عن نبينا ﷺ أن داود أعبد البشر[1].

فكأن داود انقطع ذلك اليوم في المحراب للعبادة الخاصة بينه وبين الله، فجاءت الخصوم لم يجدوا إليه طريقاً فتسوروا إليه، وليسوا ملائكة، ولا ضرب بهم مثل.

وإنما هم قوم تخاصموا في نعاج على ظاهر الآية، فلما وصلوا إليه حكم بينهم، ثم من شدة خوفه وكثرة عبادته خاف أن يكون الله امتحنه بذلك، إما لاشتغاله عن الحكم بالعبادة ذلك اليوم، وإما لاشتغاله عن العبادة بالحكم تلك اللحظة، فظن أن الله فتنه أي امتحنه واختبره، هل يترك الحكم للعبادة أو العبادة للحكم، فاستغفر ربه[2].

فاستغفاره إذن لأحد هذين الأمرين المظنونين أعني تعلق الظن بأحدهما قال الله (تعالى): ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ فاحتمل المغفور أحد هذين الأمرين، واحتمل ثالثاً وهو ظنه، وإن يكن الله لم يرد فتنة وإنما أراد إظهار كرامته.

ويستدل على رأيه هذا بأن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ يقتضي رفعة قدره، وقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) عن أبي الدرداء قال: «وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود ﷺ قال: كان أعبد البشر» رواه البزار في حديث طويل وإسناده حسن. مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٠٦.

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل: ص١٨٤ ـ ١٨٥، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة، طبع بنفقة السيد أسعد درابزوني الحسيني.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يقتضي ذلك، ويقتضي ترجيح الحكم على العبادة، وينتهي الشيخ السبكي إلى القول بأنه على أي وجه من الأوجه الثلاثة التي ذكرها حملته، حصل تنزيه داود (عليه السَّلام) مما يقوله القصاص[١].

والحقيقة أن هذا الرأي فريد في بابه حيث لم يسبق الشيخ السبكي إليه أحد سواء في عرضه له وتحليله لمضمونه وحسن استنتاجه لما ذهب إليه.

*** الفريق الرابع: أصحاب الرأي الأخير:**

ويذهب كثير من العلماء إلى أن الخصمين لم يكونا ملكين وإنما كانا إنسيين وأن الخصومة بينهما كانت حقيقية، وأنهما جاءا للتقاضي، ولكن هؤلاء قد خالفوا غيرهم ممن قالوا بذلك في أن الفتنة التي ظنها سيِّدنا داود (عليه السَّلام) لم تكن ممثلة في أنه اعتقد غدر الخصمين وأنهما جاءا لاغتياله فلما تبين له أنهما ليسا كذلك استغفر ربه وخر راكعاً وأناب، ولم تكن هذه الفتنة أيضاً ممثلة في أنه هم بالانتقام منهما والقضاء عليهما ثم عفا عنهما واستغفر من هذا الهم أو استغفر لهم كما قال الإمام الرازي.

إن القائلين بهذا الرأي الذي سأعرضه الآن قد خالفوا هؤلاء وغيرهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ حيث يرون أن ما وقع فيه داود (عليه السَّلام) أنه تسرع بالحكم على المدعى عليه قبل أن يستمع إليه، ولم يترك له الفرصة ليدافع عن نفسه بل قال للمدعي: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾.

وهم بذلك يتفقون مع الإمام برهان الدين البقاعي ومن ذهب مذهبه من المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن ارتكاب الكبيرة والصغيرة والذين تحدثت عنهم في بداية هذا المبحث، فهم يتفقون معهم في أن الذنب الذي استغفر منه داود (عليه السَّلام) أنه تسرع بالحكم وتعجل فيه، ولكنهم يخالفونهم في كون الخصمين كانا من الإنس حيث قال البقاعي ومن معه بأن الخصمين كانا من الملائكة وأنهما جاءا لتنبيه سيِّدنا داود (عليه السَّلام) وتدريبه على الحكم بين الناس.

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٥.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن تسرع داود (عليه السَّلام) في هذا الحكم كان نتيجة لفزعه من دخول الخصمين عليه فجأة بعد أن تسوروا المحراب فأنساه ذلك الفزع التثبت والأناة وتعجل في الحكم على المدعى عليه دون أن يسمع دفاعه عن نفسه فيما ادعى عليه به.

يذكر القاضي عياض أن السمرقندي يرى أن ذنب داود الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد «ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه» فظلمه بقول خصمه[١].

وقد استحسن الإمام القرطبي هذا الرأي ونقله عن النحاس فذكر أن ما وقع فيه داود (عليه السَّلام) أنه قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ من غير تثبت ببينة ولا إقرار من الخصم هل كان هذا كذا أو لم يكن[٢].

وأشار إليه أيضاً الإمام الألوسي حين قال: وقيل إنه لم يتثبت في الحكم وظلم المدعى عليه قبل سؤاله لما ناله من الفزع وكانت الخصومة بين المتخاصمين وكانا من الإنس على الحقيقة إما على ظاهر ما قص أو على جعل النعجة فيه كناية عن المرأة ونقل هذا عن أبي مسلم[٣].

ويذكر الإمام الرازي أن من قال بهذا الرأي ذكر أن الخوف الذي حصل بسبب دخول الخصمين عليه، في غير الوقت اللائق بالدخول عليه أنساه التثبت والتحفظ وأن الذنب الذي وقع منه إنما حصل بسبب العجلة في الحكم قبل التثبت، وكان الواجب عليه أن يسمع الدعوى من أحد الخصمين، ثم يسأل الآخر عما عنده فيها[٤].

يذهب الحليمي أبو عبد الله في كتابه «منهاج الدين» إلى أن الله (عَزَّ وجَلَّ) أخبر عن داود (عليه السَّلام) أنه سمع قول المتظلم من الخصمين، ولم يخبر عنه أنه سأل الآخر إنما حكي أنه ظلمه، فكان ظاهر ذلك أنه رأى في المتكلم مخائل

---

(١) الشفا ٢/ ٨٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٧٥.

(٣) روح المعاني ٢٣/ ١٨٥.

(٤) الأربعين في أصول الدين: ص١٥٣.

الضعف والهضيمة، فحمل أمره على أنه مظلوم كما يقول، ودعاه ذلك إلى ألا يسأل الخصم، فقال له مستعجلاً: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ مع إمكان أنه لو سأله لكان يقول: كانت لي مائة نعجة ولا شيء لهذا، فسرق مني هذه النعجة فلما وجدتها عنده قلت له: ارددها، وما قلت له ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ وعلم أني مرافعه إليك، فجرني قبل أن أجره وجاءك متظلماً من قبل أن أحضره لتظن أنه هو المحق وأني أنا الظالم(١).

ويرى الحليمي أنه لما تكلم داود بما حملته العجلة عليه، علم أن الله عزَّ وجلَّ خلاه ونفسه في ذلك الوقت، وهو الفتنة التي ذكرناها، وأن ذلك لم يكن إلا عن تقصير منه، فاستغفر ربه وخر راكعاً لله (تعالى) شكراً على أن عصمه، بأن اقتصر على تظليم المشكو، ولم يزده على ذلك شيئاً من انتهار أو ضرب أو غيرهما مما يليق بمن تصور في القلب أنه ظالم، فغفر الله له ثم أقبل عليه يعاتبه، فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فبان بما قصه الله (تعالى) من هذه الموعظة، التي توخاه بعد المغفرة أن الذنب الذي استغفر منه داود إنما كان التقصير في الحكم والمبادرة إلى تظليم من لم يثبت عنده ظلمه(٢).

والحقيقة أن هذا الرأي يتمتع بميزة لم أجدها في غيره حيث يميل إليه بعض العلماء وإن كانوا لا يقولون به ويعتقدون رأياً غيره.

فهذا هو الإمام الرازي رغم أنه يفسر الفتنة تفسيراً آخر إلا أننا نجده وهو يقوم بإبطال تلك الروايات المفتراة على سيِّدنا داود (عليه السَّلام) والتي تنسب إليه ارتكاب الكبيرة نجده في معرض رده عليهم يقول: هب أنه تاب ـ داود (عليه السَّلام) ـ عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة، فلم لا يجوز أن يقال إن تلك الزلة إنما حصلت، لأنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني فإنه لما قال ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فحكم عليه بكونه ظالماً بمجرد دعوى الخصم بغير بينة، لكون هذا

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٢) المصدر السابق: ص١٧٨.

الحكم مخالفاً للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة، إلا أن هذا من باب ترك الأفضل والأولى[1].

وكذلك الإمام الألوسي فإنه رغم عدم اختياره لرأي معين في هذا الموضوع وإن كان اتجه اتجاهاً خاصاً كما سبق أن أشرت، رغم هذا فإنه يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ما يلي: «وأيد بهذا النهي ما قيل إن ذنبه (عليه السَّلام) المبادرة إلى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مساءلته لا الميل إلى امرأة أوريا فكأنه قيل: ولا تتبع الهوى في الحكم كما اتبعه أولاً[2].

وأيضاً فإن الشيخ عبد الوهاب النجار رغم أن له رأياً معيناً ارتضاه في هذه المسألة ـ وسبق أن أشرنا إليه ـ إلا أنه يقول: «ولعل داود رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤال المدعي عليه، وعلم أنه تجاوز الحق بذلك فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب، وهو أحد الآراء التي تحمل عليها الآية وهو حسن».

وبعد أن عرض لرأيه الذي استنبطه من دراسة هذه القصة المذكورة في القرآن الكريم عاد مرة أخرى يقول: «وأولى منه أن يكون ندم على الحكم قبل سؤال المدعى عليه كما قدمنا» ورأى أن هذا هو الذي ينبغي المصير إليه وهو اللائق بمقام داود الذي يقول الله (تعالى) فيه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ويقول أيضاً: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، ويقول أيضاً: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وبعيد من الحكمة أن يكون الحكيم فاسقاً قائلاً من غير حق ولا برهان.

بل إن هذا الرأي قد أشار إليه الزمخشري ونقله في تفسيره وإن كان قد حافظ فيه على تفسير النعجة والنعاج بالنساء لكنه أبعد الفتنة تماماً عن وجود النساء وجعل الخصومة حقيقية وأن الخصمين جاءا للتقاضي وليسا مغتالين وأنهما من الإنس ولم يكونا من الملائكة وأن القصة حقيقية وليست تمثيلاً يقول الزمخشري: «وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما، إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ١٩٤.

(٢) روح المعاني ٢٣/ ١٨٧.

الحرائر والسراري، والثاني معسراً ماله إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها، وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين، وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته[١].

وقد عقب صاحب «الانتصاف»[٢] على هذا الرأي تعقيباً طيباً وعلق عليه تعليقاً حسناً ومفيداً حيث يقول: مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب، وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى[٣].

ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود (عليه السَّلام): «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أولاً وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس[٤].

والحقيقة أن هذه الآية فعلاً هي التي تؤيد هذا الرأي وترجحه على غيره وتبين لنا فعلاً ما استفاده أصحاب هذا الرأي من وجود هذه الآية الكريمة عقب الإخبار بنبأ الخصم وغفران الله لسيِّدنا داود (عليه السَّلام).

وقد وضح هذا في الحجج التي أوردها البقاعي والحليمي وسيد قطب وغيرهم ولولا خشية التكرار لذكرت هنا أقوالهم في ذلك مرة أخرى.

ونعود إلى تعقيب صاحب «الانتصاف» حيث يذكر أنه قد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) داود وغيره منزهون عن الوقوع في صغائر الذنوب مبرؤون عن ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧١.

(٢) الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الإسكندري.

(٣) على هامش الكشاف ٣/ ٣٧٠، طبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٤) المصدر السابق.

القصة، وهذا هو الحق الأبلج والسبيل الأبهج إن شاء الله (تعالى). انتهى تعقيب صاحب الانتصاف وهو كما نرى قول سديد وكلام نفيس وتحقيق جيد.

تعقيب وترجيح

ولا أجد بعض عرض آراء هؤلاء العلماء المحققين المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عما نسبه إليه المفترون وما ذكره عنه الملطفون القائلون بارتكابه عليه السَّلام) وحاشاه ـ الكبيرة، والقائلون أيضاً بارتكابه ـ وحاشاه ـ الصغيرة، لا أجد بعد كل ذلك إلا أن أقرر أن هؤلاء المنزهين ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ قد بذلوا كل ما في وسعهم، واجتهدوا بأقصى ما في طاقتهم، لإثبات تنزيه سيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن ما نسب إليه وبطلان تلك القصة التي افتراها المفترون واخترعها المخترعون والتي هي من أكاذيب الإسرائيليات ومناكيرها، وتتنافى تماماً مع عصمة الأنبياء (عليهم السَّلام) ولا تتفق مع ما ينبغي أن يوصفوا به من طهارة وزكاة وصفاء ونقاء حيث يصنعهم الله على عينه، ويربيهم بتربيته، ويؤدبهم بأدبه، ويصطفيهم من خير خلقه، ويفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1] ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3]، ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[4]، ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[5]، ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[6].

وإذا كان هؤلاء المنزهون قد اتفقوا بوجه عام على تنزيه سيِّدنا داود (عليه السَّلام) عما نسب إليه من الكبيرة والصغيرة ورفضوا قول القائلين بهما،

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٤) سورة صۤ: الآية ٤٧.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٨٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٨٧.

فإنهم بهذا الاتفاق قد يكونون مأجورين على اجتهادهم حتى وإن اختلفوا فيما بينهم في التفسير الصحيح للآيات الكريمة بشكل عام، وفي تفسير الفتنة التي استغفر منها داود ربه وخر راكعاً وأناب فالمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد(١).

وإذا كان لي أن أدلي دلوى في هذا الأمر، وإذا جاز لي أن أختار رأياً من الآراء في هذا الموضوع، فإنني أميل إلى أن الخصمين كانا من الإنس ولم يكونا من الملائكة حيث إنه لا حاجة بنا إلى التأويل وإخراج الكلام عن ظاهره وحمله على غير محمله، إلى آخر ما ورد من حجج القائلين بأنهما من الإنس والرافضين لكونهم من الملائكة.

وبذلك فإنني أتفق في هذه النقطة مع كل من الأئمة: ابن حزم والرازي ومن معه، وأبي حيان ومن ذهب مذهبه، والسبكي.

وأختلف في هذه النقطة مع الإمام البقاعي ومن قال بقوله، وهذا الفريق من المنزهين لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن الكبيرة والصغيرة، ولكنهم خالفوا غيرهم من المنزهين بقولهم أن الخصمين كانا من الملائكة، على حين إن المنزهين كلهم يرون أن الخصمين كانا من الإنس، وهم بذلك يخالفون القائلين بوقوع الكبيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) والقائلين أيضاً بصدور الصغيرة منه ـ وحاشاه (عليه السَّلام) من الوقوع في الكبيرة أو الصغيرة.

ومن نافلة القول أن أذكر أنني أختلف مع القائلين بوقوع الكبيرة والقائلين بوقوع الصغيرة في هذه النقطة حيث إنني أختلف معهم في كل ما قالوه، وأرفض قولهم جميعاً بوجه عام.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر» وأخرج الترمذي والنسائي مثله عن أبي هريرة. راجع جامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ١٧١.

وإذا كنت أتفق مع أصحاب الاتجاه الثاني والقائلين بوقوع الصغيرة من سيِّدنا داود (عليه السَّلام) في إبطالهم لأقوال أصحاب الاتجاه الأول ورفضهم لما قالوه من نسبة الكبيرة إليه، وبذلهم أقصى ما في وسعهم في بيان بطلان الروايات التي اعتمدوا عليها.

إذا كنت أتفق معهم في ذلك، فإنني أختلف معهم في إصرارهم على تفسير الآيات على وجوه يلحق بسيِّدنا داود على ضوئها ارتكاب الصغيرة وإصرارهم في الوقت نفسه على أن الفتنة التي استغفر منها داود (عليه السَّلام) ربه (عَزَّ وجَلَّ) تتعلق بالمرأة سواء بالنظر إليها والتعلق بها أو بخطبتها وهي مخطوبة لغيره، أو باستنزاله زوجها عنها وهي في عصمته إلى آخر هذه الوجوه التي بيناها في المبحث السابق، وإذا كنت أبين اختلافي مع المنزهين أو بعضهم في بعض النواحي فإنني أتفق معهم اتفاقاً كاملاً في تنزيههم لسيِّدنا داود (عليه السَّلام) عن ارتكاب الكبيرة والصغيرة ورفضهم لما ورد في المرويات الإسرائيلية المنكرة والمكذوبة، وبذلهم أقصى ما في وسعهم في بيان بطلان هذه الروايات نقلاً وعقلاً، سنداً ومتناً فجزاهم الله عن سيِّدنا داود وعن كل الأنبياء من لدن سيِّدنا آدم إلى سيِّدنا محمد (عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ــ.

وإذا كنت أميل إلى أن الخصمين كانا من الإنس ولم يكونا من الملائكة فإنني أرى أيضاً أن الخصومة بينهما كانت حقيقية، وأن الخصمين جاءا للتقاضي أمام سيِّدنا داود والتحاكم إليه ولم يدخلا عليه بقصد الاغتيال كما قال البعض، أو بقصد التمثيل كما قال الكثيرون ممن قالوا بأن الخصمين كانا من الملائكة.

وبذلك فإنني أتفق في هذه النقطة مع الإمام ابن حزم والإمام أبي حيان ومن معه والإمام السبكي في رأيه الذي لم يسبق إليه، حيث يرون أن الخصمين كانا من الإنس وأن الخصومة بينهما كانت على وجه الحقيقة وأنهما جاءا للتقاضي لا لغرض آخر.

واختلف في هذه النقطة مع الإمام البقاعي ومن رأى رأيه حيث يقولون بأن الخصمين جاءا على وجه التمثيل حتى يتم تدريب داود على الحكم بين الناس والقضاء فيهم، وهم قالوا بذلك انطلاقاً من أنهم رأوا أن الخصمين كانا من

الملائكة وقد سبق أن بينت اختلافي معهم في ذلك، واختلف أيضاً في هذه النقطة مع فريق الإمام الرازي حيث يرون أن الخصمين لم يجيئا للتقاضي أمام داود، ولم تكن الخصومة بينهما حقيقية وإنما جاءا بقصد الاغتيال لداود (عليه السَّلام) وقتله والقضاء عليه وقد اختلفت معهم في هذا بالرغم من موافقتي لهم ولغيرهم على أن الخصمين كانا من الإنس.

أما في تفسير فتنة داود (عليه السَّلام) التي استغفر منها ربه وخر راكعاً وأناب وهي في قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ فإنني أرى أن هذه الفتنة تتعلق بالملك والحكم والقضاء بين الناس وليس لها أدنى صلة بالمرأة بأي صورة من الصور، سواء ما ورد في الروايات التي تنسب الكبيرة إلى داود (عليه السَّلام) ـ وحاشاه ـ، أو ما ورد في أقوال الملطفين القائلين بنسبة الصغيرة إليه ـ وحاشاه ـ، حيث قالوا بخطبة المرأة وهي مخطوبة لغيره، أو سأل زوجها التنازل عنها وهي في عصمته وغير ذلك من الصور التي أقحموا فيها المرأة إقحاماً.

وليس للفتنة أيضاً أدنى تعلق بقضية الاغتيال سواء على قول الرازي إنهما دخلا عليه بقصد الاغتيال، فلما فشلا في تحقيق مأربهما وأخفقا في تنفيذ مخططهما، لجآ إلى اختراع تلك الخصومة فَهَمَّ سيِّدنا داود (عليه السَّلام) أن ينتقم منهما، لكنه استدرك وتراجع فاستغفر ربه من هذا الهم وغفر لهما وعفا عنهما فغفر له ربه، أو على الصورة الأخرى التي عرضها الرازي وهي أنه بعد أن هم بالانتقام منهما والقضاء عليهما استدرك وصفح عنهما وأخذ يستغفر الله لهما وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ وهذا الرأي كما قال كلّ من الشهاب والألوسي فيه تعسف، والحقيقة أنني لم أستسغه مطلقاً حيث يقول الله (تعالى): ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ ولو كان كما قالوا لقال الله (تعالى): ﴿فَغَفَرْنَا لَهُمْ ذَٰلِكَ﴾.

واختلف أيضاً في هذه النقطة مع فريق الإمام أبي حيان حيث إنهم يرون أن الخصمين دخلا على داود للتقاضي وأن الخصومة بينهما كانت حقيقية لكن داود (عليه السَّلام) حينما تسوروا المحراب ودخلوا عليه فجأة وبدون استئذان فزع منهم وظن أنهم جاؤوا لاغتياله ولكن حينما تبين له أنهم جاؤوا للتقاضي ولم يقع مظنونه استغفر ربه من هذا الظن وخر راكعاً وأناب.

وأتفق في هذه النقطة مع الإمامين: ابن حزم والسبكي، والإمام البقاعي ومن معه وأصحاب الرأي الأخير من المنزهين كالحليمي والسمرقندي والنحاس وصاحب الانتصاف وغيرهم.

ويأتي اتفاقي مع هؤلاء بوجه عام في أن الفتنة تتعلق بالملك والحكم بين الناس وتغليب العبادة على الحكم أو الحكم على العبادة.

وإذا كنت أتفق مع الإمام ابن حزم فيما ذهب إليه إلا أنه لم يفصل القول في سبب الفتنة ولم يخصص الحكم والملك بالقضاء بين الناس.

وإذا كنت أتفق أيضاً بوجه عام مع الإمام السبكي فيما قال به وأرى أنه قول لم يسبق إليه من أحد، وأنه قام بتحليل الآيات تحليلاً دقيقاً، واستنبط منها استنباطاً حسناً، إلا أنني أميل أكثر إلى رأي القائلين بأن سيِّدنا داود (عليه السَّلام) قد تسرع في الحكم وتعجل في القضاء وحكم لأحد الخصمين قبل الآخر دون أن يسمع إليه، وأن تصرفه هذا كان نتيجة فزعه من دخول الخصمين.

وأتفق في ذلك مع أصحاب الرأي الأخير من المنزهين الذين أشرت إليهم آنفاً، وكذلك مع البقاعي ومن ذهب مذهبه حيث قالوا بذلك وإن كنت قد اختلفت معهم في قولهم إن الخصمين كانا من الملائكة لكن قولهم في تفسير الفتنة التي استغفر منها داود ربه يتفق مع القائلين بالرأي الأخير من المنزهين.

والذي يدعوني إلى ترجيح هذا الرأي أن ما ورد في القرآن الكريم عقب حكاية نبأ الخصم من قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] يؤكد هذا الرأي ويجعله أقرب إلى الصواب من غيره، ويرجح كفته على ما سواه من آراء المنزهين، وقد سبق أن فصلت الحديث في هذه الآية والوجوه التي يمكن بها ترجيح هذا الرأي على غيره.

---

(١) سورة صٓ: الآية ٢٦.

يضاف إلى ذلك أن تفسير الفتنة بهذا الوجه إنما يوحي بأن الأمر يستحق الاستغفار من داود (عليه السَّلام) وخروره راكعاً لربه حتى غفر له دون أن نقترب من قول القائلين بارتكاب الكبيرة أو الصغيرة ودون أن نشعر بأن ما فسرنا به الفتنة لا يستحق التوبة والاستغفار وعلى ذلك فهذا الرأي الأوسط والأمثل ضمن آراء المنزهين.

وإذا قيل إن ما حدث من داود (عليه السَّلام) في ضوء الرأي الذي اخترته لم يكن يستوجب استغفاراً وتوبة وإنابة إلى الله؟ فإن الجواب على ذلك يتمثل في هذه الكلمات الأخيرة والتي أختم بها هذا الكتاب، وقد أعجبتني كثيراً، ولذلك فإنني سأقتطفها من كتاب «الشفا» للقاضي عياض:

١ ـ يقول رضي الله عنه: «اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أنَّ درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله، وسُنّته في عباده وعظم سلطانه، وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جلّ جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها، ولا أمروا بها، ثم أوخذوا عليها، وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها، وأتوها على وجه التأويل أو السهو، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة ـ خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره، وأذناب الناس رذائلهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم، وعمارة بواطنهم وظواهرهم، بالعمل الصالح، والكلم الطيب، والذكر الظاهر والخفي والخشية لله، وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى عَلِّي أحوالهم كالسيئات»[1].

---

(١) الشفا ٢/ ٨٤٠ ـ ٨٤١.

٢ ـ ثم يذكر القاضي عياض أن الأنبياء يؤاخذون بمثاقيل الذر في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم، ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبهم كما قال: «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي» وقال لداود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

وقال ـ بعد قول موسى: «تبت إليك»: «إني اصطفيتك على الناس» وقال ـ بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته «فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ـ والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب» وقال بعض المتكلمين: زلات الأنبياء في الظاهر زلات، وفي الحقيقة كرامات وزلف، وأشار إلى نحو ممَّا قدمناه(١).

٣ ـ أيضاً فلينبه غيرهم من البشر منهم، أو ممن ليس في درجتهم أو بمؤاخذتهم بذلك، فيستشعروا الحذر، ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على المنعم، ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم، ولهذا قال صالح المري: ذكر داود بسطة للتوابين(٢).

٤ ـ ويضيف القاضي عياض فيرى أن كثرة استغفار النبي ﷺ وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه، كما قال ﷺ وقد أمن من المؤاخذة مما تقدم وتأخر «أفلا أكون عبداً وشكوراً» وقال: «إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».

قال الحارث بن أسد: خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله، لأنهم آمنون»(٣).

---

(١) المصدر السابق: ص٨٤٣ ـ ٨٤٤.
(٢) المصدر السابق ٨٤٤ ـ ٨٤٥.
(٣) المصدر السابق: ص٨٤٦ ـ ٨٤٧.

٥ ـ وقيل: فعلوا ذلك ليقتدى بهم، وتستن بهم أممهم، كما قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[١].

٦ ـ وأيضاً فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله، قال الله (تعالى): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢].

فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار، والتوبة، والإنابة والأوبة، في كل حين ـ استدعاء لمحبة الله، والاستغفار فيه معنى التوبة، وقد قال الله لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[٤].

صدق الله العظيم

والحمد لله الذي تتم به الصالحات.

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٧.

(٤) سورة النصر: الآية ٣. الشفا ٢/ ٨٤٧ ـ ٨٤٨.

المصادر والمراجع

*** أولاً: القرآن الكريم:**

*** ثانياً: كتب السُنَّة ورجال الحديث:**

ابن الأثير «الإمام العلَّامة أبو الحسن علي بن محمد الشيباني»

١ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ومكتبة الملاح ومكتبة، دار البيان ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن حبان «محمد بن حبان البستي»

٢ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين تحقيق محمود إبراهيم زيد، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

ابن حجر «الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي»

٣ ـ تهذيب التهذيب، نشر دار صادر، بيروت طبعة مصورة عن، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٢٧هـ.

٤ ـ لسان الميزان منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثامنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م وطبعة أخرى (الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند حيدرآباد الدكن ١٣٣٠هـ.

الخزرجي (الإمام العلَّامة الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي)

٥ ـ خلاصة تهذيب الكمال، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية (عمر حسين الخشاب) ١٣٢٢هـ.

الذهبي (الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)

٦ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر.

العقيلي: (الحافظ أبو جعفر بن عمرو بن موسى بن حماد)

٧ ـ كتاب الضعفاء الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، حققه ووثقه د/ عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى.

المنذري (الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي)

٨ ـ الترغيب والترهيب بتعليق وترقيم مصطفى محمد عمارة، دار الحديث، القاهرة توزيع، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الهيثمي الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ)

٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

*** ثالثاً**: كتب التفسير:

الألوسي (الإمام شهاب الدين السيد محمود أفندي الألوسي)

١٠ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

البغوي (الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي)

١١ ـ معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

البقاعي (الإمام برهان الدين البقاعي)

١٢ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

البيضاوي (الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر)

١٣ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي)

١٤ ـ جواهر الحسان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

ابن الجوزي (الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي)

١٥ ـ زاد المسير في علم التفسير، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

أبو حيان (أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي)

١٦ ـ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض والطبعة الأولى بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.

الخازن (علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المشهور بالخازن)

١٧ ـ لباب التأويل ومعاني التنزيل، نشر دار الفكر، بيروت.

الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي)

١٨ ـ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي كفاية الراضي على تفسير البيضاوي، نشر دار صادر، بيروت.

الرازي (الإمام العلّامة فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين)

١٩ ـ التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)

٢٠ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، نشر مكتبة ومطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

رشيد رضا (الشيخ محمد رشيد رضا)

٢١ ـ تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، الطبعة الرابعة، دار المنار بمصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

أبو السعود (قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي)

٢٢ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م المطبعة المصرية بالأزهر.

سيد قطب

٢٣ ـ في ظلال القرآن، نشر دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

السيوطي (الإمام جلال الدين السيوطي)

٢٤ ـ الإكليل في استنباط التنزيل مطابع، دار الكتاب العربي بالقاهرة طبع بنفقة السيد سعد درابزوني الحسيني.

٢٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت.

الشوكاني (الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني)

٢٦ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري)

٢٧ ـ جامع البيان في تفسير القرآن، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ابن عاشور (الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر)

٢٨ ـ تفسير التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

عبد الكريم الخطيب

٢٩ ـ التفسير القرآني ملتزم، الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة.

ابن العربي (الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله)

٣٠ ـ أحكام القرآن تحقيق محمد علي البجاوي، نشر دار المعرفة/ دار الجيل، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

القاسمي (علّامة الشام محمد جمال الدين القاسمي)

٣١ ـ محاسن التأويل: وقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

القرطبي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)

٣٢ ـ الجامع لأحكام القرآن نسخة مصورة عن طبعة، دار الكتب المصرية، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، الطبعة الثانية.

ابن كثير (الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)

٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم مطبعة المنار بمصر ١٣٤٣هـ.

الكيا الطبري (عماد الدين محمود الطبري)

٣٤ ـ أحكام القرآن تحقيق موسى محمد علي د/ عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة بمصر بدون تاريخ.

الماوردي (الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي)

٣٥ ـ النكت والعيون حققه خضر محمد خضر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

المراغي (الأستاذ أحمد مصطفى المراغي)

٣٦ ـ تفسير المراغي، نشر مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

النيسابوري (الإمام نظام الدين ابن الحسن بن محمد بن الحسين)
٣٧ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان طبع على هامش جامع البيان للطبري.
الإمام ناصر الدين (أحمد بن محمد بن المنير المعروف بالإمام ناصر الدين).
٣٨ ـ الاتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال طبع مع تفسير الكشاف للزمخشري شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر.
*** رابعاً: دراسات حول التفسير وعلوم القرآن:**
ابن تيمية (شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)
٣٩ ـ مقدمة في أصول التفسير: الجزء الثالث من مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وساعده ابنه محمد طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين/ وطبعة أخرى بتحقيق د/ عدنان زرزور، دار القرآن الكريم ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
الذهبي (الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي)
٤٠ ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤١ ـ التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
رشيد رضا (الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا)
٤٢ ـ الوحي المحمدي المكتب الإسلامي، بيروت.
الزرقاني (الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني)
٤٣ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، الطبعة الثالثة.
السيوطي (الإمام جلال الدين السيوطي شيخ الإسلام)
٤٤ ـ الإتقان في علوم القرآن المكتبة الثقافية، بيروت.
أبو شهبة (الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة)
٤٥ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير سلسلة البحوث الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
نعناعة (دكتور رمزي نعناعة)
٤٦ ـ الإسرائيليات وأثرها في التفسير، نشر وتوزيع، دار القلم بدمشق ودار الضياء، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤٦ ـ مؤتمر تفسير سورة يوسف (عليه السَّلام) بقلم كاتب المؤتمر الأستاذ الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي مطابع، دار الفكر بدمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، الطبعة الأولى.

* **خامساً: كتب العقيدة وعلم الكلام:**

الآمدي (سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي محمد)

٤٧ ـ الإحكام في أصول الأحكام تعليق الشيخ عبد الرازق عفيفي المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (والكتاب من كتب أصول الفقه عند المتكلمين).

الإيجي (عضد الدين والملة القاضي عبد الرحمن أحمد الإيجي)

٤٨ ـ المواقف في علم الكلام، نشر عالم الكتب، بيروت.

التفتازاني: العلَّامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني

٤٨ ـ شرح العقائد النسفية طبعة، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي بمصر.

٤٩ ـ شرح المقاصد (شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين) نسخة مصورة من طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول ١٢٧٧هـ.

الجرجاني: (السيد الشريف الجرجاني)

٥٠ ـ شرح المواقف طبعة اسطنبول، دار الطباعة العامرة الشركة الصحافية ١٣١١هـ.

ابن حزم (الحافظ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي)

٥١ ـ الدرة فيما يجب اعتقاده دراسة وتحقيق وتعليق د/أحمد بن ناصر بن محمد الحمد ود/ سعيد بن عبد الرحمن القزمي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م توزيع مكتبة التراث بمكة المكرّمة، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني بمصر.

أبو دقيقة (فضيلة الشيخ محمود أبو دقيقة)

٥٢ ـ مذكرات التوحيد مطبعة ومجلة الإرشاد ١٣٥٤هـ/ ١٩٨٦م.

الرازي (الإمام العلَّامة الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين)

٥٣ ـ الأربعين في أصول الدين، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦م مطبعة، دار التضامن بالقاهرة.

٥٤ ـ عصمة الأنبياء، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٦م.

القاضي عياض (عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد)

٥٥ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن، نشر المكتبة الأزهرية بمصر ١٣٢٩هـ.

٥٦ ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل الجزء الخامس عشر «التنبؤات والمعجزات» تحقيق د/ محمود الخضيري ود/ محمود قاسم الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م عيسى الحلبي بمصر.

* **سادساً: كتب الملل والنحل والأديان والمذاهب:**

د/ أحمد شلبي

٥٧ ـ اليهودية: سلسلة مقارنة الأديان، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

أحمد عبد الغفور عطار

٥٨ ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور الجزء الثاني مكة المكرّمة ١٤٠١هـ.

ألن هوايت

٥٩ ـ الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء ترجمة فرج الله إسحاق، نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، بيروت ١٩٨١م.

الباجي (الشيخ الفقيه علي بن محمد علاء الدين الباجي)

٦٠ ـ على التوراة: ، نشر دار الأنصار، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

باجه جي زاده (العالم العلّامة عبد الرحمن بن سليم البغدادي)

٦١ ـ الفارق بين المخلوق والخالق، نشر دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي.

٦٢ ـ رد الرسالة المسماة أبحاث المجتهدين بين النصارى والمسلمين (البحث الثالث الخاص بالرد على مؤلف الرسالة في هتكة عصمة الأنبياء) ذيل كتاب الفارق.

حبيب سعيد

٦٣ ـ خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، نشر دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة ١٩٥٩م.

ابن حزم (الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم)

٦٤ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل: ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م والطبعة المحققة، نشر مكتبات عكاظ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر ود/ عبد الرحمن عميرة.

دروزة (محمد عزة دروزة)

٦٥ ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، نشر المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

الشيخ رحمت الله الهندي

٦٦ ـ إظهار الحق: أربعة أجزاء طبعة جديدة، وأول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد القادر خليل ملكاوي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإدارة العامة للطبع والترجمة/ المملكة العربية السعودية ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

روهلنج

٦٧ ـ اليهودي علي حسب التلمود: القسم الأول من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة د/ يوسف نصر الله تقديم مصطفى أحمد الزرقا، د/ حسن ظاظا، نشر دار القلم بدمشق، دارة العلوم، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

زكي شنوده

٦٨ ـ المجتمع اليهودي: الجزء التاسع من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية طبع ونشر مكتبة الخانجي، القاهرة بدون تاريخ.

سبينوزا

٦٩ ـ رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة د/ حسن حنفي، دار وهدان للطباعة والنشر طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السموأل (الإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠هـ) الحبر اليهودي السابق (شموائيل بن يهوذا)

٧٠ ـ إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد عبد الله الشرقاوي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ.

سهيل ميخائيل ديب

٧١ ـ التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م والمؤلف أمريكي لم يذكر اسمه.

د/ صابر طعيمة

٧٢ ـ التراث الإسرائيلي في العهد القديم، نشر دار الجيل، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

د/ صبري جرجس

٧٣ ـ التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي، نشر عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٠م مطبعة مخيمر.

ظاظا (د/ حسن ظاظا)

٧٤ ـ الفكر الديني اليهودي أطواره، نشر دار القلم دمشق، دارة العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

عبد الله التل

٧٥ ـ جذور البلاء، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

د/ عبد الستار فتح الله سعيد

٧٦ ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود، الطبعة الثانية مكتبة المنار الأردن الزرقاء ١٤٠٢هـ.

عبد الكريم الخطيب

٧٧ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م.

عصام الدين حنفي ناصف

٧٨ ـ الأسطورة والوعي، دار العالم الجديد ١٩٧٦م.

٧٩ ـ محنة التوراة على أيدي اليهود مطبعة الرسالة الأولى ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

أبو عبيدة الخزرجي

٨٠ ـ الإسلام والمسيحية: حققه وقدم له وعلق عليه د/ محمد شامة، نشر مكتبة وهبة ١٩٧٩م.

غوستاف لوبون

٨١ ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ترجمة عادل زعيتر، نشر عيسى الحلبي بمصر ١٩٧٠م.

د/ فؤاد حسنين علي

٨٢ ـ التوراة الهيروغليفية، نشر دار العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

د/ فتحي الزغبي

٨٣ ـ تأثر اليهودية بالأديان القديمة رسالة دكتوراه مخطوط بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨٤ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية، المسيحية، المجوسية) مطابع غباشي طنطا ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٨٥ ـ القرابين البشرية والذبائح التلمودية عن الوثنيين واليهود، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م مطابع غباشي بطنطا.

القرافي: (شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي)

٨٦ ـ الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للملة الكافرة طبع على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، نشر دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي.

القرطبي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)

٨٧ ـ الإعلام بما في دين النصرانية من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ١٩٨٠م.

ابن القيم (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)

٨٨ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى طبع على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي.

ف. ب ماير

٨٩ ـ حياة داود ترجمة القمص مرقص داود، نشر مكتبة المحبة، القاهرة.

د/ محمد بحر عبد المجيد

٩٠ ـ اليهودية: ملتزم، الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت، القاهرة.

محمد خليفة التونسي

٩١ ـ بروتوكولات حكماء صهيون مؤسسة، دار العلوم الكويت بدون تاريخ.

د/ محمد خليفة

٩٢ ـ ظاهرة النبوة الإسرائيلية المبحث الأول من تاريخ النبوة الإسرائيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

د/ محمد عبد الله الشرقاوي

٩٣ ـ في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، نشر دار هداية، القاهرة ١٩٨٦م.

د/ محمد علي البار

٩٤ ـ الله جلّ جلاله والأنبياء (عليهم السَّلام) في التوراة والعهد القديم، دار القلم دمشق الدار الشامية، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩٥ ـ المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم دمشق الدار الشامية، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

موريس بوكاي

٩٦ ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتبة المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م.

محمود نعناعة

٩٧ ـ المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل (من ظهور أبرام حتى سقوط يهوذا) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م.

وافي (د/ علي عبد الواحد وافي)

٩٨ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٩٩ ـ اليهودية واليهود، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

*** سابعاً: قصص الأنبياء وكتب التاريخ والاجتماع**

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني)

١٠٠ ـ الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

أحمد بهجت

١٠١ ـ أنبياء الله: ، دار الشروق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، الطبعة السادسة عشرة.

ثروت الأسيوطي

١٠٢ ـ نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية بنو إسرائيل، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

الثعلبي

١٠٣ ـ قصص الأنبياء المسمى بالعرائس مكتبة خضر الشيخ أحمد المليجي الأزهر مصر.

الطبري

١٠٤ ـ تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

ابن خلدون

١٠٥ ـ مقدمة ابن خلدون: المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦١م.

القاضي عياض

١٠٦ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠٧ ـ شرح الشفا للملّا على القاري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وطبعة أخرى ملحقة على هامش (نسيم الرياض)، دار الفكر، بيروت.

١٠٨ ـ نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي، دار الفكر، بيروت.

د/ محمد بيومي مهران

١٠٩ ـ دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء التاسع: إسرائيل الكتاب الثالث: الحضارة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

المقدسي (المطهر بن طاهر المقدسي)

١١٠ ـ البدء والتاريخ المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ١٩٠٣م.

ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل)

١١١ ـ قصص الأنبياء تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

النجاري (الشيخ عبد الوهاب النجار)

١١٢ ـ قصص الأنبياء مطبعة النصر بمصر، الطبعة الثانية ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

وافي (د/ علي عبد الواحد وافي)

١١٣ ـ الأسرة والمجتمع، دار نهضة مصر، الطبعة السادسة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

*** ثامناً: كتب المعاجم واللغة:**

١١٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الشعب.

١١٥ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم: ، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة سلسلة (التراث للجميع)

١١٦ ـ المفردات في غريب ألفاظ القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

١١٧ ـ التعريفات للسيد الشريف الجرجاني مصطفى الحلبي ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١١٨ ـ معجم العلوم الاجتماعية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
١١٩ ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة باسطنبول ١٩٨٩م.

*** تاسعاً: الكتاب المقدس عن اليهود والنصارى وشروحه:**

١٢١ ـ الكتاب المقدس: أي كتب العهد القديم والعهد الجديد طبعة البروتستانت التي أصدرتها، دار الكتاب المقدس في العالم العربي بدون تاريخ.
١٢٢ ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: مبني على آراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣م.
١٢٣ ـ قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د/ بطرس عبد الملك ود/ جون ألكساندر علمسن والأستاذ/ إبراهيم مطر من منشورات مكتبة المشعل في بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة ١٩٨١م.
١٢٤ ـ الأسفار التاريخية تأليف د/ توماس كروفت تعريب أديبة شكري، دار الجيل للطباعة، القاهرة ١٩٨٥م.
١٢٥ ـ رجال الكتاب المقدس تأليف القس إلياس مقار صدر عن، دار الثقافة، الطبعة الثانية طبع بمطبعة، دار الجيل للطباعة.

❑ ❑ ❑

تعريف بالمؤلف

١ ـ ولد في ٢/ ٩/ ١٩٥٧م بقرية شوني مركز طنطا محافظة الغربية ج.م.ع.

٢ ـ تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم بالقرية ثم التحق بالأزهر بطنطا في العام الدراسي ١٩٦٩/ ١٩٧٠م.

٣ ـ حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الثانوي في العام الدراسي ١٩٧٥/ ١٩٧٦م وجاء ترتيبه الثاني ـ بتوفيق الله ـ على مستوى الجمهورية فالتحق بكلية الدعوة الإسلامية بطنطا في عام ٧٦/ ١٩٧٧م.

٤ ـ فاز بلقب الطالب المثالي الأول على مستوى الكلية والثالث على مستوى الجامعة عام ١٩٨٠م.

٥ ـ حصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في العام الدراسي ١٩٧٩/ ١٩٨٠م، بتقدير «ممتاز» مع مرتبة الشرف وكان ترتيبه الأول بتقدير «ممتاز» ـ بفضل الله ـ طوال سنوات الدراسة الأربع.

٦ ـ صدر قرار بتكليفه معيداً في قسم مقارنة الأديان بالكلية بتاريخ ١٧/ ٩/ ١٩٨٠م.

٧ ـ حصل على تقدير جيد جدًّا في مرحلة الدراسات العليا وكان ترتيبه الأول في السنة الأولى عام ١٩٨١م وفي السنة الثانية عام ١٩٨٢م.

٨ ـ حصل على درجة التخصص «الماجستير» بقسم مقارنة الأديان من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ٢٥ يناير ١٩٨٥م بتقدير «ممتاز»، وكان له شرف الحصول على أول ماجستير تمنحه الكلية.

٩ ـ صدر قرار رئيس الجامعة بتعيينه مدرساً مساعداً بقسم مقارنة الأديان بالكلية في ١٦/ ٢/ ١٩٨٥م.

١٠ ـ حصل على درجة العالمية «الدكتوراه» بقسم العقيدة والفلسفة في ٢٩/ ٨/ ١٩٨٧م بمرتبة الشرف الأولى وكان له شرف الحصول على أول دكتوراه تمنحها الكلية.

١١ ـ صدر قرار مجلس الجامعة بتعيينه مدرساً بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ١٧/ ١٠/ ١٩٨٧م.

١٢ ـ قام ـ بتوفيق الله ـ بأداء خطبة الجمعة في مسجد المعمورة الجامع بالإسكندرية منذ شهر سبتمبر عام ١٩٨١م وحتى شهر أغسطس عام ١٩٩٠م.

١٣ ـ أعير إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية في شهر صفر ١٤١١هـ الموافق شهر سبتمبر ١٩٩٠م.

كتب وبحوث للمؤلف

١ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام «اليهودية، المسيحية، المجوسية» رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، ثم طبعت في كتاب بنفس العنوان في عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مطابع غباشي بطنطا.

٢ ـ تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة رسالة دكتوراه بنفس الكلية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ويتم طبعها الآن وستنشر قريباً إن شاء الله تحت عنوان «الديانة اليهودية وتأثرها بالأديان الوثنية».

٣ ـ القرابين البشرية والذبائح التلمودية عن الوثنيين واليهود ومعه نص كتاب إظهار سر الدم المكتوم أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية لدى اليهود للحاخام اليهودي ناوفيطوس مطبعة غباشي بطنطا ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤ ـ خلق النبي العظيم: من دلائل نبوته وبراهين رسالته بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد الثاني ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥ ـ نظرات في علم الاجتماع العام وضرورة قيام علم اجتماع إسلامي كتاب مصور مطبوع على الآلة الكاتبة.

٦ ـ دراسة الأخلاق بين مسكويه والغزالي، تحت الطبع.

٧ ـ قصة ابني آدم في سفر التكوين والنبأ الحق فيها من القرآن الكريم تحت الطبع.

٨ ـ فتنة سليمان في القرآن بين مفتريات العهد القديم وأكاذيب الإسرائيليات تحت الطبع.

٩ ـ قصة الذبح بين أهل الكتاب والمسلمين تحت الطبع.

١٠ ـ أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم تحت الطبع.

١١ ـ قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش بين أكاذيب الإسرائيليات ومزاعم المستشرقين تحت الطبع.

١٢ ـ الكهانة ورجال الدين في الأديان الوثنية وموقف الإسلام تحت الطبع.

١٣ ـ دور اليهود من إفساد العقائد وتدمير الأخلاق بحث عبارة عن محاضرة مقدمة إلى البرنامج العام للدراسات العليا بقسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض.

١٤ ـ نظام الزواج في الإسلام بين نظم الرهبانية والإباحية وأنكحة الجاهلية بحث عبارة عن محاضرة تحت سلسلة «من النظم الاجتماعية في الإسلام».

الفهرس

الفصل الثاني:
فتنة داود في القرآن
بين أكاذيب الإسرائيليات وعصمة وتنزيه الأنبياء
ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث:

❑ ❑ ❑

هَذَا الكِتَابُ

* إذا كان اليهود قد نالوا من أنبيائهم، وطعنوا في رُسلهم، واتهموهم بأفظع الاتهامات، وافتروا عليهم بأفحش المفتريات، فنسبوا إليهم أعمالًا قبيحة لا تليق بمكانتهم، وتتنافى مع عصمتهم، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه، واجتباهم من عباده، وصنعهم على عينه.

* إذا كان اليهود قد فعلوا ذلك بأنبيائهم، فإن سيدنا داوود عليه السلام كان له النصيب الأكبر من هذه المفتريات، وتلك الاتهامات؛ حيث رموه بكثير من المطاعن، وألصقوا به جملة من الأكاذيب؛ فقد طعنوا في نسبه الشريف: حيث رموه في أسفارهم بأنه ـ وهو النبي المصطفى والرسول المجتبى ـ من سلالة الزنى ـ وحاشاه عليه السلام ـ، وطعنوا في دينه وخلقه، حينما رموه في أسفارهم بالزنا ـ والعياذ بالله ـ من امرأة أوريا الحثي، وطعنوا في بيته وأسرته وأولاده بمن فيهم سيدنا سليمان عليه السلام.

* ثم كانت الطامة الكبرى حين تسللت هذه الأكاذيب إلى بعض مصادر الفكر الإسلامي؛ حيث وردت تلك المفتريات في كثير من كتب التفسير والتاريخ ونُقلت على أنها روايات بعضها مرفوع إلى النبي ﷺ، وبعضها الآخر موقوف على الصحابة والتابعين.

* فكان لا بد من معالجة هذا الأمر الخطير، ونقد هذه المرويات من ناحيتي السند والمتن، وبيان أنها تتنافى مع عصمة سيدنا داوود عليه السلام، وأنها من الإسرائيليات الخطيرة التي ينبغي مواجهتها، وتنقية كتب التراث من فسادها، وبيان التفسير الصحيح للآيات المذكورة في سورة «ص» بما يتفق مع تنزيه نبي الله داوود عن مطاعن ومفتريات اليهود في العهد القديم والإسرائيليات.